حسن الجندي

رواية

أذكار الموت




ONE PIECE
أذكار الموت
BOOKS

إلى الأصدقاء القدامى .....

الغرفـة متسـعة والظـلام يغطيهـا إلا مـن ضـوء أحمـر يـأتي مـن مصبـاح صغـير متـدلٍّ مـن السـقف، يسـقط نـوره عـلى وجـوه الجالسـين فـلا يظهـر إلا تفاصيـل قليلـة، أربعـة رجـال وامرأتـان يحيطـون بمنضـدة دائريـة ويمسـك كل منهـم بيـد الآخـر وهـم مغمضـو الأعـين يهمسـون بصـوت واحـد بعبـارة تتكـرر: «أهـلًا بـكِ أيتهـا الـروح النقيـة.. أهـلًا بـكِ أيتهـا الـروح النقيـة».

الغرفـة كانـت داخـل فيـلا بالدقـي وهـي مقـر لجمعيـة النيـل الروحيـة والتـي تهتـم بـكل مـا يتعلـق بالخـوارق والتحضـير والعـلاج الروحـي، وهـذه هـي غرفـة الاتصـال بـالأرواح أو كـما يطلقـون عليهـا (seance room)، واليوم جلسـة عاديـة تـم التخطيـط لهـا منـذ أيـام لاسـتدعاء إحـدى الأرواح بشـكل عشـوائي والتعـرف عليهـا، وبنفـس الوقـت تـرك الـروح لتختـار وسـيطها مـن بـين الجالسـين لأن هنـاك رجلـين وامـرأة بـدأوا في حضـور تلـك الجلسـات منـذ وقـت قريـب وتريـد الجمعيـة الروحيـة تحديـد هـل هنـاك وسـيط مجهَّـز مـن بينهـم.

الغرفـة عازلـة للصـوت؛ لذلـك للصمـت صـوت مقيـت يرهـب الجالسـين، حالـة مـن الرهبـة تختلـط بالخـوف تسـري بـين الجالسـين إلا مديـر الجلسـة والـذي كان رجـلًا في السـتين مـن عمـره ممتلـئ الجسـد يرتـدي بدلـة ثمينـة ويـردد بقـوة وإيمـان العبـارة التـي يردد هـا البقيـة مـن بعـده، لم يسـتمر الحـال عـلى هـذا المنـوال كثـيراً حتـى قـال بلهجـة آمـرة «توقفـوا»، ثـم ردَّد: «أعطنـا علامـة عـلى حضـورك».. لم يحـدث شيء، كـرر مـا قالـه أكـثر مـن مـرة

حتى اهتزت المنضدة قليلًا وأتى صوت من مكان ما من حولهم كأنه صوت رجل عجوز يتمطى مستيقظًا من نومه، فجأة ترك أحد الرجال يد البقية وكان شابًا في بداية العشرينيات، وسيمًا بملامح باردة. تحرَّك الشاب في مقعده كأنه يعاني من ألمٍ ما.

فتح مدير الجلسة عينيه وأمرَ البقية بذلك ففتحوها، إلا الشاب الذي سكن جسده وتدلى رأسه قليلًا على صدره كأنه في حالة نعاس بسيطة، إلا أن جسده ينتفض قليلًا كل بضع لحظات، جاء صوت رجل عجوز من حول الشاب يقول:

- السلام عليكم عباد الله.

برغم أن صوت العجوز تردد حول الشاب إلا أن فمه لم يتحرك وكأن المتحدث يقف وراءه في الظلام، ارتاح مدير الجلسة في مقعده وقال:

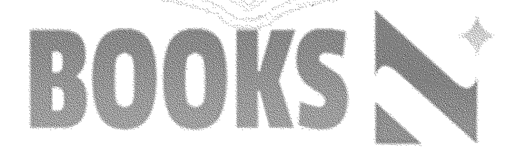
- وعليكم السلام أيتها الروح الطيبة، أرى أنكِ اخترتِ (صابر) كوسيط من بيننا، هل لديه ملكة الروحانية؟

- (صابر) ولد طيب من نسل طيب، وأنا الروح المرشدة التي ترافقه من لحظة ميلاده.

همست امرأة من الحاضرين بسبحان الله وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها وصوت الرجل العجوز يأتي من حول (صابر) الشاب يقول:

- (صابر) كان في ضلال الخمور والهوى، وعليه أن يتوقف لأتمكن من الحضور عليه.

- أهناك سبب للحضور؟



قالها مدير الجلسة باسترخاء فأجاب الصوت العجوز:

- سأساعده بإذن الله في شفاء المرضى.

- هل لكِ خبرة في العلاج أيتها الروح الطاهرة؟

انتفض جسد (صابر) وسحب نفسًا من أنفه بقوة ثم عاد لحالته شبه النائمة، وأتى الصوت العجوز يقول بعد فترة:

- أنا روح (هلال الجزايري) طبيب الباطنة، انتقلت لعالم الروح عام 1922م، ولا تتصورون ما تعلمته هنا في هذا العالم عن الطب والشفاء.

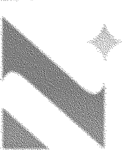
كل الحاضرين في الجلسة تهامسوا بالتكبيرات والحمد لله فرحين.. إلا رجلًا في الثلاثين من عمره يرتدي نظارة طبية بإطار ذهبي، حليق الوجه، طويل شعر الرأس، أبيض الوجه، وسيم. معظم الحاضرين لم يعرفوا عنه معلومات سوى أنه معيد بكلية العلوم في جامعة القاهرة ويدعى (عزيز رضوان)، وهذه هي المرة الثانية له يحضر معهم جلسة تحضير أرواح.

لم تتوقف عين (عزيز) من وراء النظارة الطبية عن الحركة تتفرس وجوه الجالسين وتراقب حركاتهم وسكناتهم، ثم ينظر للمصباح المعلّق ويعود للنظر في وجوه وأجساد الحاضرين، وفي النهاية تفحص بعينيه كل خلية في وجه وجسد (صابر).

- باركت روحك جلستنا يا دكتور (هلال).

- البركة وإن حلت عليكم..

ضاعت بقية العبارة التي قالها الصوت العجوز وسط صوت أضخم، صوت مخيف أتى من موقع بعيد عن (صابر)، التفت مدير الجلسة وبعض الحاضرين لمصدر الصوت الغريب المماثل لصراخ حيوان منخفض،



فوجـدوا (عزيـز) جالسًـا في مقعـده يميـل رأسـه لليمـين واليسـار كبنـدول الساعة وعينـه نصـف مغلقـة، رفـع رأسـه لأعـلى كأنـه ينظـر للسـقف وأتى صـوت مخيـف مـن حولـه يقـول غاضبًا:

- خـداع.. خـداع.. خـداع، تصدقـون دجـل (صابـر) وتلاعُبـه بكـم وتهينـون عـالم الـروح والـبرزخ.

العجيـب أن شـفاه (عزيـز) هـي الأخـرى لم تتحـرك وإن ظهـرت ملامـح الألم عـلى وجهـه، تماسـك مديـر الجلسـة في حـين خـاف البقيـة وهـو يسـأل بهـدوء مصطنـع:

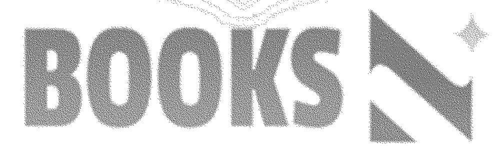
- هل أنتِ الروح المرشدة لأستاذ (عزيز)؟

- لا.. أنا أراقب جلستكم هذه بالمصادفة واسمي سأعلنه بعد قليل.

- ولماذا تلبست هذا الجسد بالذات؟

- سـؤال ممتـاز، لكـن توقيتـه خاطـئ. يجـب أن تسـأل نفسـك قبـل أن تسـألني، مـا هـي احتماليـة أن ينضـم لكـم (صابـر) هـذا وهـو يدعـي أن لـه قـدرة في الوسـاطة، ألم يبحـث أحدكـم عنـه ويعـرف أنـه قـد خـرج مـن السـجن منـذ شـهور بعـد إدانتـه بجريمـة نصـب واحتيـال، واتهـم في ثـلاث جرائـم أخـرى واسـتطاع الإفـلات بـلا عقـاب، واليـوم يمهـد لكـم أنـه سـيعالج النـاس في المسـتقبل روحانيًـا.

ملامـح الألم زادت عـلى وجـه (عزيـز) وقطـرات عـرق نبتـت عـلى جبينـه، وبينـما يجلـس (صابـر) عـلى مقعـده في نفـس حالتـه بـلا حركـة ولا صـوت كان الجالسـون يتناوبـون النظـر بينهـما، حتـى قـال مديـر الجلسـة منفعـلًا لأول مـرة:



- ولماذا نصدّق روح هائمة ترفض أن تخبرنا باسمها ونكذّب روحًا طاهرة احترمت الجلسة وعاملتنا بتواضع؟

- وهل لو أخبرتكم عن اسمي ستصدقون ما قلت؟

- نحتاج مع اسمك علامةً على نيتك الطيبة.

جاء الصوت المخيف من حول (عزيز) يقول:

- حسنًا.. اسمي (عزيز).

- اسمك على اسم الأستاذ (عزيز) الوسيط؟

- لا.. اسمي (عزيز) لأني أنا (عزيز).

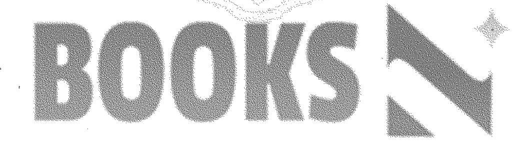
فجأة ابتسم (عزيز) وفتح عينيه وهو ينظر للجالسين والصوت يتردد من حوله يقول:

- والدليل على نصب (صابر) عليكم هو أني أفعل نفس الشيء، أتحدث دون أن تتحرك شفتاي.

وأشار بإصبعه ناحية فمه وتغير الصوت المرعب إلى صوته الطبيعي وهو يقول بفمٍ ثابتٍ:

- أنا أستخدم معكم حيلة التكلم الباطني، لساني يتحرك داخل فمي ويخرج معظم الأصوات التي تسمعونها، مثلما يفعل (صابر) معكم، لقد بحثت وراءه، وكان من السهل معرفة معظم تفاصيل حياته في أيام قليلة، ولم أعتقد أن خداعكم كان سهلًا بهذه الطريقة.

***



مقدمة نرجسية

أنا حُرٌّ.. أنا حُرٌّ. أخيرًا نلت حريتي وهذه ستكون آخر رواياتي، لأن الموتى لا يكتبون الروايات، أتعرفون ما المميز هنا؟ أنني أعلم ميعاد موتي بالتقريب، كل أمنيتي أن أكتب نهاية القصة قبل أن تكتب نهايتي.

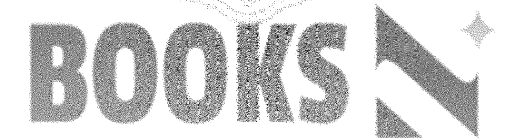
ما أكتبه الآن ممتع لأقصى درجة.. لي طبعًا، مَن يخشى رأي القراء!! سأكون ميتًا قبل نشرها على الأرجح، لا مواعيد تسليم لدار نشر تجبرني على الكتابة.. الإجبار الوحيد هنا هو ميعاد لقاء قابض الأرواح، (عزرائيل) بنفسه يتململ مترصدًا لقائي، رؤية جديدة لمصطلح (Deadline) قبل تسليم الرواية، أفترض أن (عزرائيل) أكثر تفهمًا من مدير دار النشر الذي ما انفك يزعجني منذ سنوات ليتسلم ما أكتبه.

من اليوم لن أدقق في لغتي وأرهق عقلي باختيار جمل مزيفة ليردِّدها البعض كمقولات عميقة، تزييف الجمل فنٌّ أتقنته منذ سنوات ويساعد الرواية على الانتشار، ما رأيك في هذه الجملة.. «الحقيقة الوحيدة التي أدركتها أن عينيكِ هي الحُلم واليقظة والأمل والخيبة وحصان جامح يأخذني لمصير عاصف»، لا تنظر للجملة الآن بل تخيَّل عندما كنت أحشرها حشرًا في رواياتي السابقة على لسان أبطالي الحالمين فيتلقفها البعض ويرددها بجدية ثم يرفقها باسم روايتي الرومانسية.. آه بالمناسبة يا من تقرأ ما أكتبه الآن، أنا كاتب روايات رومانسية، أو قل اجتماعية، أو قل ما تريد، المهم أنني قاصٌّ محترف بنصف موهبة.

(داوود حسن داوود)، اسم غبي كما ترى، أبي أصرَّ عند ولادتي على أن يسميني باسمِ أبيه _ الذي يكرهه_ لأعيش أنا باسمٍ لا يصلح لطفل من هذا الزمان، حتى الآن يخطئ الكثيرون في كتابة حروف هذا الاسم بطريقة صحيحة، فيحذفون حرف الواو لتصبح (داود)، وكم أوقعني هذا في مشاكل ورقية كثيرة عند استخراج بطاقة هويّتي أو جواز سفري أو أي أوراق حكومية، لكن للمصادفة أصبح لهذا الاسم جاذبية من نوع خاص حين تحولت لكتابة الروايات، خصوصًا بعدما ألحقت به اسم عائلة أمي، أصبح اسمي حينها (داوود الجوهري).. مفتعل قليلًا لكنه مميز.

إممممممم.. عمري الآن 42 عامًا، كبير السن أليس كذلك؟؟، لكني أعيش بعقل شاب في نهاية العشرينيات منذ أن وصلت لسن 30، تقريبًا لم أصدق أن عمري يتفلت من بين أصابعي بسرعة، حتى الآن لا أتصور أنني لو كنت قد تزوجت في الـ 20 من عمري وأنجبت فعمر ابني سيكون في بداية الشباب، كنت أخبر نفسي في بعض الأوقات أنني تأخرت كثيرًا في كل شيء، وأوقات أخرى أحس بأنني آخذت كل شيء في الحياة وأزيد.. أو ربما هي الحياة نعيشها بمتعها وأ... أةةةةة.. عدت ثانية إلى عباراتي المزيفة التي تعوّدت أن أحشرها بكتاباتي السابقة، طبعي غلب تطبعي لكن لا يهم سأعود للكلام الهام ثانية.

أتحب أن تعرف مواصفاتي الجسدية؟؟!! رأيك غير مهم لي، سأقولها لأني حُرٌّ الآن ولا سُلطة لقارئ على ما أكتبه، كنت في شبابي طويل القامة بكتلة جسدية متوسطة تميل للامتلاء في سنوات وعند اتباع نظام غذائي صارم جسدي مائلًا للنحول، لم أمتلك كتلة عضلية ظاهرة لكني مارست رياضات قتالية في شبابي لأنهم قالوا إنها تفرغ طاقة الغضب وتلغي الخوف.



المضحك أن خوفي الداخلي لم يغادرني بل زادَ وبسبب ذلك زاد غضبي وأصبحت عنيفًا مع كل من حولي، أبحث عن المشاكل بعدسة مكبرة لأفتعلها.. لكن الجميل أنني ارتحت بعدما زاد غضبي، كلما اشتد غضبي هدأت نفسي لكن خوفي لم يغادرني لحظة إلا الآن.

ملامح وجهي لا تحمل أي جمال أو تناسق، أنفي أفطس، عيناي ضيقتان، أذناي تشبهان أذني الحمار، بشرتي بيضاء مليئة بالحبوب والنمش أحمد الله عليها، فمَنْ ينظر لوجهي ينتبه أكثر للنمش والبثور المنتشرة في معظم وجهي فلا يلاحظ بقية التفاصيل المرعبة ويتخيل أنني لو تخلصت منهم سأصبح أكثر وسامة، عندما أتت موضة تربية اللحية والشارب منذ سنوات زادت فرحتي لأنني أخفيت نصف عيوب ملامحي بتلك اللحية.

لكني الآن نحيل من أثر العلاج الإشعاعي والكيميائي للسرطان، وجهي يقترب من شكل جمجمة الهيكل العظمي المرعبة ويقسم من يراني إنني في العقد السادس من عمري، حتى شعري الكثيف تساقط بأماكن كثيرة من رأسي فحلقته بالكامل، مظهري مثل شحات عجوز يتأبط دائمًا أوراق التحاليل والإشاعات الطبية على المخ والجسد، ويسير في الطرقات يستجدي التعاطف.

ملابسي مهلهلة واسعة على جسدي بعد انخفاض وزني السريع من قلة تناول الطعام، لكن برغم ما قلته فإني في أفضل حالاتي الجسدية، أستطيع النهوض من الفراش وممارسة أعمالي اليومية بشكل شبه طبيعي بدون مساعدة، كأن عضلاتي الداخلية ما زالت تحمل قوتها السابقة، حتى سجائر اللف التي أشربها منذ 20 عامًا مازلت أدخنها إلى الآن،

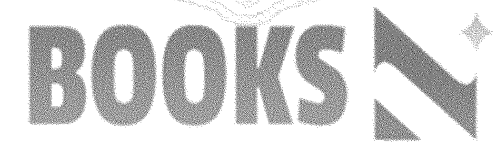
حقيقي أن رائحتها تستفز معدتي في أوقات كثيرة وتجبرني على التقيؤ لكني مازلت أدخنها من وقت لآخر حتى ولو لم أستنشق دخانها، كأنها تمثّل بقايا شخصيتي التي أحافظ عليها من هجوم السرطان.

أحاول إجبار نفسي على تناول الطعام حتى لو لم تحتفظ معدتي به إلا لدقيقة، كنت أخشى أن أتحول لهيكل عظمي كبعض مرضى السرطان وهذا ما أصبحته، لكن إرادتي ما زالت قوية، لن يقضي عليّ هذا المرض إلا بعد أن أتم كل ما أردته، أعلم أنه سينتصر في النهاية لكني سأحقق آخر انتصاراتي قبل أن يصل لي، سأنتظره بتحدٍّ بعدما أفرغ من كل شيء، أتخيل نفسي في آخر لحظات انتصاره وأنا نائم على فراشي مبتسمًا وقد فرغت من آخر سيجارة وأطفأتها، ثم شربت شربة من كوب ماء وأخذت أدوية قتل الألم التي ستدخلني في شِبه غيبوبة ليحقق السرطان انتصاره في آخر معاركه معي، لكن ابتسامتي ستعكر عليه فرحة النصر.

وآخر ما سأفعله هو كتابة تلك الرواية، والتي لن تكون أفضل ما كتبت، لكنها الأصدق.. سأتبع فيها تكنيكًا غريبًا على أي كاتب، ستكون كما الرواية تمامًا في خط سيرها، لكنها بنفس الوقت هي كل ما أمرُّ به منذ اليوم إلى أن أقرر أنها النهاية، كالمذكرات لكن في صيغة أدبية، كل يوم أو يومين أكتب ما مررت به من أحداث وأسجل أحداث رحلتي إلى نهايتها.. سأحرك أحداث حياتي وأكتبها بذات الوقت، سأكون الكاتب وشخصية البطل ولن أرضى إلا بأفضل أحداث يمكنني صنعها في الواقع لأكتبها هنا في الرواية.

هل سأنشرها؟؟ لا يهم ربما استطعت تسليمها لناشري أو أوصي أحد معارفي بنشرها بعد موتي، لكني لن أقبل أن أسمع رأي القراء والنقاد بها،





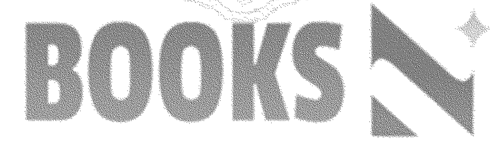
أخاف أن يعرف الجميع بما يدور في عقلي من تقلبات نفسية فاسدة يحملها الجميع لكن لن ينشرها حمار إلا أنا.

على مدار سنوات حياتي السابقة كتبت ما يشبه المذكرات لبعض أحداث حياتي الشخصية وأفكاري الداخلية لكنني أخفيتها جيدًا كي لا تظهر حتى موتي، وهي ليست تأملات بل أحداث أخجل من ذِكرها أمام أي شخص، لم أخبر بها أحدًا إلا شخصًا واحدًا، تحديدًا امرأة سأعرّفكم بها لاحقًا.

الحماسة تأكلني الآن من الداخل لذلك سيتفاجأ ناشري أن تلك الرواية أكتبها على أوراق عادية مسطرة، معظم الروائيين _وأنا منهم_ يكتبون على جهاز الكمبيوتر الشخصي ليسهل لهم حساب عدد الكلمات ورؤية تنسيق الصفحات وسلاسة حذف الكلمات والعبارات أو تعديلها.. أما هذه الرواية.. ولأنها شخصية.. فأكتبها بخط يدي الذي تدرّبت على تحسينه في السنوات الماضية، أستخدم قلم حبر يتم ملئه بشكل يدوي من محبرة سوداء، أحب الكتابة بتلك الأقلام منذ مراهقتي فهي تعطيني إحساسًا بالتميز عن الآخرين.

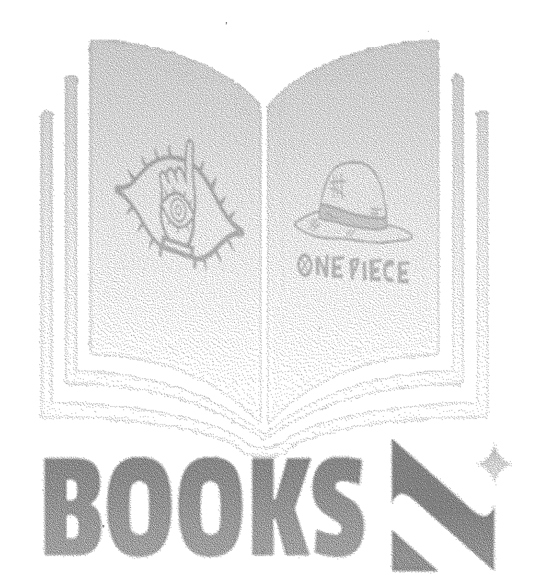
انتهيت من تعريفكم بنفسي أو ببطل القصة كما أعتقد، والآن إلى الأحداث التي سأفعلها بنفسي، لا أعرف ما القادم في حياتي وهذه نقطة إثارة في حد ذاتها.. لي ولكم على السواء.





الفصل الأول من الرواية

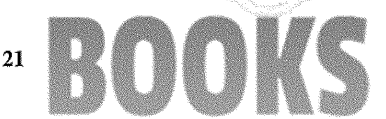
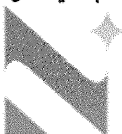
ملحوظة: لن أسمي الفصول بأسماء لأني لا أعرف أحداثها مسبقًا.



في مصر وتحديدًا بالقاهرة أسأل عن شارع (المنيل)، سِرْ في هذا الشارع إلى أن تصل لمطعم الوجبات السريعة هذا الذي نسيت اسمه، لا تستقل سيارتك الخاصة في هذا المشوار فالشارع مزدحم بجنون ولا مكان لتوقف أي سيارة فيه. أترى تلك العمارة التي يقابلها هذا المقهى البلدي على الجانب الآخر من الطريق؟؟ هذه العمارة التي تمتلئ واجهتها الضخمة بلافتات الأطباء وشركات السياحة، ادخل فيها، سيظهر لك من العدم بواب يرتدي ملابس لا أتذكرها ويسألك بنظرة شك عمن تريده في هذه العمارة، أعلِمه بأنك ستصعد للطابق الخامس عند دكتورة (ابتهال عزيز الخلفاوي)، لا تتعجب من نظراته لك والتي تحوّلت لشفقة وهو يخبرك بلا اكتراث: «ربنا يشفيك»، ثم يختفي في مكان ما في العدم كما جاء.

اركب الأسانسير _ لن أكتبه (مصعد) كنوع من الحرية اللغوية _ واصعد للطابق الخامس، لا تندهش من عدد الناس الواقفين في كل مكان في الممر المؤدي لعيادة الدكتورة فكلهم ينتظرون دورهم في الكشف، حاول تخطيهم لتصل إلى باب العيادة لتقرأ اسم الطبيبة على اللافتة وتحته درجتها الاستشارية في علاج أمراض الأورام، قم بإزاحة تلك الجحافل البشرية وادخل للعيادة، ستجدني جالسًا على أحد المقاعد أنظر للأرض شبه نائم وأنا أحمل حافظات التحاليل والأشعة الخاصة بي سواء السابقة أو التي قمت بها منذ ثلاثة أيام.

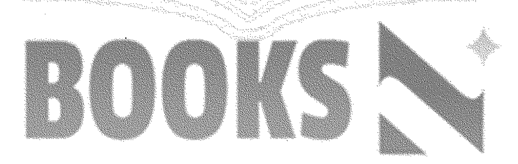
أهلًا بك يا من تقرأ كلماتي في وادي الألم. تأمل معي تلك العيادة

الضيقة وهذا العدد المهول من المرضى متبايني الأشكال والهيئات، موعد حضور طبيبتنا العبقرية الساعة الخامسة مساءً، عن نفسي قد حضرت قبل موعدي بثلاث ساعات؛ لأن سيادتها لم ولن تأتي في موعدها وعليّ أن أحجز الكشف مبكرًا لأكون من أوائل المرضى عند حضورها. الساعة الآن الثامنة، والهواء نفسه مشبع باليأس والغضب والاستسلام. هذا الرجل ذو الجلباب المهندم والعباءة الصعيدية وعمامته الملفوفة يغادر مقعده متململًا وهو ينظر لفتاة مراهقة محجبة تجلس بجانبه بنظرة حانية تبدّلت معها ملامح وجهه المنحوتة الصارمة لحظاتٍ ثم تحول وجهه للحنق وهو ينظر للممرض الجالس يتحدث مع الممرضة الشمطاء ويقول «اتصل بالدكتورة الله يرضى عليك لنعرف رأسنا من رجلينا، أمامنا سكة سفر طويلة».

ينظر له الممرّض قبيح الوجه بتعالٍ ويقول كأنه يبصق عليه: «عُد لموضعك يا عمدة، ولو أردت المغادرة أخبرني كي تأخذ نقودك وتعود بألف سلامة لبلدك».. ما فعله الرجل كان متوقعًا، أشاح بنظره لموضع آخر وقد انكسرت كرامته أمامنا، لم يغضب أو يرد بل ابتلع الإهانة وهو ينظر للفتاة التي أعتقد أنها ابنته التي تعاني من ورم سرطاني، نظرة واحدة عليها من قبلي تجعلني أحدّد أنها في المرحلة الثالثة تقريبًا من المرض، لكن يأسها البادي على وجهها البريء يجعلني أتكهن بأنها تريد الاستسلام.. أتمنى لها العكس.

لن أترك نفسي لأصير مثل هذا الرجل، أو لأكون أكثر تحديدًا، لن أشتبك بالكلام مع هذا الممرض، والذي بالمناسبة اسمه (إسماعيل)،



وقلت إنني لن أشتبك معه بالحديث لأنه لو أتت لي الفرصة للاشتباك معه سأخرج مسدسًا من جيبي وأفجر به رأسه.

(إسماعيل) له خلقة متميزة جدًا، فوجهه كوجه كلب (البولدوج) العجوز، شارب ضخم غير معتنى به وعيون واسعة وقحة بجلد مترهل منفر، أراهن أن مهنته السابقة هي كلب، يدربه سيده على افتراس كل من يقترب منه، وهذا ما فعلته (ابتهال) الطبيبة التي وضعته هنا لينهش المرضى إن تعالت شكواهم، مجرد كلب جبان يحسب نفسه إنسانًا، ها هو يجلس بجانب ممرضة قبيحة تزين وجهها بمجموعة كبيرة من ألوان مساحيق التجميل وكريم الأساس، عدساتها اللاصقة الملونة الرخيصة التي ترتديها تثير الضحك أكثر مما تثير الإعجاب، تتغنج في حديثها مع (إسماعيل) بدون مبرر سوى أنها... لا لا، لا أعتقد أنها عاهرة بل هو طبعها، مجرد تمايل ودلع زائد لتعوض قبح وجهها، لن أقتلها في خيالي، سأكتفي بإسماعيل، ربما أخرجت لسانه الزفر لأثبته على قفاه بصمغ، ثم أحلق شاربه من الأطراف ليصير كشارب (هتلر) المضحك.

للأسف أخرجتني دكتورة (ابتهال) بدخولها العيادة من خيالاتي الشهية حول (إسماعيل)، دخلت بكل غطرسة وخيلاء كأنها ملكة ونحن رعاياها من المرضى نتضرع لها لتلقي علينا نفحات من علاجها السحري وهي ليست سوى طبيبة فاشلة تتعامل من الباطن مع شركات الأدوية المتخصصة في العلاج الكيميائي لتجرب على المرضى المصريين تأثير تلك العلاجات بشكل غير قانوني.

أنا أعلم عنها الكثير لكني لا أملك أدلة يمكن أن تُقدَّم للجهات القضائية سوى كلمات الأطباء الشباب الذين يعلمون كل شيء بلا قدرة على سرد الحقيقة.

وجهها كالشراب المقلوب عندما رمَتْنا بنظرات القرف التي تتميز بها وهي توجه كلامها لإسماعيل بلا أن تنظر له:

- ألم أقل ألا يدخل العيادة أي مريض بدون كمامة الوجه؟!

ألقت عبارتها ودخلت لنهاية الممر حتى غرفتها واختفت داخلها، عن نفسي لم أخلع الكمامة منذ خرجت من بيتي لأن فيروس (كورونا) ما زال منتشرًا في كل مكان منذ ظهر العام السابق 2020م، لكنني لا ألوم على بقية من في العيادة من مرضى إن فشلوا في التنفس أثناء ارتدائها.

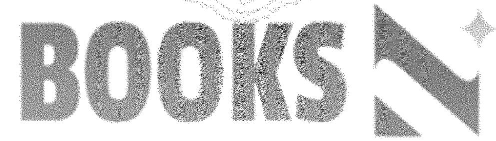
نبح (إسماعيل) على أول المرضى ليدخل إلى الطبيب الاستشاري أولًا، ثم نادى على اسمي فنهضت لأدخل أول غرفة في الممر للطبيب الشاب الذي لا أعرف اسم؛ه لأن (ابتهال) تغيرهم باستمرار، فهم مجرد متدربين تحت يديها ليكتبوا تقارير عن تطور كل حالة في ملف منفصل كي يقدم لها قبل دخولنا، هذا الطبيب الجالس في الغرفة الضيقة كان مبتسمًا بشوشًا، دعاني للجلوس وهو يفتح ملفي أمامه ويتسلم مني التحاليل والأشعة الجديدة.

لم أكرهه فعلًا فهو يحاول أن يُطمئِن كل المرضى بنبرة حديثه الهادئة وتعبيرات وجهه التي تخبر الجميع أن الأمر هين ولا داعي للقلق، لكنني أقرأ تعبيرات الوجوه وهذه مَلَكة معظم الكُتّاب، وابتسامته الودودة التي تجمدت على وجهه أخبرتني بالكثير.

- صور الأشعة جيدة، والتحاليل أيضًا يمكن أن نقول إنها مناسبة.

ابتسمتُ لكلماته المهزوزة وكأنه يحاول تجميل شيء بداخله يكافح لإخراجه وهو يرفع عينيه ناحيتي.

- متزوج أنت يا أستاذ (داوود)؟

- نعم.. لكني لا أفضّل اصطحابها للمستشفيات والعيادات.

لم يتكلم وإن حافظ على ابتسامته الباهتة فقلت بهدوء:

- أخبرني أنا بما تراه وأنا سأخبر به زوجتي لتعتني بي.

ضحك بعصبية ليلطف الأجواء وقال:

- لا تتشاءم هكذا.

- هل انتقل السرطان للمرحلة الرابعة؟

- لا تقلق، أعتقد أن اختيار إعادة الجلسات الإشعاعية مطروح ثانية، دكتور (ابتهال) ستختار الأفضل.

أعقب عبارته بدس رأسه في الأوراق أمامه ثانية ليضيف لملفي بعضَ الأشياء ثم ناوله لي مع بقية الأوراق متمنيًا لي السلامة.

خرجت من غرفته فأشار لي (إسماعيل) بلا اكتراث بأن أدخل للطبيبة، نهاية الممر ثم الباب الخشبي ثم داخل الغرفة حيث تجلس ابتهال خلف مكتبها كالطاووس العجوز ترتدي نظارة طبية للقراءة تطالع ملفات أمامها، هذه المرأة تدعي الأهمية وتمثل الانشغال.

بالمناسبة أنا لا أكرهها، كل ما هنالك أنني أحتقرها وأتمنى قتلَها بأبشع طريقة تتخيلها، ما المشكلة لو حلق أحدهم شعر رأسها ثم كسر جزءًا من عظم الجمجمة ليقتص قطعة من المخ وهي واعية.

- تفضل.

قالتها وهي تمد يدها لي بدون أن ترفع عينيها عن الأوراق، فجلست وأنا أناولها التقارير، ألقت نظرة سريعة على كل شيء ثم فتحت ملفي الذي أضاف له الطبيب الشاب بضع عبارات وقالت:

- ستخضع لـ 6 جلسات علاج كيماوي جديدة لكن هذه المرة في مستشفى (سيجما نوح) بمدينة 6 أكتوبر.

رفعت نظرها لي لأول وكأنها تنظر من خلالي بعين خالية من المشاعر وقالت:

- أنصحك بشدة بنوع كيماوي يناسب حالتك.

- هل هو مختلف عما أخذته سابقًا؟

- يتبع شركة هولندية جديدة وهو أفضل من كل النوعيات المتوفرة في السوق المصري، صحيح أغلى سعرًا لكنه أقوى.

- هل حالتي تتحسن أم...

قاطعتني ببرود وهي تعود لتنظر للملفي:

- لا تشغل بالك، كل شيء تمام، المهم هل ستأخذ بنصيحتي؟

هكذا ببساطة، لا سؤال عن حالتي أو أدويتي أو المضاعفات التي تأكلني داخليًا، تلك الفقمة لا تفقه شيئًا عن الطب وأنا لا أبالغ أو أظلمها.

- هناك ألمٌ شديدٌ يأتيني منذ أيام برأسي والمسكنات التي كتبتِها لي...

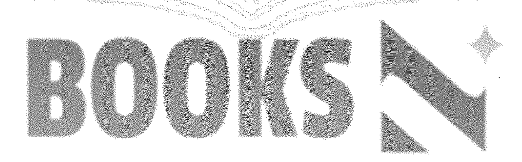
قاطعتني ثانية وهي تتململ على مقعدها:

- نحسم النقطة الحالية ونرى موضوع الألم بعدها.

فهمت موضوع المبادلة، علاج ألمك مقابل نقودك.

- حسنًا سأذهب للمستشفى و...

- جيد، ادفع بالخارج مع (إسماعيل) مبلغ 15 ألف جنيه كدُفعة أولى وسيعطيك هو ورقةً لتذهب للمستشفى.



- معي 8 آلاف جنية الآن.

- ادفعهم الآن وادفع البقية غدًا ثم اذهب بالخطاب الذي ستتسلمه إلى المستشفى وبقية الدفعات تدفعها هنا أيضًا.

- حاضر.

رفعت عينيها، وقالت بصوتها الذي يشبه اللبؤة العجوز:

- سأكتب لك وصفة طبية لأدوية قاتلة للألم تصرفها من عيادة الألم بمعهد الأورام وبكمية ستكفيك لفترة طويلة.

- هل يمكن أن أستفسر عن تقدُّمي في العلاج حتى الآن؟ هل استطعنا إيقاف توغل السرطان؟

مدت لي ورقة الوصفة الطبية وقالت وكأنها لم تسمع سؤالي:

- يمكنك صرف دواء لمدة شهر كامل، مع الاستمرار على الأدوية القديمة.. أراك بعد انتهاء جلسات الكيماوي.. شكرًا لحضورك يا أستاذ (محمود).

العاهرة لم تكلف نفسها بقراءة اسمي على الأوراق ببعض التركيز، لكن لا ضير من محاولة أخرى يائسة، ابتلعت ريقي وقلت:

- أحتاج لمعرفة تفاصيل دقيقة عن...

قاطعتني بعيون متوعدة قائلة:

- لن تفهم المصطلحات الطبية حتى لو شرحت لك من اليوم إلى الغد. أورام المخ عندك مختلطة، بعضها في المرحلة الثالثة والبعض في المرحلة الرابعة، هل فهمت؟؟ ثق فيَّ يا سيد (محمود) ولا تنسَ دفع المبلغ في الخارج.

أنهت عبارتها وهي تشير بيدها لباب غرفة الكشف وهي تمثل انشغالها بمطالعة أوراق أمامها، غادرت الغرفة وذهبت لمكتب الكلب وناولته المبلغ الذي كان بحوزتي فناولني إيصال به.. لماذا تنظر تلك الممرضة الشبيهة بالمهرج لي بتلك النظرة، كأنها تحتقرني أو تشمت بي.

غادرت العيادة ونزلت لمدخل العمارة لأقف عنده قليلًا أشم الهواء الممتلئ بعادم السيارات، ولكنه أفضل عندي من هواء تلك العيادة المقيتة، لو أعطوني بضعة أصابع ديناميت سأخرج المرضى من العيادة بكل ذوق وأدب وأخرج معهم هذا الطبيب الشاب المبتسم لأنه كان طيبًا مع الجميع، وألغم العيادة بالمتفجرات مع وضع إصبع ديناميت في فم (ابتهال) وفم الممرضة الغبية، وإصبعين في مؤخرة (إسماعيل) لأنني أقدره بشدة، ثم أفجر العيادة والمؤخرة وأنا خارجها أشرب سيجارة مستمتعًا بجانب فنجان قهوة بن فاتح بلا سكر.

على سيرة السجائر، أخرجت كيس التبغ وورقة البفرة والفلتر وحاولتُ لف سيجارة وأنا أسير ناحية سيارتي التي ركنتها في جراج بعيد، كنت أستطيع لف سجائري وأنا أسير دون النظر إليها، لا أعلم ما حدث، تركيزي ضعيف وأوراق الأشعة والتحاليل تحت إبطي تعيقني، وهذا أضفى على مظهري هيئة المتسول الذي يلف سيجارة بصعوبة.

انتهيت من اللف فأشعلتها وأنا أبعد القناع الطبي عن وجهي وأستنشق دخانها.. سعلت بشدة، رائحتها سيئة مقرفة، بضعة أنفاس عودتني على الرائحة الكريهة حتى وصلت للجراج الخاص بإحدى العمارات، ألقيت السيجارة على الأرض كأنها صرصارٌ حي وجدته في

ملابسي ودخلت لسيارتي وأنا أعطي مبلغًا ماليًا للحارس وأخبره أنني سأجلس بسيارتي قليلًا من الوقت بسبب الإرهاق قبل المغادرة.

ها هي سيارتي الفولكس فاجن التي انتهت أقساطها منذ أقل من عام، يا ترى مَن سيرثها من عائلتي!! أتمنى أن تكون (مروة) شقيقتي، غدًا سأمضي معها عقد بيع تلك السيارة، دخلت وجلست خلف المقود فرنَّ هاتفي المحمول، إنها (مروة)، فتحت زجاج نافذة باب السيارة وأنا أجيب عليها.. كانت تطمئن على زيارتي للطبيبة، فهي تحفظ كل ما يتعلق بمواعيدي الطبية.. أخبرتها بأني سأمرُّ عليها في الغد ليلًا فرحبت، ولم تنسَ أن تخبرني بأن أمي وشقيقاتي يبلغنني التحية وأنهن يتابعن حالتي المرضية لحظة بلحظة من خلالها، ضحكت بسخرية وأنا أغلق المكالمة.

- آآآآه من الألم، في كل نقطة بجسدي الضعيف، كيف أصاب بسرطان المخ وتأتي الآلام من بقية جسدي حتى وإن لم تكن بقوة ألم الرأس؟؟، لا يهم، اقتربت الراحة، التفتُّ للحقيبة الجلدية التي أضعها على الأريكة الخلفية للسيارة وسحبتها، أخرجت منها ملفًا ضخمًا صنعته منذ سنوات لكني عدت لتنشيطه من جديد الفترة السابقة.

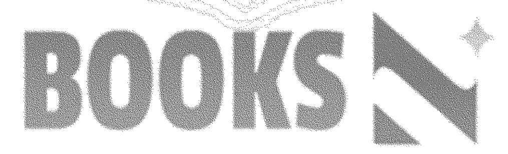
أمسكت ورقة قطعتها من جريدة قديمة لسنة 2006م، وقرأت بعيني الخبر الذي كنت أحفظه (تلقت مديرية أمن الجيزة بلاغًا يفيد العثور على جثة أحد الأشخاص داخل مسكنه في بولاق الدكرور، انتقل رجال المباحث إلى محل الواقعة لمناظرة الجثة، وتبين أنها لمُسنٍّ مقيم بالشقة يُدعَى (ع.ص) على المعاش، تم اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لبيان وجود شُبهة جنائية في الوفاة من عدمه، وبعد البحث وتقديم تقرير

التشريح تبين أن الوفاة كانت نتيجة تعاطي مادة دوائية بجرعة زائدة أثّرت عليه وتسببت في هبوط حاد في الدورة الدموية، تم التصريح بدفن الجثة وتسليمها إلى ذويه).

أعدت الورقة إلى الملف وسحبت ورقة أخرى تعود لنفس العام من جريدة حكومية وعدت لقراءة الخبر المدوَّن بها (تلقى المقدم فتيحة نصر رئيس مباحث قسم الوايلي بلاغًا بالعثور على جثة امرأة في العقد الرابع مقتولة داخل شقتها، وقد أبلغت (س. متولي) -مدبرة منزل اعتادت زيارتها كل ثلاثة أيام- بالعثور على جثتها في غرفة النوم. انتقل رجال المباحث للمعاينة وتبين وجود آثار مقاومة على جثة المجني عليها وآثار اقتحام للشقة واختفاء لمصاغ وبعض المبالغ النقدية، تشكَّل فريق للبحث الجنائي لعمل التحريات اللازمة لكشف ملابسات الواقعة).

ابتسمت وأنا أتنفس الهواء ببطء وأسحب ورقتين مجموعين معًا بدبوس معدني، أولهما عليه خبر من عام 2009م يقول (تكشف مديرية أمن القليوبية جهودها لكشف ملابسات العثور على شاب مجهول الهوية، ورد بلاغ لوحدة مباحث مركز شرطة القناطر الخيرية يفيد بعثور أحد جامعي القمامة على جثة متعفنة بالقرب من إحدى المدارس الثانوية في دائرة القسم. على الفور انتقل رجال المباحث لمكان الحادث، وبالفحص تبين وجود جثة شاب لا يحمل أي متعلقات شخصية وبه آثار لعدة طعنات متفرقة. تم اتخاذ الإجراءات القانونية ونقل الجثة لبيان صفتها التشريحية، وجاري الكشف عن شخصيتها بعد التأكد من وجود شبهة جنائية).

والخبر الثاني في نفس العام كُتب فيه (المباحث الجنائية تكشف لغز



الجثة المجهولة، استطاع فريق البحث الجنائي الذي تم تكليفه بمتابعة قضية الشاب الذي عُثر عليه مقتولًا بجانب إحدى المدارس بالقناطر الخيرية، وقد تبين أنه محامٍ ويُدعى (رياض.ح)، 33 سنة، تناوب اثنان على قتله بعد بيان الطب الشرعي الذي فسر استخدام نوعين مختلفين من الأدوات الحادة وقد تعرَّض المجني عليه قبل قتله لنوع من التعذيب؛ مما يرجّح أن القتلة كانوا على معرفة شخصية به وأرادوا شيئًا ما قبل قتله، وجاري كشف بقية ملابسات القضية تباعًا).

حارس الجراج يطيل النظر لسيارتي، على الأغلب بدأ يشعر بالملل لعدم مغادرتي إلى الآن، ابتسمت له وأنا أقول بنبرة غير مسموعة:

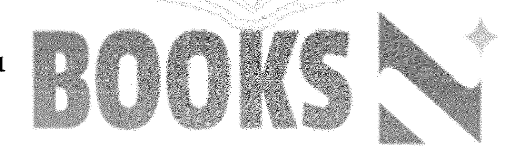
- حسنًا يا وجه الفرخة، سأغادر.

ألقيت الأوراق والملف في المقعد الخلفي، وأدرت الموتور وأنا أغادر متجهًا لدار النشر.

***

قيادة السيارات في (مصر) عذاب، أعرف أن العبارة مبتذلة ويرددها الجميع وخاصة مَن سافر لشهر أو اثنين حتى لأي دولة أخرى حتى ولو كانت (أستونيا) لكني أكره القيادة بشكل عام، وأشعر أن على حواسي الانتباه بأكثر من المعتاد، ربما إن التزم السائقون مِن حولي ببعض القوانين سأقود بشكل أسهل.. لا يهم، فأنا غبي في القيادة على كل حال؛ لذا أفضّل استقلال سيارات الأجرة والميكروباص كلما استطعت.

شوارع منطقة (العمرانية) بالجيزة أقل ازدحامًا، وها أنا أقترب من العمارة السكنية التي تحمل إحدى شققها من الخارج لافتة (دار



الهاتف للنشر والتوزيع)، عدد دور النشر في مصر مهول حتى إن بعضها اتخذ لنفسه اسمًا من حرف واحد والبعض كتب أسماء مكررة كالأمانة والصلاح وكل ما تتخيله من أسماء، أما هذه الدار فاسم (الهاتف) له قصة تافهة معها يرويها صاحبُها كل فترة بفخر ويضحك بعدها بحكمة، يقول إنه اختار اسم (الهادف) -وهو اسم مبتذل لن أسميه لدجاجة- وبدأ في إنهاء الأوراق القانونية، وبسبب خطأ ما دُوِّنَ في أحد الدفاتر باسم (الهاتف)، فشعر بأنها علامة من الله، وسار خلف الاسم الغريب فنجح، كما ترون هي قصة تليق بشخص مجنون يلقيها في محاضرة أمام مجموعة من الحمقى.

ركنت السيارة بجانب باب العمارة القديمة وصعدت الدرج - أو السلم لا فرق هنالك- حتى الطابق الثاني، شقة متوسطة، منطقة الاستقبال تمتلئ بالمكاتب المحشورة بجانب بعضها البعض يجلس خلف تلك المكاتب خليط من الموظفين البائسين فتيات وفتيان في بداية الشباب لكن وجوههم هي مثال ممتاز لسن الكهولة يمكن عرضه في صورة توضيحية عن مشاكل الشيخوخة.. يختارهم صاحب الدار على الفرازة بصفات خاصة، يجب أن يكونوا في أشد الاحتياج للمال كي يقبلوا بالراتب الضئيل الذي يدفعه، يجب أن يكونوا في بداية الشباب ليتحملوا الأعمال الشاقة والتي يكلفهم بها لمجرد أنه المدير، على عقولهم أن تخلوا من الطموح والترقي في العمل وإن ظهرت بادرة من الطموح على أحدهم فيجب قتلها فورًا، وكي لا يتكون هذا الطموح عليهم ألا يعرفوا من أسرار العمل في مهنة النشر إلا القليل كي لا يكتسبوا خبرة تؤهلهم للعمل في دار نشر منافسة أو حتى فتح عمل خاص بهم.. باختصار يحاول بكل جهد

تحويلهم لعبيد من القرون الوسطى، ويظل هو السيد في كل وقت بلا منازع على السُّلطة.

تهلل الشباب عند دخولي لأنني الآن حجة لهم ليأخذوا قسطًا من الراحة.. لا أفهم كيف لهم أن يعملوا إلى هذا الوقت من اليوم!!، مواعيد عملهم انتهت من فترة طويلة.

جلست على أحد المقاعد الخالية بعد أن خلعت قناعي الطبي وأنا أوزع الابتسامات عليهم وأداعبهم واحدًا واحدًا باسمه، نعم فأنا متخصص في تمثيل شخصية أخرى مخالفة لطبيعتي، أستطيع إلقاء النكات والظهور بمظهر خفيف الدم دمث الأخلاق المهتم بالجميع.. طبعًا حدث ذلك بعد سنوات من التدريب كي أتقن مجموعة من المهارات الاجتماعية، وإن كنت أعترف أنني أستمتع بتمثيل هذه الشخصية وأراقب ردود أفعال من حولي عليها، ولأن أصوات الضحكات ارتفعت خرج من مكتب المدير السيد (حسين عبده) صاحب دار النشر وهو يصيح كالديك فيمن يضحك حتى تفاجأ بي فابتسم بخبث وقال بترحاب شديد أقرب للنفاق: «كاتبنا العظيم العبقري.. لماذا لم تدخل لمكتبي المتواضع عند وصولك!!، هيًا يا رجل لتشرفني بالجلوس معك»، ثم أشار لإحدى الفتيات وأمرها بلهجة جافة بأن تحضر لنا كوبين من القهوة السادة أحدهما بلا وجه.

نهضت لأسير خلفه لمكتبه وهو ما زال يتكلم بقدر كبير من النفاق حتى دخلنا وجلست أنا أمام المكتب، آه كم أكره هذا الرجل، أكرهه وأحتقره، كل ما فيه يثير اشمئزازي حتى هيئته.. لو وصفته لفهمت مما يتكون هذا الرجل، فهو عجوزٌ في نهاية الستينيات من عمره لكنه يعشق ارتداء سراويل الجينز والتي شيرت والقمصان الملوّنة والكوتشي،

يذكر لمن حوله أن تلك الملابس تعطيه حرية في الحركة لكنها في رأيي لا تعني شيئًا إلا أنه عجوز متصابٍ بشعر أبيض يصبغه باللون الأسود ثم تتطاير الصبغة فتختلط الخصلات البيضاء بالسوداء، ثم هناك شيء لا أصدق أنه ما زال يفعله إلى يومنا هذا، إنه يربي شاربه ثم يحلقه من الأعلى، لم أكن أصدق الكاتب د/ أحمد خالد توفيق رحمه الله الذي قضيت مع كتبه طفولتي ومراهقتي وشبابي وهو يقول على لسان أحد أبطال رواياته «إنه لا يثق بهؤلاء الذين يحلقون شواربهم من الأعلى»، رحمك الله يا عبقري فقد كنت تعرف الكثير عن الحياة، ولو عادت إليك الحياة ونظرت لحسين عبده لعلمت أنه لا يكفي فقط عدم الثقة به بل يجب قتله على الفور.

- فيمَ يشرد كاتبنا الهمام؟

آآآه، حتى عباراته مفتعلة وتعبيراته قديمة، فعلًا كنت شارد الذهن حين كنت أفكر في كم الغثيان الذي يسببه لي هذا الرجل لمجرد النظر لوجهه المتغضن المبتسم بدهاء، لا يعرف قارئ الكتب كم الصراعات التي تنشأ خلف صناعة الكتاب، وخاصة المشاحنة الدائمة بين الكاتب والناشر، وأنا تعاملت مع الكثير من الناشرين منذ بدايتي في هذا المجال، لكن (حسين عبده) كان أقذر مَن عرفت منهم، منذ سنين طويلة تعاملت مع بعض دور النشر النصابة، ثم تعاملت مع دور نشر جيدة، لكن لأن الحياة تطلب نوع من المخاطرة للنجاح تعاملت مع دار نشر شبابية لصديق طموح كان يعمل لتطوير نظام توزيع الكتاب وترقية المبيعات، وأفكاره كانت جريئة وذقت معه طعم النجاح الحقيقي وطعم المال لأول مرة، لكنه فضل الابتعاد عن مجال النشر وفتح شركة استيراد،

ومجبر أخوك لا بطل، استلمت رواياتي وكتبي منه لأبحث عن دار نشر جديدة طموحة تحقق لي ما ذقته، ليظهر لي (حسين).

اللهم اكفني شر ساعة الغفلة.. أعتقد أن نيتي لم تكن سليمة وأنا أدعو بهذا الدعاء، لأن (حسين) أتى في ساعة الغفلة، أقنعني بنشر كتبي معه وقدَّم عرضًا ماليًّا أسال لعابي حتى نشرت معه ليبدأ معي سياسة لم أفهمها في البداية، اعتمد على إغرائي بالمال جيدًا حتى أقوم بإمضاء عقود روايات لم أكتبها بعد، كلما شعرت باحتياج للمال عرض هو أكثر مما أحتاج، ولكن يطلب أن نكتب عقودًا جديدة لروايات مستقبلية، ويحدد في تلك العقود مواعيد لأسلم بها الرواية وإلا سأدفع شرط جزائي محترم.

بعد سنوات أصبحت أنا مِلك لهذا الرجل، أكتب كالآلة كل يوم لألحق بالمواعيد ثم أكتشف أن المال الذي اكتسبته لم يكن بقيمة ما أفعله، فقد استطاع الحصول على كل ما كتبت من روايات وكل ما سأكتب تقريبًا وحقوق نشرهم بكل اللغات وحقوق تحويلهم لأعمال سينمائية وكل هذا بسعر بخس، ويوم أن فكرت في الاعتراض انقلب هذا الحيوان عليَّ وهددني بجيش من المحامين وبعض الرجال في مناصب حكومية.

مكالمات من شخصيات هامة تلقيتها أبلغوني بلا مواربة بأن أتعقل وأنفذ كل ما يطلبه (حسين) وإلا لن يكون حبسي في قضايا متنوعة هو آخر مشاكلي، حاولت عدم الاستسلام فظهرت لي المصائب من العدم وعلمت أن هذا الرجل يعرف كيف يقضي على أعدائه بحقّ.. تراجعت، نعم تراجعت واعتذرت له أمام الجميع لأني فكرت بنشر رواية جديدة مع دار نشر أخرى، وقد كان شيئًا مذلًا لم تمحُ مرارته من فمي حتى اليوم.

لكن أثناء فترة صراعي معه عثرت على بعض الأشياء المرعبة تتعلق به، فالسيد (حسين) المتزوج والذي له العديد من الأبناء يعشق الفتيات الصغيرات.. نعم أقصد الفتيات الصغيرات تحت سن الـ18 عام، وهناك 4 حالات تحرش استطاع تهديد أسرهن بألا يتحركوا قانونيًا وما خفي كان أعظم.

والشيء الثاني أن له صلات غريبة بعاهرات يستخدمهن لإنهاء مصالحه مع بعض الشخصيات، يدفع لهن ويرسلهن لبعض الرجال مقابل مصالح مالية، شيئًا ما يشبه القوادة ولا يمكن الإمساك به.. عرفت كل هذا وأكثر منذ عامين، ولم أقدر على فعل شيء وخاصة لحالات تحرش الفتيات، ناهيك عن التحرش ببعض الكاتبات من أعمار مختلفة واللواتي فشلن في إثبات شيء عليه.

انقطع حبل أفكاري و(حسين) يصيح بشك:

- أتسمعني يا (داوود)؟؟ هل تشعر بتعب؟

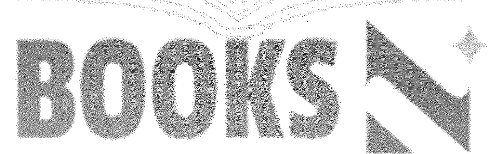
- لا .. لا.. قليل من عدم التركيز.

أخرجت أدوات لف السجائر فقال هو بحنان مُفتعَل:

- ألم توقف التدخين بعد؟؟ صحتك يا بني.

- الحمد لله صحتي في تحسُّن والسرطان يقل انتشاره فلا ضير من سيجارة من وقت لآخر.

ابتسم هو بفرح حقيقي، يجب الكذب عليه لأنه لو علمَ باقتراب موتي لأجبرني على التوقيع على ملابسي الداخلية بيعًا وشراءً له، لكنني أشتري بعض الوقت والمال أيضًا.



- بالمناسبة.. سأحتاج مبلغًا ماليًّا يا أستاذ (حسين) للأيام القادمة.

- أنـت تؤمـر فقـط وعـليَّ التنفيـذ.. لكـن مـا السـبب؟ هـل انتهـت أموالـك؟

دخلت الموظفة تحمل أكواب القهوة تضعها أمامنا فقلت لها بسرعة:

- (منار)، ما رأيك في آخر رواية كتبتها؟؟

ارتبكت الفتاة المسكينة وهي تردّ «رواية حلوة يا أستاذ (داوود)».

- مـا رأيـك إذًا لـو كتبـت روايـة بعيـدًا عـن الدرامـا والرومانسـية؟.. سـأكتب عـن الجريمـة فقـط، هـل تقبلـين قراءتهـا؟

زادت حـيرة الفتـاة وهـي تجيـل نظرهـا بينـي وبـين (حسـين) المترقب حتـى أرحتهـا عندمـا ابتسـمت وشـكرتها ثـم طلبـت مغادرتهـا.. اتجهـت بنظـري لحسـين وأنـا أشـعل السـيجارة وأقـول بثقـة مفرطـة:

- هـذا هـو ردُّ الفعـل الـذي أريـده.. (منـار) مثـل الكثـير مـن القـراء تعـودت عـلى نـوع معـين مـن الروايـات التـي أكتبهـا وتشـعر معهـا بالأمـان، ستصاب بالصدمـة إن كتبـت روايـة مختلفـة كروايـات الجريمـة والإثـارة، هـل تفهمنـي؟

هـز (حسـين) رأسـه بالموافقـة لكنـه طبعًـا لم يفهـم شـيئًا ويشـعر بالتيـه، ليـس هـو فقـط مـن يقـدر عـلى بيـع الهـواء في زجاجـات، أنـا أيضًـا أعـرف بعـض الحيـل، لـذا قلـت بحمـاس:

- انـسَ كل الروايـات التـي كتبتهـا السـنوات السـابقة أو التـي كتبـت معـك عقـودًا لكتابتهـا في المسـتقبل، أنـا الآن أكتـب روايـة مليئـة بالدمـاء والمـوت، جريمـة، إثـارة، خـوف، سيشـعر القـراء بعـدم الراحـة لشرائهـا في البدايـة، ومـن

يقرأها سيشكو من كثرة الموت والحديث عنه فيرفضونها، فيتردّد اسمي مصحوبًا بالشتائم لأني تجرأت وكتبت في تلك النوعية، ثم تتحول الرواية لنقطة مضيئة من كثرة الحديث عنها فيعود قرائي ويفكرون بشرائها ثم تظهر شريحة جديدة من القراء لا يعرفون عني شيئًا لكنهم سيأتون على سيرة السباب الذي أتلقاه وتنجح الرواية كما لم تنجح أيّ روايات نشرتها أنت أو كتبتها أنا.

حين أنهيت كلماتي أخذت في السعال وعين (حسين) تلمع وهو يتخيل على الأغلب النقود تنهمر على رأسه كالراقصات في الأفراح الشعبية، ثم قال:

- هل اخترت اسمًا؟

- بالطبع.

انشغلت ببيع فكرة القصة له ونسيت اختيار أي اسم، علي أن أحصل على اسم في أقل من ثانيتين، رواية مليئة بالقتل والموت، ماذا أخبره!!

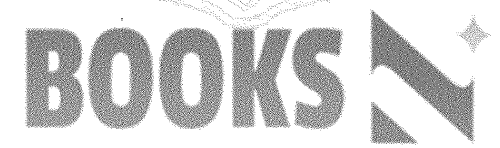
- ذكرى الموت.. أأأأ.. لا... الاسم هو أذكار الموت، رواية (أذكار الموت).

لم أجد اسمًا أسرع من هذا، أما هو فأخذ يتلمظ الاسم في فمه فعاجلته بنفس الحماس:

- أذكار أتت من الذِّكر أي التذكُّر.. والموت.. أأأأأأ، أتفهمني!! إنه (أذكار الموت)، سترى تأثير الاسم بنفسك عند طباعة الكتاب.

هش وجهه أخيرًا وهو يقول:

- مبارك لنا، سنمضي العقد الآن، واكتب المبلغ الذي تريده كمقدمة و...



قاطعته ودخان سيجارتي يعمي عيني:

- لكن بشرط.. سأختفي الأسابيع الباقية لأنهي الرواية وأبحث حول بعض جرائم القتل فلا أريد أي إزعاج وإن احتجت منك نقود أخرى سأرسل في طلبها.

- موافق طبعًا حدد لي موعد للتسليم وسنكتبه في العقد.

- بعد شهرين ستكون عندك النسخة النهائية.

نهض هو جريًا ليعد العقد الجديد، الغبي لا يعلم أنني سأكون ميتًا على الأغلب قبل أي مواعيد تسليم، وإن كنت أتمنى أن أجرّه للقبر معي، ولكن هذا القواد يجب أن يكون موته فضيحة له ويا حبذا لو انتحر بسبب الفضيحة.

***

عدت لمنزلي، ألا تريد معرفة أين أسكن؟؟ سأخبرك حتى لو رفضت، أتعرف شارع الحجاز بمصر الجديدة؟؟، أنا أسكن في إحدى عماراته، لست فقيرًا فقد تعلّمت بعض الأمور الاقتصادية وخاصة الاستثمار في البورصة وسندات الذهب وبيع بعض العقارات، اشتريت تلك الشقة منذ 4 سنوات وفيها تزوجت، لن أصف لك الشقة لكنني سألمح لك أن أثاثها متوسط الجودة عالي الذوق فقد اختارته (بسمة) على ذوقها.

أين هي على كل حال!!، لقد أحضرت معي طعامًا جاهزًا من الخارج، ناديت عليها فأتت، لن أصف لك زوجتي فهذا لا يخصك لكن يكفي أن تعرف أنها جميلة بعيون سوداء مرسومة من الأطراف كأنها تضع الكحل دائمًا، مشكلتي معها أنها تشعرني بحقارتي على طول الخط.

تزوجتها منذ أربع سنوات فاختلفت حياتي تمامًا، هي تصغرني بخمس سنوات، لكنها لم تشعرني بهذا الفارق فحكمتها وخبرتها تفوقني، أذاقتني معنى السعادة والأمان وتخلصت معها من القلق المزمن الذي لازمني، لكن الأشياء الجميلة لا تدوم، انقلبت (بسمة) فجأة بعد إصابتي بالسرطان، انقلاب لا أستطيع الإمساك به فهي ما زالت معي لكن روحها غادرتني.

- أحضرت الدجاج المشوي الذي تحبينه من ذلك المحل المريب.

أخبرتها بعبارتي وأنا أخرج الدجاج - كنت أفضّل استخدام لفظة فراخ - من الكيس البلاستيكي وأضعها على منضدة الطعام.

- هيًا أسرعي، أحضرت أرزًا وخضارًا ساخنًا.

وقفت بجانبي لتساعدني لكنها تشممت ملابسي بشك ثم تحوّل وجهها من البرود إلى اللوم.

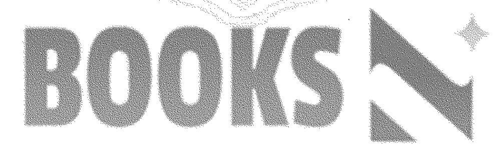
- لم عدت لشرب السجائر بكثرة يا (داوود)؟

- ثلاث سجائر فقط يا حبيبتي.

نظرت لعيني بنفس اللوم ولم تنتطق كأنها تعلم كذبي، جلست أنا على المنضدة فلمست هي ظهري بيدها.. سرَتْ رعشة راحة من أسفل عنقي لأعلى رأسي، لم تؤثر في لمسة امرأة كمثل تأثيرها، كأنها المكافأة أتلقاها بعد يومٍ شاقٍّ، بصوتها الناعم الذي اختفى منه اللوم وحلّ الحنان محله قالت:

- هل طمأنتك الطبيبة اليوم؟؟

استنشقت الهواء من حولي الذي حمل عبير جسدها ورددت عليها:



- نعم، بدأنا نسيطر على خلايا السرطان.

حركت يديها بطريقة دائرية على ظهري فزادت القشعريرة المحببة وقالت:

- أنت تكذب.

ابتسمت بعين مغمضة وقلت:

- من الغد سأبدأ تنفيذ ما وعدتك به.. سأكتب رواية عظيمة بنهاية مرضية للجميع.

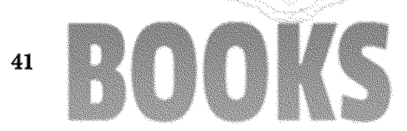
جلست بجانبي ونظرت للدجاجة الساخنة الملتفة بورق القصدير وهي تقول:

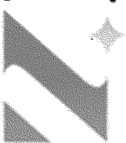
- متأكدة من أنك لن تستمع لي لو طلبت منك ترك تلك الرواية، وأن نعيش الأيام الباقية في هدوء.

فتحت عيني وفككت ورق القصدير من على الدجاجة -أو الفرخة لا يهم- وسحبت وركها الذي أصدر صوت تفسخ العظام وأنا أناوله لبسمة التي ابتسمت بطرف شفتيها لأول مرة وهي تربت على يدي ثم تمسكها وتضعها في فمي لآكلها.

صدقوني كتبت عشرات المشاهد الرومانسية في قصصي، ومشهد أكل الدجاج الذي حدث معي كان أفضلهم وأصدقهم، صحيح أنني واجهت صعوبة في الابتلاع وفارت معدتي كأنني أوشك على التقيؤ، لكن جلوسها بجانبي وحرصها على أن أتغذى أولًا قبلها كان يعطيني نوعًا من الحنان المغطى بالأمان، كأنني بجانب أمي لا زوجتي.

التهمنا العشاء وأدخلت (بسمة) بقية الطعام للمطبخ، بينما انسحبت



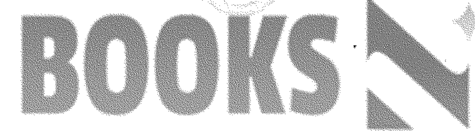


أنـا للحـمّام ومعـي بعـض الملفـات وأوراق وقلـم لتسـجيل ملاحظـاتي، لـو سألتني عـن السـبب - سـأخاطب القـارئ مـرة بصيغـة المفـرد ومـرة بصيغـة جمـع لأنهـا روايتـي وهـذا هـو مزاجـي- سـأقول أنـني بعـد تناوُل أي طعـام يهاجمنـي الإسـهال فجـأة في أوقـات لا أعلمهـا، وأوقـات أخـرى يأتينـي شـعور القـيء فأحـب أن أحـترز؛ لذلـك بعـد كل وجبـة طبيعيـة.

عـلى قاعـدة الحـمام الشـبيهة بالكـرسي -وهـي مريحـة بحـق- جلسـت وفتحـت الملـف الضخـم أنظـر لملاحظـاتي المتفرقـة واقرأهـا بصـوت مسـموع، كنـت أتمنـى تدخـين سـيجارة لكـن بعـد الطعـام سـتخذلني معـدتي بـكل تأكيـد، كتبـت عـلى ورقـة «قاتـل متسلسـل بـدأ عملـه منـذ عـام 2001، عـلى خـبرة جيـدة بالأعـمال الشرطيـة الجنائيـة، يعبـث في مـسرح الجرائـم بدقـة ليحـول وجهـة نظـر المحققـين الجنائيـين عـن دافـع الجريمـة.

القاتـل المتسلسـل كـما أعرفـه هـو قاتـل يرتكـب أكـثر مـن جريمتـين بنمـط مـا، سـواء بممارسـة طقـس أثنـاء القتـل أو تـرك علامـة واضحـة عـلى الجثـة، أو بارتـكاب القتـل في أوقـات محـدَّدة مثـلًا، أو اختيـار ضحايـا يتميـزون بصفـة موحـدة سـواء في الشـكل أو المهنـة أو العـرق.

قاتـلي العزيـز الـذي أبحـث عنـه اسـتطاع إخفـاء دوافـع قتلـه كل هـذه السـنوات، وذلـك بارتـكاب بعـض الجرائـم العشـوائية مـن حـينٍ لآخـر، لكـن مـن الواضـح أنـه يسـتمتع بتنفيـذ تلـك الجرائـم لكنـه اسـتمتاعٌ يمكـن السـيطرة عليـه، هنـاك قتلـة متسلسـلون لم يسـتطيعوا التوقـف عـن القتـل في الوقـت المناسـب فتعرضـوا للقبـض عليهـم، أمـا قاتـلي فهـو مدمـن عـلى الجرائـم لكـن بطريقـة مـا اكتشـفها بنفسـه يسـتطيع السـيطرة عـلى هـذا الإدمـان.



القاتـل المتسلسـل يمـر بأربـع مراحـل، الأولى هـي مرحلـة التجربـة، وفيهـا يجـرب طـرق قتـل مختلفـة ويرتكـب الأخطـاء ويكـون في هـذه المرحلـة في أضعـف حالاتـه لأن أخطـاءه يمكـن رصدُهـا مـن رجـال الشرطـة وهنـاك عـشرات الحـالات لسـفاحين - وهـو اللفـظ الـذي تطلقـه الشرطـة على القتلـة المتسلسـلين في مـصر- الذيـن قبضـت عليهـم الشرطـة في هـذه المرحلـة، لكـنَّ قاتـلي العزيـز أفلـت منهـا بامتيـاز حتـى مـع ارتـكاب بعـض الأخطـاء.

المرحلـة الثانيـة هـي الانتظـام، وهنـا القاتـل ينتظـم في تنفيـذ عمليـات القتـل».

(لحظة سأتقيأ وأعود)

سـأكمل كتابـة ملاحظـاتي: «في المرحلـة الثانيـة ينتظـم ويكـون نمـط موحـد للقتـل وهنـا تتنبـه الشرطـة وتبـدأ عمليـة المطـاردة، ونسـبة نجـاح تلـك المطـاردة هـي الأقـل في كل المراحـل، فالشُّرطـة تطـارد شـخصًا لا تعـرف أي معلومـات عنـه غـير مـا يتركـه في مسـارح الجريمـة وهـذا الشـخص لـو قتـل في يـوم محـدد كل شـهر مثـلًا فاحتـمالات القتـل مرتفعـة، أمـا لـو كان يقتـل المطلقـات مثـلًا فتخيـل أن تضطـر الشرطـة لمراقبـة كل المطلقـات، أمـا لـو كان يقتـل أصحـاب مهنـة معينـة فسـيكون مـن المسـتحيل مراقبـة كل أصحـاب المهنـة، المطـاردة هنـا كالمكفوفـين يبحثـون عـن شـخص مبصر داخـل منزلـه.. والقاتـل الـذي أبحـث عنـه كان ذكيًـا بمـا يكفـي ليخفـي نمـط قتلـه.

المرحلـة الثالثـة هـي الفـوران، تفـور غريـزة القاتـل وتـزداد دوافـع قتلـه قـوة، فيرتكـب الجرائـم بدقـة وانتظـام لكـن بعيـب خطـير، فالقاتـل يجـبر عـلى ارتـكاب بعـض الجرائـم الزائـدة عـن حاجتـه والشرطـة هنـا يمكنهـا أن تتـماس مـع القاتـل في بعـض الأحيـان وتسـتطيع الاقـتراب منـه أثنـاء المطـاردة،

وهو وقت جيد جدًّا للشرطة لاستغلال بعض أخطاء القاتل للإيقاع به، وقاتلي لم يصل لتلك المرحلة بعد ولا أحسبه سيصل لها بشكل طبيعي فهو حذر جدًّا.

المرحلة الرابعة والأخيرة هي التوقف، وفيها وبلا سبب يتوقف القاتل المتسلسل عن جرائمه، القتلة أنفسهم لا يجدون تفسيرًا عقلانيًّا لهذا التوقف، كأنهم جوعى منذ الأزل وفجأة تناولوا وجبة سحرية شعروا معها بالشبع النهائي، إن وصل القاتل لهذه المرحلة فمن المستحيل القبض عليه، فهو لن يعود للقتل التسلسلي ثانية وسيعيش حياة طبيعية مثل البقية وكأنه لم يكن سفاحًا من قبل».

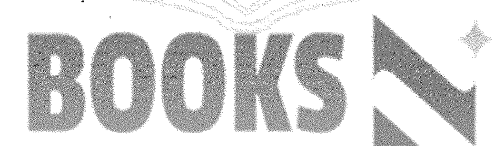
مَن أبحث عنه ليس ذكيًّا بطريقة قياس معدلات الذكاء النفسية فهي غبية، قاسوا لي معدل ذكائي منذ زمن والرقم الذي أحرزته لم يكن حتى يؤهلني لتدريب الكتاكيت على الباليه في أحد مراكز الشباب، أنا أعرف أن قاتلي يفكر كالآخرين تمامًا، ويقدر على أن ينظر لجرائمه بوجهة نظر المعامل الجنائية، لذلك هو يسبقهم دائمًا بخطوة.

أنا أعرف من أبحث عنه وأعرف كيفية تتبعه، لا ينقصني شيء الآن.. المال أصبح في حوزتي، ونهاية عمري اقتربت وهذا دافع جيد لإنهاء الأمور العالقة.

(ثوانٍ سأتقيأ وأعود، هناك دواء أتناوله ليمنع التقيؤ لا أفهم لِمَ لا يمنعني).

كنت أقول أن معي كل شيء، حان الوقت لأبدأ المطاردة.. لا، العبارة السابقة ليست قوية، أحتاج أن أكتب عبارة عن بداية الاصطياد..





إمممممممم، أيـن هـي العبـارات القويـة عندمـا نحتاجهـا!! ربمـا الحـمّام هـو السـبب، سـأخرج منـه لأتخيـل عبـارة جيـدة.

لملمـت الملـف والأوراق تحـت إبطـي وخرجـت وأنـا أنـادي عـلى (بسـمة)، لا وجـود لهـا، بحثـت عنهـا حتـى وجدتهـا في غرفـة النـوم نائمـة عـلى طـرف الفـراش.

لمـاذا يـا (بسـمة) تفعلـين بي هـذا!!، لم يكـن هـذا مـا اتفقنـا عليـه، كان يجـب أن تظـلي مسـتيقظة وأنـا نائـم، والآن لـن أقـدر عـلى إيقاظـك، لـو نمـت بجانبـك بعـد قليـلٍ لا أعـرف مـا الـذي سيحدث.. ألم أخبركـم بعـد؟؟

أنـا مصـاب باضطرابـات النـوم، أتكلـم أثنـاء النـوم و... إحـم، وأمـشي نائمًـا، لا تحاولـوا تخيـلي وأنـا أسـتيقظ مـن النـوم مُغمَـض العينـين ويـدي مفـرودة أمامـي وأسـير في الشـقة فهـذا لا يحـدث، مـا يحـدث هـو أنـه كل بضـع ليـالٍ أتحـدث أو أتحـرك عـلى الفـراش قليـلًا، وفي أيـام سـوداء أنهـض مـن الفـراش بعـين مفتوحـة وأتمـشى قليـلًا داخـل الشـقة، وربمـا أعـددت بعض الطعـام أو مارسـت أي شيء روتينيًـا، وفي حـالات نـادرة قـد أخـرج مـن الشـقة وأنـزل لمدخـل العـمارة أتمـشى قليـلًا وأعـود للشـقة بعـد وقـت قليـل.

لا تعولـوا عـلى هـذا المـرض كثـيراً فلسـت مـن مرتكبـي الجرائـم أثنـاء النـوم، إلا لـو اعتبرتـم أن السـير نائمًـا إلى المطبـخ وعمـل البطاطـس المحمـرة جريمـة، وسـأريحكم أكـثر، في الغالـب لا يرتكـب السـائر أثنـاء نومـه الجرائـم حتـى لا يحـاول أحدكـم تخيُّـل أننـي سـأرتكب شـيئًا في هـذه الحالـة.

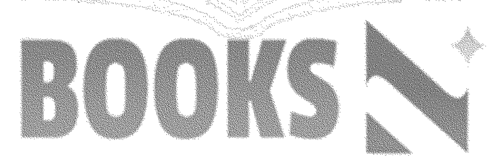
لكـن المشـكلة الحقيقيـة أننـي أكـون هشًـا في هـذه الحالـة وربمـا آذيـت أو جرحـت نفـسي أو مـن يعيـش معـي في الشـقة بـلا قصـد واللـه، و(بسـمة) منـذ بدايـة زواجنـا كانـت لا تنـام أثنـاء نومـي فـإذا سرت نائمًـا ترافقنـي

وتحاول إعادتي للفراش بهدوء عن طريق توجيهي، أما لو فشلت في إعادتي فكانت توقظني بحنان، لقد توقفت هي عن متابعتي أثناء نومي، وكل ليلة أنام خائفًا، الحقيقة أنني أخاف أن أؤذيها وإن لم يحدث هذا من قبل.

ألقيت الملفات على التسريحة ودخلت الفراش بجانبها وأنا أتكلم بصوت هامس متمنيًا أن تسمعه:

- شكرًا يا (بسمة) على كل ما فعلتِه من أجلي طوال تلك السنوات، لم تطلبي شيئًا ذا قيمة مقابله، كل ما طلبته أن أرتاح وأسلّم نفسي للاستقرار معك، وأعتقد أنني سأنفذ لكِ ما تطلبينه أخيرًا، سأكتب الرواية الجيدة الوحيدة في حياتي، رواية عن قاتل مختل يعيش وسطنا، يمتلئ بالحقد على الجميع ويظهر المودة لهم، عرفته منذ زمن طويل، كنت أراه يوميًّا، كان لي كالصديق، لكنني وبكل غباء لم أفهم مدى خطورته، وحتى لو أخبرت الناس واحدًا واحدًا بأنه قاتل مجنون فلن يصدقني أحدٌ، حتى الأطباء النفسيون لم يروا فيه أكثر من مدمن على المخدرات كلاسيكي لا خوف منه حتى ولو كان سيكوباتي، غدًا سأكسر كل الحواجز وأبدأ عمليات المراقبة، سأجعلك فخورة بي كما كنتِ دومًا، لكن سأحتاج مساعدة من رجل شرطة، أنتِ تعرفين حساسيتي في التعامل مع الشرطة، في قربهم أشعر دائمًا أنني متهم عليه الاعتراف، لكنني عثرت على ضالتي منذ زمن.

خرجت من الفراش وجريت إلى الملف أقلب بأوراقه حتى أخرجت صورة مطبوعة لشاب في الثالثة والثلاثين من العمر وقلت مخاطبًا نفسي:



- سيادة الرائد (مجدي فرج)، معاون مباحث قسم الزيتون، ستكون مساعدي في الأيام التالية.

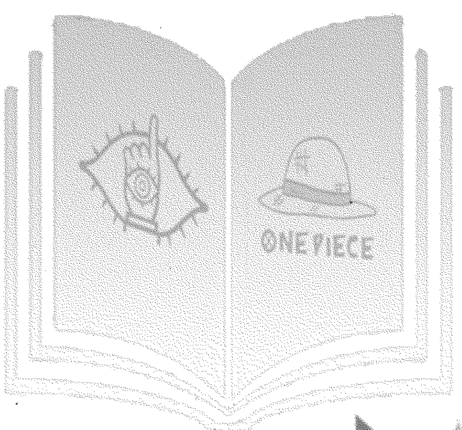
هل أنهي هذا الفصل عند هذه الجملة؟؟؟، لا أجدها هامة ولا مثيرة بالقدر الكافي، سأنهي الفصل على كل حالٍ وآخذ أدويتي ودوائي المسكّن الذي قارب على النفاد ثم أضع السماعات بأذني وأشغل إحدى أغاني (أديب الدايخ) لأنام عليها، لحظة سأحيط (بسمة) بذراعي، صوت المغني يقول في أذني:

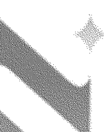
«يا حُلوةً بين الجفون تَنامُ.. سعِدت بطيفِ خيالكِ الأحلامُ

أنا في الغرامِ سفينةٌ هيمانةٌ.. في عبقرٍ وشِراعي الإلهامُ

شَفتاكِ أم عيناكِ، سبحان الذي.. سَواهما، فتبارك الرسّامُ»

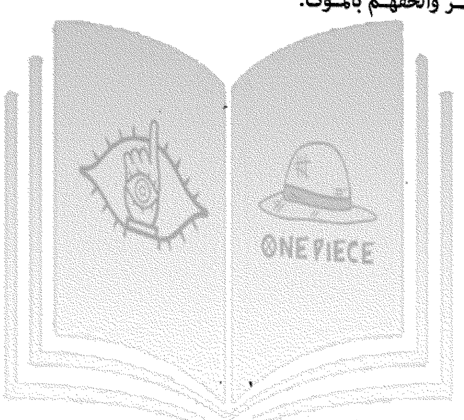
***

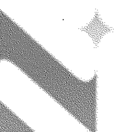




الذكر الثاني للموت

ملحوظة: استيقظت من النوم فأعجبني اسم (أذكار الموت) لذلك بدلًا من تسمية الفصل الأول والثاني إلخ... سأستبدل كلمة فصل بذكر وألحقهم بالموت.





كان صباحًا سيئًا، (بسمة) ليست بجانبي لكنها كتبت لي ملاحظة على ورقة بأنها ذهبت لتخليص بعضَ أمورها العائلية، لا أعرف شيئًا عن عائلتها منذ عامٍ وهذا يرضيني على كل حال.

ألم برأسي وعظامي وغثيان وفوق كل هذا أشعر بالنعاس، لا أعرف هل سرت أثناء نومي بالأمس أم كنت طبيعيًا، عندما كنت شابًا ملأت شقتي بكاميرات المراقبة لأرصد تحركاتي ليلًا وأقمت أسياخًا معدنية على النوافذ - وما زلت أقيمها في هذه الشقة - كي لا أقفز من إحداها وقت اختفاء الوعي، كنت أخلد إلى نومي خائفًا منذ أن انتقلت من شقة عائلتي والآن عاد نفس الخوف.

استحممت وتناولت لقمة صغيرة لآخذ الدواء وأبدأ اليوم، يجب ألا أنسى موعد طبيبتي النفسية الليلة وموعدي مع (مروة) شقيقتي.. جلست في غرفة مكتبي ألف سيجارة وأنا أنشط ذاكرتي عما يجب فعله.

أشعلتها فلم أجد أفكارًا، العقل خاوٍ إلا من فكرة واحدة.. أن أصور بهاتفي كل صفحة أكتبها بخط يدي في هذه الرواية، تسألني لمَ لا أكتب على الكمبيوتر أو اللاب توب كعادتي في كل مرة وأصر على الكتابة بخط يدي على أوراق فلوسكاب مسطرة، أقول لك إنني أريد تقليل البصمة الإلكترونية بقدر كبير، فلا أحبذ أن يتم اختراق الكمبيوتر ومتابعة ما أفعله فأنا ألعب الآن مع قاتل حقيقي ولا وقت للأخطاء.

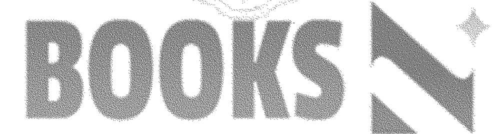
لكني لو صورت تلك الصور من هاتفي المحمول فيمكن الوصول له،

سأشتري هاتفًا محمولًا جديدًا اليوم، ولن أضع به شريحة اتصال، نعم فكرة جيدة، ولن أدخل منه على الإنترنت بأي طريقة فيظل محميًّا من جميع الاختراقات.

لم أتحمل رائحة السيجارة المقرفة وأطفأتها، داخل مكتبي آلاف الكتب التي جمعتها على مدار حياتي السابقة، وكنت أنا الذي أعتني بتنظيفها كل أسبوع ثم (بسمة) من بعدي، ولأنني أثق بها ثقة عمياء فقد أخبرتها عن الخزانة الاحتياطية المزروعة داخل الجدار في أحد أرفف الكتب.

قل عليَّ رجلًا يحب مشاهدة أفلام الجاسوسية، أو قُل عليَّ مبتذلًا لا يهم، ما زال الناس سينخدعون في أرفف الكتب، وخاصة الأرفف العلوية تلك والتي رصصت داخلها مجلدات عن العمارة الإسلامية - أحب القراءة فيها - لن يفكر أحدٌ في سحب تلك المجلدات إلا إن كان متخصصًا في هذا الفرع، وهكذا أحضرت السلم الخشب الصغير، وصعدت عليه، أزحت الكتب، ثم أزحت قطعة خشب مزيفة لتظهر الخزانة الخاصة، كتبت الأرقام السرية عليها فانفتحت، بالمناسبة أرقامها هي 2629 وهي رقم عشوائي اخترته، هنا أحتفظ بأشياء لن يتخيلها أحد، أين جواز السفر الذي تركته!!!، نعم ها هو، وبداخله رخصة القيادة الشخصية.

جواز السفر تبقى على انتهائه عامٌ وبضعة أشهر، جميل جدًّا، والآن لم يتبقَّ إلا أن أرى النظرة على وجوهكم عندما تعرفون أن جواز السفر ورخصة القيادة باسم (محمد صابر عبد العزيز)، نياهاهاهاها، سأتخيل موسيقى تصويرية تصدح من حولي وأنا أبتسم، نعم تلك الأوراق زورتها منذ سنواتٍ، طبعًا لم أزوّر بطاقة هوية شخصية لأنها أصعب في التنفيذ



وسهل كشفها، مشكلتي الوحيدة في جواز السفر هذا هو أن الأختام عليه توقفت منذ أعوام، لكن بخبرتي متأكد أن الكثيرين لا ينتبهون لأكثر من البيانات الأساسية داخل الجواز، صورتي كذلك تغيرت قليلًا لكن يمكن تفهم ذلك بسبب مرضي واضطراري لحلاقة شعر رأسي، وبالمناسبة مرضي بالسرطان يضفي نوعًا من التعاطف الذي يعمي أبصار من يطلع على جواز سفري، أما لماذا يحمل كاتب روايات من المفترض أنه محترم، أوراقَ هويةٍ زائفةً، فلا إجابة قاطعة عندي.

كلنا نستمتع بخرق القوانين، بعضنا يستمتع بلعب دور الغامض في الحياة، سنحت لي الفرصة للقاء مزور وقمت باستغلالها، جربت السير في الشوارع بتلك الأوراق والتعامل مع كمين شرطة ولم يشكوا بي فشعرت بالقوة، قوة خرق القانون.

لا تقل إنك لو سنحت الفرصة لن تجرب، فالفرصة لم تقع أمامك بَعد، كم واحدًا قال إنه يكره رائحة السجائر في شبابه ولن يقترب منها ثم جربها حينما حانت اللحظة المناسبة، كم رجلًا قال عن نفسه ما قاله الأنبياء في الجنة، وعند فرصة تافهة ارتكبوا الخطيئة، لا أقول إن الجميع منافق، لكن البعض لا يعلم عن نفسه الكثير، وأنا رجل ارتكب وما زال يرتكب الأخطاء، والتحدي الخفي للقوانين إحدى خطاياي المفضلة.

***

ملل.. ملل.. ملل.. أسوأ شيء في المراقبة هو الملل، اشتريت الهاتف المحمول الجديد وذهبت لبعض معارض تأجير السيارات حتى وجدت سيارة ماركة (اسبرانزا) باللون الأبيض وهي مناسبة جدًا لأن سيارات

التاكسي في القاهرة بيضاء اللون والكثير منها من نفس الماركة فيصعب تمييزها وسط الزحام، طبعًا لن أتحدث عن كمية الناس التي تشير لي من وقتٍ لآخر معتقدين أن السيارة تاكسي، لكن سأغيرها على كل حالٍ بعد ثلاثة أيام، طبعًا أجرتها بالأوراق المزورة حتى يصعب الوصول لي.

أما الآن فأنا في مرحلة المراقبة، أسوأ مرحلة في المطاردة، كل ما عليَّ فعلُه هو مراقبة الهدف (الرائد مجدي فرج) وكتابة خط سيره من منزله إلى عمله والعكس، وكتابة كل نمط حياته في شكل نقط على مفكرة صغيرة.

طبعًا ارتديت نظارةً طبية بعدسات غير حقيقية لأضع علامة على وجهي يمكن التعرف عليها، مشكلة رأسي الذي تساقط الشعر منه فاضطررت لحلاقته على الزيرو يجب حلُّها، لن أشتري باروكة، سأفكر في ارتداء قبعة عادية ولمن سيندهش سأخبره بأن شعري تساقط بسبب جرعات الكيماوي لعلاج السرطان.

أقف الآن بسيارتي أمام العمارة التي يقطن بها الضابط (مجدي)، مرَّت عليَّ ثلاث ساعات، طبعًا لا أقف قريبًا بل في نقطة ميتة لن يراني منها لو خرج أو دخل العمارة، السيارة ركنتها في مكان هادئ قليل الحركة، لن يشك بوجودي أحد إلا لو اقترب من سيارتي، المشكلة أنني لم أتابع أخباره منذ شهور وقد خرجت اليوم متأخرًا فلم أراقبه من منزله إلى قسم شرطة الزيتون؛ لذا يجب أن أنتظره عند بيته.

سأراجع معكم الآن البيانات التي أعرفها عنه، هو شابٌّ في سن الرابعة والثلاثين، قصير القامة قوي البنيان، ملامحه ليست بالوسامة ولا بالقبح، عيناه واسعتان قليلًا وشعره أسود وبشرته قمحية اللون

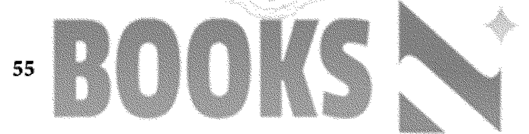


كعموم بشرة المصريين، متزوج منذ عام ونصف بفتاة لا أعلم إلا اسمها.. (مريم)، يعيش في (المريوطية) القريبة من شارع (الهرم) بالجيزة، لا يتميز بأي صفات خاصة كضابط إلا أن له معارف عائلية تربطه ببعض اللواءات، والده وأعمامه يتاجرون في الغلال بمنطقة العباسية، ويبدو أنها مهنة مربحة لأنهم عائلة ميسورة ماديًا، وأعتقد أن والده يساعده شهريًا بمبلغ مالي فمرتب (مجدي) يبعث على الضحك، ومما أعرفه أنه ليس فاسدًا فلا مصدر دخل آخر يمتلكه إلا عائلته، هو الوحيد في أسرته الذي يعمل بالسلك الشرطي، وكما قلت لاحظت أن له صلة ببعض رجال الشرطة ذوي الرتب الكبيرة يهتمون به وخاصة لواء متقاعد يدعى (منير العيسوي) كانت له يد عندما كان بالخدمة الشرطية في منح (مجدي) بعض الامتيازات، واللواء (منير) هذا عرفت أنه على معرفة بوالد (مجدي) ويتردد عليه بصفة الصداقة من وقت لآخر.

كما كنت أقول، (مجدي) لم يكن مميزًا، أو لأكون منصفًا لم يتم تمييزه بالسلب أو الإيجاب، فهو ليس متهورًا أو ذا لسان سليط، ولا هو جبان أو متهرب، الحقيقة أنه يمارس عمله بشكل روتيني ويبتعد عن الأخطاء قدر الإمكان، هذا النوع من البشر يضايقني لأنني أفشل في تصنيفه بلا احتكاك مباشر معه، لأنه يخفي أفكاره ومشاعره عن كل من حوله، وهذا النوع إما يحمل رأسًا عبقريًا أو عقلًا عاديًا.

الوقت تأخر سأغادر الآن وأتي من الصباح الباكر لمتابعته بنفسي، يجب الذهاب لمروة شقيقتي كي لا يتأخر الوقت.

***



- اخرس الآن، ولا تفتح الموضوع ثانية.

لا ترتبكوا من هذا الصوت الحاد الذي قال تلك العبارة، هذه هي شقيقتي الكبرى، (مروة) لسبب ما هي نسخة جينية من شكل أمي وصوتها كأنها استنسخت في المعمل، وهي الآن في حالة شبه جنونية بمجرد أن أخرجت عقد بيع سيارتي لتمضي عليه، طبعًا سمعت عبارتها وأنا جالس على مقعد الصالون في شقتها وقد جرى أولادها بعيدًا وتركوني أنا مع هذا الغول.

- ثم كيف تجرؤ على أن تكلمني في شيء كهذا.

ما زلت أنا صامتٌ كالتمثال وهي تلوح بيدها يمينًا ويسارًا وعيناها تطقان شررًا ثم صرخت في أنني بما أقول أملأ حياتي بالفأل السيئ فقط، ثم بكت وسقط المخاط من أنفها، ناولتها منديلًا فأخذته لتتمخط ثم احتضنتني وهي تعاود البكاء.

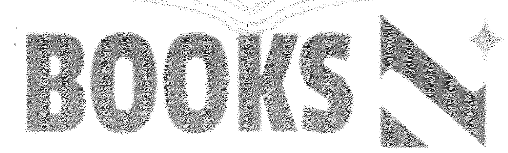
- (مروة).. (مروة) هل انتهيتِ؟؟

قلتها وهي ما زالت تحتضنني بقوة آلمت عظامي، من أتت بتلك العضلات!!، استنشقت قليلًا من المخاط وعادت لمقعدها وهي تقول براحة:

- الحمد لله.

ربت على يدها وقلت:

- أنتِ فهمتِ طلبي بشكل خاطئ، أنا لا أتمنى الموت ولا أنتظره، قلت لكِ منذ قليل إن الأمور الطبية مبشرة، كل ما هنالك أنني أسوي



بعـض الأمـور العالقـة، هيًّا نفـذي طلبي قبـل أن يعـود زوجـك مـن العمـل ويعتقـد أننـا نتعـارك.

- لا.

أعـرف مدخـل (مـروة) لذلـك سـأدخله، نهضـت مـن موضعـي واحتضنتهـا وأنـا أقـول:

- تعرفـين أنـكِ كأمـي منـذ ابتعـدت عنكـم، وكل مـا أريـده أن تحصـلي عـلى سـيارتي الآن لتصبـح ملـكًا لـكِ، هـذا سيشـعرني بالراحـة ألا تتمنـين راحتـي؟؟؟

عادت تبكي ويسيل المخاط على كتفي فضممتها أكثر وأنا أقول:

- هيًّـا يـا (مـروة)، لا ترفـضي طلبـي هـذا كي لا يتملكنـي الحـزن في هـذا التوقيـت الحـرج.

ابتعـدت عنهـا قليـلًا لأجلـس بجانبهـا ووضعـت الـورق أمامهـا وأنـا أضـع القلـم بيدهـا، أخـيرًا مضـت في خانـة المشـتري، أخرجـت عقـدًا جديـدًا وأنـا أبتسـم.

- وهـذا عقـد آخـر لشـقة أمتلكهـا في إحـدى قـرى السـاحل الشـمالي امـضي في خانـة المشـتري.

كادت أن تـصرخ فوضعـت يـدي اليمنـى عـلى فمهـا وأنـا أحلفهـا بحيـاة أبنائهـا ألا تناقشـني، أمسـكت هـي يـدي اليمنـى تلـك وتأملـت تلـك الندبـة، تحسسـتها بيدهـا ثـم بكـت أكـثر، طبعًـا قلـت كلامًـا كثـيرًا عـن الأمومـة والحنـان حتـى نسـيَتْ أمـرَ يـدي ومضـت باسـمها، في الواقـع لم أكـذب حـين قلـت إنهـا احتلـت مـكان أمـي، فعنـد وصـولي لسـن الثامنـة عـشرة وقـت

الحادثة أرسلوني لمصحة نفسية خاصة لعلاجي، ولما خرجت منها رفضت أمي استقبالي في الشقة، لم ترفض بشكل واضح لكنَّ شقيقتيّ الأصغر (هالة) و(هناء) أبلغتاني بذلك وهما تسلمانني مفتاح شقة جدي المتوفي لأعيش بها وحيدًا، (مروة) كانت الوحيدة التي تزورني كل بضعة أيام وقد أحضرت معها بعض الطعام المُعَدّ في المنزل، وأول كل شهر ترسل لي أمي مبلغًا صغيرًا ليعينني على حياتي.

هو الاتفاق غير المكتوب بيننا، أزور أمي كل بضع سنين فتعاملني بخليط مرتبك من الحنان والجفاء بينما شقيقاتي الأصغر لا يظهرن لي إلا التجاهل، أجلس بينهن لساعات كالغريب ثم أقرر الرحيل فتعرض أمي عليَّ أن أبيت معهن فأشكرها وأغادر، بينما (مروة) هي حلقة الوصل بيننا.

هل تصدق - أو تصدقون - أني لم أحضر حفل زفاف شقيقاتي إلا (مروة)، كأني العدم، حتى أزواج شقيقاتي يعاملونني بكل قرف وتعالٍ كأني حشرة، لا تلمني إذًا على كرهي لهم جميعًا إلا (مروة)، فقد استهلكت الأعوام أحاول التقرب منهم أو إبهارهم بنجاحي علَّهم يقبلونني ثانية وسطهم، لكني تعلمت مع الوقت أن أبادلهم الاحتقار وهو شيءٌ صحي في نظري، حتى ولو كانت وجهة نظري هي وجهة نظر مضطرب نفسيًا.

***

أخصائية نفسية هي وأستاذة في كلية الآداب قسم علم النفس، لكنها ليست طبيبة نفسية، لست متخصصًا لأعلمك الفرق بين الاثنين لكنها لا تصف الأدوية ولا تحبذها بل تعمد إلى الحديث مع المريض حتى الوصول إلى أساس المشكلة التي أصابته.



نسيت أن أخبرك عمن أتحدث، دكتور (ريم فكري) - اسم يصلح لكاتبة - وهي المعالجة النفسية الخاصة بي، أنا أجلس داخل عيادتها في موعدي بالضبط، في انتظار دخولي الذي اقترب، أزورها كل شهر تقريبًا لأثرثر عن حياتي وتستمع هي بصبرٍ ومن وقت لآخر تبدي بعض الملاحظات أو تناقشني في عبارة قلتها ومعناها.

أنا لي صلة قديمة بالأطباء النفسيين منذ أن تم احتجازي في المصحة النفسية ثلاث مرات متتالية منهم آخر مرتين كانوا بإرادتي الخاصة، كانوا على أيامي يسمونها بالمستشفى الخاص منعًا للإحراج.

موظف الاستقبال يدعوني للدخول، العيادة ليست كبيرة وهذا يعني أن المريض الذي يغادر جلسته سيقابل المريض التالي أو يراه، والغريب أن بعضهم ينظر أرضًا متحاشيًا النظر في وجهي كالأفلام، مما يتحرجون!!! وجودك في هذه العيادة ليس عيبًا، إلا لو كنت مجنونًا مثلي أنا.

دخلت لغرفة دكتور (ريم) فابتسمت بمجاملة تستقبلني، يقترب عمرها من الستين بملامح جميلة وصوت رخيم خافت لكنه مسموع:

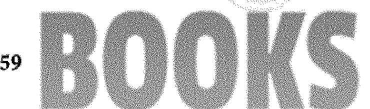
- تعجبني مواعيدك يا (داوود)، لكنها ترهقني، كنت أحتاج لخمس دقائق راحة قبل بداية جلستك

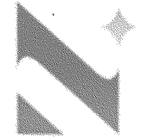
جلست أمام مكتبها بلا أن تدعوني لذلك فهناك نوع من العشم بيننا.

- يمكننا أن نصمت الدقائق التالية، أنا أيضًا أحتاج لوقت راحة.

- هل واجهت الكثير من المتاعب هذا الشهر؟

قالتها بنفس ابتسامتها الجميلة، فأخرجت عدة لف سجائري وأنا أقول براحة:





- لنقل إني رجل متحمس للمستقبل يواجه بعض مشاكل الماضي.

لم تفهم عبارتي وتساءلت بعينيها، أنا نفسي لم أفهم ما قلته، العبارة كان رونقها مذهلًا في رأسي قبل أن أتكلم ولكنها خرجت كعبارة من عباراتي التافهة التي كنت أرميها في رواياتي السابقة لجذبك أيها القارئ.

- أخبرني يا (داوود) هل تحتاج للصمت لدقائق فعلًا قبل بدء الجلسة؟

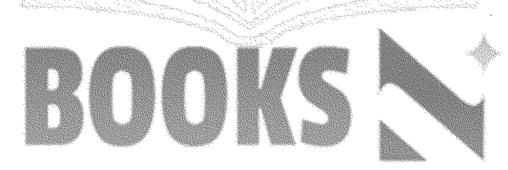
- نعم، وأريد تدخين سيجارة بشكل صامت.

أخرجت (ريم) طفاية - أو مطفأة أو منفضة لا يهم المصطلح - سجائر من أحد أدراج مكتبها ووضعتها أمامي.

- دخّن سيجارتك واهدأ وأنا أقوم ببعض الأشياء، أخبرني حين تصبح جاهزًا.

لففت السيجارة وأشعلتها بينما هي تنهض لتخرج ملفًا ضخمًا من خزانة أوراق، أعتقد أنه ملفي، عادت لتجلس أمامي وتفتحه لتراجع منه، كل جلسة قمت بها معها كانت تضيف ملاحظات طبية بالإنجليزية وأحيانًا بالعربية، أعتقد أن تلك الملاحظات لن يفهمها إلا هي، كنت أحتاج للحظات هدوء وأمان فعلًا.

تلك المرأة تشعرني بقدرٍ كبيرٍ من الأمان، فأنا واثقٌ أنها لن تحكم على أيٍّ من أفكاري الداخلية، قلت إن خبرتي كبيرة بالأطباء النفسيين؛ لذلك فقدت قيمتها منذ خمس سنوات تقريبًا حين عقدت معها أول جلسة، حولني لها طبيب النوم الخاص بي، كنت أحضر جلسات مع أخصائي نفسي آخر يعتبر نفسه ذكيًا، تسليت مع هذا الرجل فترة تاركًا



إياه يظن أنه يتلاعب بي معتقدًا أنه يعلم مشكلتي، أعتقد أن التلاعب بالبشر هي صفة متأصلة بي، أستمتع وأنا أرى تعبيرات وجوههم على أفعالي، وتزيد متعتي حين أمنحهم بعض الانتصارات الزائفة.

حتى جئت لدكتور (ريم) ولأول مرة أفشل في التلاعب بطبيب نفسي، لا أعرف هل فشلت أم لم أحاول بشكل جدي، عاملتني بطيبة وبساطة لم أصدقها في البداية، جمعت عنها المعلومات وعرفت أنها مدرسة في الجامعة وزوجة لرجل أعمال - توفي منذ ثلاث سنوات - ولم تنجب لأسباب طبية لم أتوصل إليها، لم أجد في حياتها ما يريب ولم تحاول أن تتذاكى عليّ في جلساتنا النفسية!!!، كانت تستمع لي بحق بلا أن تقفز لأي استنتاجات، لم تتطرق يومًا لآرائي الدينية أو السياسية ولم تحكم عليّ لو سمعت مني تلك الآراء.

- هل أستطيع تشغيل أغنية على هاتفي المحمول وأنا أشرب السيجارة؟؟

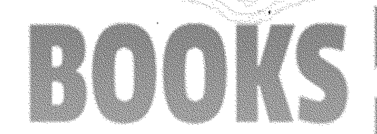
أشارت لي بيدها مرحِّبة وهي تقول دون أن تنظر لي:

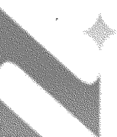
- هل الأغنية للمغني (أديب الدايخ)؟؟

- أعتقد.

عادت للابتسام من جديد وهي لم ترفع عينيها من على الأوراق وهي تعلق «حفظت معظم أغانيه وتواشيحه بسببك، ما الذي سنسمعه»، أجبتها بأن الهاتف المحمول سيختار لي عشوائيًا، وهو ما فعلته، صدح صوت (أديب) من الهاتف يغني:

«مَا شبه الوَجَنَات بالتُفاح إلَا جَهُولٌ ظَالِم أو لاحَي

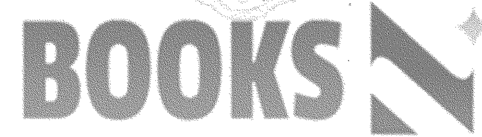




أيُشبِه التُّفَاح حُمرَ خَدِها يا عَاجِزًا عن رُؤية المصبَاح»

سحبت أنفاسًا من السيجارة بمزاج افتقدته كثيرًا، صوت هذا الرجل يدخلني في حالة صوفية غريبة، ماذا كنت أقول، نعم تذكرت، دكتور (ريم) وقدرتها العجيبة على استدراجي في الحديث، بعد أن آمنت لها بدأت بإخراج القليل من الأشياء داخل رأسي أمامها، لم أحكِ لها عن الحادثة بالطبع لكنني لمحت لها بوقوع شيء كبير أبعدني عن أسرتي، نبهتني لأمور كثيرة حدثت في طفولتي كحبي الشديد لوالدي رحمه الله ومحاولتي دائمًا إبهاره هو بالذات، عرفتُ منها مشكلتي الدائمة مع المثالية في كل أمور حياتي، المثالية التي ورثتها عن والدي فقد رباني بحزم شديد وكان يتطلع أن يراني الأفضل دائمًا بين كل أقراني، لكن تلك التربية تركت لي بعض الندوب التي لم تُمحَ حتى الآن، الغريبة أنها لم توجهني بنفسها بل كانت تنتظر مني أن أطلب نصيحتها أو مشورتها، وحتى لو لم أنفذ تلك النصيحة لم تحكم عليَّ.

غير أني مع الوقت فهمت السبب الحقيقي الذي جعلني أرتاح لها وأحب التحدث معها، إنها تذكِّرني بأمي، أو على الأرجح عقلي يعتبرها كأمي، أعوِّض معها كل الأحاديث التي لم أجرِها مع والدتي الحقيقية بعدما رفضتني، والمصادفة أنها تشبهها قليلًا، طبعًا لم أكسر الحواجز بين المريض والطبيب أبدًا فأنا بطبيعتي أحب بناء الحواجز بيني وبين الجميع، ودكتور (ريم) تعلم ذلك وتحافظ هي الأخرى على تلك الحواجز، كمية النساء اللاتي أعتبرهن كأمي في تلك الرواية لا يمكن حصرها، لو كان (فرويد) حيًا لأطلق زغرودة فرح ورقص عشرة بلدي بالعصا.



قاربت أنفاس السيجارة على الانتهاء، أنا لم آخذ منها الكثير، فقط ما يكفي لأستمع لأديب الدايخ وهو يكمل غناءه.

«كلا ولا البُدُر المُنِير كَوجهِهَا إِن أَقبَلَت لَيلَا بِغَيرِ وشاح
وَسَلَوت كُل مَليحَةٍ فِي حُبِّهَا وَسَكِرت مِنهَا بِاشتِمَامِ الرَاحِ»

لم أفكر في معنى كلمة الراح إلا الآن، هل يقصد الخمر؟؟، نظرت لي (ريم) ترجوني أن أوقف هذه المسرحية الهزلية فأطفأت السيجارة وأغلقت الأغنية، واعتدلت بجلستي.

- ها.. أخبارك صحتك على المستوى الطبي؟

- لا شيء جديد، الأورام في المخ تنتشر والطبيبة المجنونة تقترحإإعادة جلسات العلاج مرة ثانية، الموضوع مادي بحت.

- لا تنكر أنك لا تحب طبيبة الأورام تلك، ألا تشعر بأنك تحكم عليها لاعتبارات شخصية؟

- لو كنتِ تقصدين بالاعتبارات الشخصية أنها تستخدم مرضاها كحقل تجارب فأنا موافق على رأيك، لكني لا أريد التحدث عن حالتي المرضية الآن.

- قل ما تحبه.

- أكتب رواية جديدة، ليست رومانسية بل هي جريمة واقعية.

ابتسمت بفرح حقيقي وهي تقول بحماس:

- جيد، الكتابة ستساعد نفسيتك في هذه الأيام، والتغيير في نوعية الكتابة شيء ممتاز، عما تتحدث الرواية؟

عدت بظهري للوراء وأنا أقول:

- كاتب روايات درامية يقرر لأسباب مجهولة كتابة آخر رواياته عن قاتل متسلسل يعيش بيننا، لا تعلم الشرطة عنه لأنه يتلاعب بمسرح الجرائم ليشتتهم عن ربط الجرائم بعضها ببعض، يتضح بعد وقت قليل أن الكاتب نفسه يعرف أكثر من اللازم عن القاتل وكأنه على معرفة شخصية به.

رفعت يدي ألوّح بها في الهواء وأنا أصفر بفمي لحن حماسي وأقول:

- ما رأيكِ في هذا الملخص الساخن؟ سيقذفني القراء بالحجارة من كمية النمطية في تلك الفكرة.

فكرت هي قليلًا ثم ضحكت وهي تقول:

- هل سنكتشف في النهاية أن الكاتب هو القاتل؟

- لست متخلفًا إلى هذه الدرجة.

لعبت بأصابعي بأدوات لف السجائر وأنا أكمل:

- الكاتب كان محتجزًا مع هذا القاتل في مصحة نفسية عندما كان في سن الثامنة عشرة من عمره، هذا القاتل كان يكبره بثلاث سنوات لكنهما تصادقا، كان القاتل يعاني من اضطرابات عقلية ناتجة عن تعاطي المخدرات لذلك تم حجزه في نفس الطابق مع الكاتب.

قالت (ريم) مصطلحًا ما بالإنجليزية لم أنتبه له وأنا أقول:

- كان القاتل ذكيًا بما يكفي ليخفي ضلالته وهوسه وخيالات العظمة التي تنتابه حولها بالتدريب أمام الناس إلى تواضع.

- وشخصية الكاتب هذا، لمَ تم حجزه في المصحة النفسية؟



رفعت عيني لتصطدم بعينيها، كانت ملامحها هادئة لكنني أقسم إنني رأيت ارتباكًا في عينيها، المفترض أن دكتور (ريم) لا تعرف أني احتجزت في مصحة نفسية في سن مبكرة، هل كانت تعلم منذ البداية وأخفت ذلك عني!! أم أنها استنتجت من كلامي الآن أنني أتحدث عن نفسي.

- لم أعرف بعد يا دكتور، شخصية الكاتب لم تكتمل في ذهني، المهم هو القاتل.

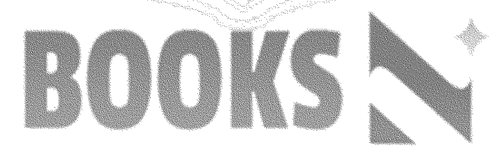
- ولماذا جعلته قاتلًا متسلسلًا؟

- لأنه ببساطة قاتل متسلسل، يستمتع بقتل البشر، يعتبرهم مجموعة من الخراف التي يجب ذبحها من وقتٍ لآخر، أتعرفين شهوة القتل يا دكتور؟؟

- لا يوجد شيء علمي يسمى شهوة القتل، كل عملية قتل لها أسبابها النفسية والاجتماعية، آسفة يا (داوود) أنت تعرف أن الروايات الخيالية والأفلام ليس لها صلة حقيقية بالواقع.

- وهذا هو العيب الذي استغله قاتلي في الرواية، من يعتمد على العلم والمنطق لن يفهمه، أعتقد أني قرأت من فترة عبارة تعبِّر عما أقصده، كتبها كاتب أهبل إسمه (حسن الجندي) وهو صديقي بالمناسبة، كان يقول إن لم تخني الذاكرة «الخيال في الرواية يجب أن يكون منطقيًا، لأن الواقع خيالي»، وهي عبارة مبتذلة لغويًا، لكنها تشرح عقلية هذا القاتل، يتحرك عشوائيًا لأننا في عالم الواقع، فكل من يفكر بالأساليب العلمية لن يمكنه ملاحظته.

لم أدرك أنني أتكلم بانفعال إلا الآن حين طلبت مني دكتور (ريم)



أن أصمـت للحظـات كي أسـتعيد هـدوئي، طلبـت ذلـك بنـوعٍ مـن الحنـان كالأم التـي تهدهـد ابنهـا الرضيـع، لففـت سـيجارة بـدون اسـتئذان وأشـعلتها فقالـت هـي:

- يبدو أن تلك الرواية تشغل حيزًا أكبر من اللازم في حياتك الآن.

استنشقت الدخان المقرف وأجبت:

- هـي كل حيـاتي الحاليـة والقادمـة، أعتـذر عـن الانفعـال والسـيجارة، لكـن حيـاتي ليسـت عـلى مـا يـرام.

- ما الذي يقلقك في هذه اللحظة بالذات؟

- السير أثناء النوم.

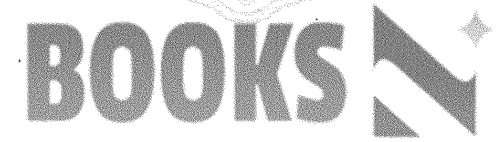
- مـا رأيـك أن أعيـد تحويلـك لطبيـب نـوم جيـد ليجـري فحصًـا جديـدًا في معمـل النـوم؟

- لـن أعـود للنـوم داخـل غرفـة ويوصلـون تلـك الأقطـاب بي ثـم يطلـب أحدهـم أن أنـام ليفحصـوا حالتـي..

قاطعتني بحزم:

- (داوود).. اهـدأ، مـا رأيـك أن تشـغل إحـدى الأغـاني العشـوائية عـلى هاتفـك المحمـول لدقائـق؟؟

لا أعلـم سـببًا لانفعـالي المفاجـئ ربمـا هـي الروايـة، ربمـا هـي المطـاردة التـي فشـلت في بدايتهـا، هـل أنـا خائـف مثـلًا مـن مواجهـة قاتـلي؟؟ الخـوف ليـس عيبًـا، لكـن عقـلي لا يقبـل فكـرة أن أكـون أضعـف مـن أي شـخص، لكنـي لسـت ضعيفًـا، سأشـغل أغنيـة بسرعـة لأديـب الدايـخ.



«كلتاهما للسكر خمرة لذةٍ من قال ســـكري في هواكِ حرام
وأنا المتيم بالمدامة والهوى أنا راهب العشاق كيف أُلامُ»

***

اليوم لا مزاج لي لكتابة ما حدثَ، في الغد سأكتب كل ما أريد.

***

ما زال مزاجي ليس على ما يرام، وأنا رجل مشغول، في الغد إن شاء الله سأكتب، أما اليوم يجب أن أنام، وعلى فكرة هناك بعض الدلائل على أنني أسير نائمًا، لكن (بسمة) لم تنتبه.

***

لن أكتب شيئًا اليوم فأنا مُرهَق، سأصور ما كتبته في تلك الرواية على الهاتف المحمول الاحتياطي.

***

الساعة الآن الخامسة فجرًا، ولم أنم بعد، هذا يوم جديد ويجب أن ألتزم بجداول المراقبة التي وضعتها، لو كنتم تتساءلون عن بقية ما حدثَ مع دكتور (ريم) فلم يحدث شيء ذو بال، سوى أنها طلبت أن أكرر الزيارة لها كل أسبوعين إن أمكن لأنني في حالة تحتاج للكثير من الفضفضة، إممممم ماذا فعلت أيضًا، نعم صرفت الأدوية قاتلة الألم من مركز الألم، ودفعت بقية النقود لطبيبة الأورام الشمطاء (ابتهال)، و... لحظة سأذهب للحمام وأعود.

عدت لكم من جديد، كنت أتكلم عما فعلته الأيام السابقة، مراقبتي للضابط (مجدي) نجحت منذ أول أمس، واكتشفت المفاجأة، لم يعد من



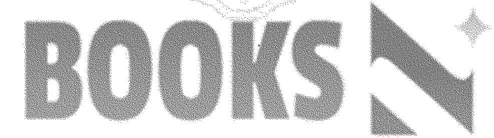
معاوني المباحث في قسم شرطة (الزيتون)، تم نقله في حركة التنقلات وأصبح يعمل في (إدارة البحث الجنائي) داخل مديرية أمن (القاهرة)، طبعًا، كنت أتوقع موقعًا كهذا لكن ليس بتلك السرعة، فاللواء (منير العيسوي) هو أحد أقدم ضباط إدارة البحث الجنائي داخل مديرية أمن (القاهرة) قبل أن ينتقل منها إلى الأمن العام ثم يخرج للمعاش، وطبعًا سيهتم بمجدي بحكم صداقة والده جاعلًا إياه يسير على نفس خُطاه، لكن متى تلقى دورات بحث جنائي جديدة ليتم نقله؟؟!! وجوده في هذا السن الصغير بهذا الموقع كان يجب أن يكون بسبب سجل مشرِّف من القضايا الناجحة، غريبة!!

المهم أنني رصدته أخيرًا، يخرج من منزله في السابعة صباحًا مستقلًا سيارته الخاصة حتى يصل لمديرية الأمن، ثم يغادرها ليلًا في الثامنة مساءً ليجلس على مقهى شعبي قريب من منزله لساعة ثم يعود لشقته، أمس لم يذهب لعمله - أعتقد أنه أخذ إجازة - وخرج ظهرًا بصحبة زوجته إلى مطعم في مصر الجديدة ثم ذهبا إلى منزل والدتها، أراهن أن زوجته نكدت عليه الأسبوع السابق ليتم هذه الزيارة لحماته.

ظلَّ طوال اليوم هناك حتى خرج وحيدًا ليذهب لقسم شرطة منطقة (قصر النيل) وظلَّ هناك لساعتين ثم عاد لمنزل حماته، على الأغلب هناك شيء يتعلق بعمله قد جدَّ، بات ليلًا عند حماته، اليوم سأراقبه طبعًا.

لكن الآن عليَّ كتابة بعض الملاحظات الجانبية عن القاتل، ها هي الأوراق والقلم الحبر وتراني جالسًا إلى مكتبي في شقتي بملابس النوم الذي لم أذقه بعد وأنا أكتب تواريخ جرائم القتل التي ارتكبها وأماكنها:





عام 2001: جريمتان في منطقة (مصر الجديدة).

عام 2002: جريمتان في (الجيزة).

عام 2003: جريمة في (الجيزة) وجريمة في (الشرقية) وجريمة في (6 أكتوبر).

عام 2004: جريمتان في (شبرا) وجريمة في (المنصورة).

عام2005: لا جرائم معروفة.

عام 2006: جريمة في (الجيزة) وثلاث جرائم في (القاهرة).

عام 2007: جريمتان في (الإسكندرية) وجريمة في (القناطر) وجريمة في (المنوفية).

عام 2008: جريمة في (شبرا) وجريمة في (المرج).

عام 2009: جريمة في (القناطر).

عام 2010: جريمتان في (القاهرة) وجريمة في (بورسعيد).

حتى الآن الجرائم ووتيرتها كانت تسير بشكل شبه عشوائي، لو سألت يا قارئي العزيز عن كيفية معرفتي بكل تفاصيل جرائم قاتلي العزيز فأقول لك لأنني راقبته تلك الفترة وهذا هو ما خرجت به من أبحاثي الخاصة، فربما فاقت جرائمه تلك القائمة بمراحل لا يمكنني تخيُّلها.

كيف يختار ضحاياه؟، الإجابة هي أنه يبتعد عن أي ضحية تعرفه بشكل شخصي لأنه لا يريد الزج باسمه داخل التحقيقات الشرطية، هل يختار ضحية عشوائية؟ الإجابة نعم ولا، بعض الأحيان يختار ضحية لا ذنب لها سوى أن ظروفها تصلح للقتل كاختيارك للخروف الممتلئ باللحم والدهن الخالي من السقم والذي يصلح للذبح الآن، وبعض

ضحاياه يختارهم لأسباب نفسية تخصه، قاتلي يعوض حرمانه من الإدمان الحقيقي بالقتل، هناك ثلاثة من ضحاياه مرضى تلقوا علاجًا نفسي لكن هذه ليست سمة تجمع بقية الضحايا، هو لا يقتل المرضى النفسيين، هناك ضحايا رجال في سن الشباب والكهولة، وفتيات صغيرات ونساء عجائز، كل الأنواع مطروحة.

يالهوي.. موعد المراقبة سيبدأ بعد قليل، يجب أن أستحم وأرتدي ملابسي قبل استيقاظ (بسمة) ثم أخبرها بأنني مشغول اليوم لأعتذر لها عن أي مواعيد، ثم أذهب لمراقبة (مجدي).

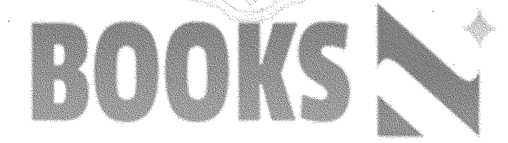
***

هذا يوم جديد وأشعر بالإحباط معه، أهو الإحباط أم الملل؟؟، أفكر بأخذ اليوم إجازة من مراقبة (مجدي)، هذا الرجل ممل بحق، يمكنني رسم خريطة لحياته ببساطة، بدلت السيارة وإن كنت أشك أنه سينتبه للمراقبة، على كلٍّ لا ألومه فالمراقبة الأمنية لا تعتمد فقط على الأساسيات التي تتعلمها في تلك الدورات الشرطية، بل هي موهبة وممارسة تفقدها إن لم تقم بها دوريًا.

أنا في الأصل لم أراقبه إلا لأفتح منفذًا يمكنني منه الدخول بشكل طبيعي لحياته، وأعتقد أن المنفذ اكتمل ويمكنني الاقتراب منه بأمان، ولذلك عليَّ أن أبدأ بالخطوة الجديدة وهي مراقبة قاتلي العزيز.

سأعترف هنا أنني كنت أخاف مراقبة (مجدي) لكن مراقبة قاتلي درجة أعلى من الخوف، سأبدأ من الغد مراقبته، وأحاول في نفس الوقت الدخول لعالم (مجدي).

***



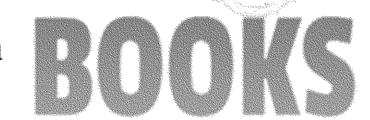
«فكروني ازاي هو انا نسيتك.. فكروني ازاي هو انا نسيتك

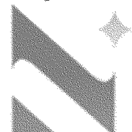
إنت أقرب مني ليا يا هنايا.. حتى وإنت بعيد عليا أو معايا»

السيدة (أم كلثوم) يأتي صوتها من السماعات التي أضعها في أذني وأنا أتمشى في شوارع وسط البلد بالقاهرة، لا أسير هكذا بلا هدى، لكني أراقب قاتلي لأول يوم، أخذت القرار بالأمس ونفَّذته اليوم، كنت أجلس داخل سيارتي بالقرب من مكتبه منذ الصباح حتى دخله، نعم مكتبه، ألم أخبرك أنه يعمل محاميًا وله مكتب في وسط البلد بالقاهرة؟، طبعًا هو مكتب إيجار قديم أي إنه لا يدفع فيه الكثير كل شهر لكنه في راحة مادية بالتأكيد من كم القضايا التي يستقبلها مكتبه كل يوم.

اشتريت ملابس جديدة تناسب مقاس جسدي النحيل ونظارة طبية أخرى، والكمامة الطبية التي يجب ارتداؤها للوقاية من فيروس (كورونا)، ثم حلقت شعري جيدًا لتصبح صلعتي ملساء، الآن لا يمكن لقاتلي تمييزي وسط الزحام، زوجتي نفسها لن تتعرف عليَّ بسهولة، لكن يجب ألا يلمحني أكثر من مرة، المشكلة أنني كنت أجلس في سيارتي بالقرب من العمارة التي بها مكتبه أعاين أماكن كاميرات المراقبة الموزعة أمام المحلات القريبة - وهو شيء روتيني في عمليات المراقبة - وأحاول إيجاد أماكن النقاط الميتة التي لا تكشفها تلك الكاميرات، وفجأة رأيته يخرج من مكتبه ولا يستقل سيارته. قفز احتمالان لرأسي، الأول أنه سيركب سيارة أجرة إلى مكان ما، والثاني أنه سيتمشى على قدمه لعمل مقابلة قريبة.

اخترت الاختيار الثاني وخرجت من السيارة أسير وراءه، كان يرتدي



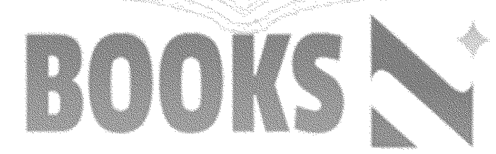


بدلـة كاملـة وهـي ملابـس يشـتهر بهـا المحامـون في مـصر، حقيبـة جلديـة في يـده اليـسرى ويرتـدي القنـاع الطبـي، طبعًـا جعلـت بينـي وبينـه مسـافة 100 مـتر تقريبًـا، داريـت نفـسي وسـط الزحـام حتـى لا يلاحظنـي، شـغلت أغنيـة (أم كلثـوم) عـلى هاتفـي المحمـول ووضعـت السـماعات بـأذني، حاولـت تمالـك نفـسي فمراقبـة ذئـب تختلـف تمامًـا عـن مراقبـة البـشر.

توقـف المحامـي عنـد إحـدى مناطـق عبـور المشـاة ونظـر يمينًـا ويسـارًا جيـدًا بشـكل طبيعـي ثـم عـبر عنـد توقـف السـيارات، سـار ودخـل لأحـد الشـوارع الجانبيـة، طـرق بـرأسي خاطـر أن أتوقـف عـن متابعتـه وأتركـه للحظـات، بالفعـل عـاد هـو مـن نفـس الشـارع كأنـه غـيَّر رأيـه وأكمـل المسـير في خـط مسـتقيم.

حركاتــه لا تريحنــي، ســأجعل بينــي وبينــه مســافة 150 مــتر تقريبًــا لأن نظـري لـن يصـل لأبعـد مـن ذلـك، توقـف هـو عنـد مكتبـة (الأنجلـو المصريـة) ودخـل بهـا، جميـل أن يقـرأ القاتـل المتسلسـل مـن وقـتٍ لآخـر، لا أتخيـل أن تجـد في مكتبتـه كتـاب (7 طـرق للنجـاح في إخفـاء الجثـث)، أو (اقتـل أعـداءك وعـش سـعيدًا)، مهنتـه المحامـاة فربمـا كان يشـتري كتابًـا يتعلـق بالقوانـين.

وقفـت عنـد بائـع أيـس كريـم أشـتري مـن عنـده لأداري موقعـي وعينـي مركـزة عـلى المكتبـة، لم يمكـث هنـاك سـوى لدقائـق قليلـة وخـرج ينظـر يمينًـا ويسـارًا كأنـه ينـوي عبـور الشـارع وسـط السـيارات.. لا، إنـه يكشـف المراقبة، كل مـا كان يفعلـه مـن البدايـة هـو كشـف المراقبـة، لكنـه لم يكشـفني حتـى الآن، كشـف المراقبـة لا يتـم إن شـككت أنـك مراقـب مـن الأصـل، هـل شـكَّ بي؟؟ أم أنـه يتجـه لمـكان خـاص يخـشى كشـفه؟؟



لـو أخرجـت هاتفـي ووضعتـه عـلى أذني كأننـي أتحـدث بـه وشـغلت كاميرتـه فسيشـك بي طبعًـا، عيـون هـذا الرجـل مدربـة جيـدًا، هـا هـو يسـير قليـلًا ثـم يشـير لسـيارة تاكسـي ويسـتقلها.

ليتنـي كنـت في فيلـم عـربي قديـم فأشـير أنـا الآخـر لتاكسـي وأخـبر سـائقه بـأن يتبعـه، سـألغي المراقبـة اليـوم ويكفـي إلى هنـا، عـلى كلٍّ أنـا أعلـم مخبـأ الذئـب وسـأزوره في وقـتٍ لاحـق فربمـا وجـدت فيـه مـا يفيـدني.

***

مقهـى (أبـو حمـدي زغللـة) يـبرز مـن أحـد شـوارع (المريوطيـة) بشـكل منفـر، يسـتحق لقـب (قهـوة بلـدي) عـن جـدارة بكراسـيه الخشـبية غـير المريحـة، لكنـه يسـتحق أيضًـا لقـب كافيتريـا بمشروباتـه الممتـازة مـن الزبـادي الخـلاط والسـحلب المكسـرات وعصـير المانجـو الطبيعـي والجوافـة باللـبن، تعرفـون أننـا في مـصر نصنـف المقاهـي مـن أول (قهـوة بلـدي) إلى (كافيتريـا) إلى (كافيـه)، وهـي تصنيفـات معقـدة تتعلـق بجـودة المشروبـات وإمكانيـة جلـوس الفتيـات داخلـه مـن عدمهـا وأسـعاره التـي كلـما زادت كلـما اقـترب مـن تصنيـف (كافيـه) وكلـما قلـت كلـما اقـترب مـن تصنيـف (غـرزة) التـي يدخنـون بهـا الحشـيش.

هـذا المقهـى لم أحبـه فهـو في نقطـة بـلا تصنيـف كـما قلـت، لكنـه مناسـب لأهـل المنطقـة ليتجمعـوا داخلـه، ولـو دخلتـم الآن والسـاعة تقـترب مـن التاسـعة مسـاءً، سـتجدني جالسًـا في أحـد أركانـه وفي فمـي مبسـم الشيشـة وأمامـي عـلى المنضـدة (لاب تـوب) مفتـوح عـلى شاشـة برنامـج الكتابـة وقـد فتحـت روايـة قديمـة لي وأنـا أمثـل منـذ سـاعاتٍ أننـي أقـوم ببعـض الإضافـات فيهـا.

منكم من سيهتف منتصرًا أنني أجلس لأراقب (مجدي)، لا، الحقيقة أنني أنتظر (مجدي) لكن ليس لمراقبته، بل للدخول في حياته للمرة الأولى بشكل مباشر، موقعي هذا قريب من جلسة أصدقاء (مجدي) الذين يجلسون كل ليلة، وأنا جلست على هذا المقهى منذ ساعات كأنني أكتب، سألني النادل منذ ساعة عن الشيء الذي أركز نظري عليه في الشاشة فأخبرته بمهنتي، وهذا ما تمنيته، سيعلم الجميع أنني كاتب.

(مجدي) دخل الآن وجلس قريبًا مني، سأنتظر اليوم إن ذكر هو أي شيء له علاقة بالشرطة لأصدقائه سأتدخل في حديثهم وأعرّفهم بنفسي أنني كاتب وأكتب الآن رواية عن الجرائم ثم أطلب منه مساعدتي في الوصول لأحد مكاتب المركز الإعلامي الأمني بوزارة الداخلية ليمدوني ببعض المعلومات عن رجال الشرطة لأذكّرها في روايتي، ثم مع الوقت أتواصل مع (مجدي) حتى أكتسب صداقته.

حضرت كل شيء وتأهبت نفسيًا، حتى لو سألني عن مصادفة جلوسي في هذا المقهى فسأخبره بأن دار النشر التي أتعامل معها في نطاق (الجيزة) وأنني خرجت بسيارتي من عندهم وكنت أتمشى بسيارتي أفكر في الرواية حتى توقفت عند أقرب مقهى وجدته لأدوّن ما فكرت به - أعرف أن تلك الحجة مريبة لكنها في الواقع تكون مقبولة جدًّا، وها هو (مجدي) يدخل ليجلس على المنضدة المجاورة.. دقات قلبي ترتفع، فشلي اليوم في مراقبة المحامي يظهر جليًا أمام عيني وعقلي يخبرني أنني سأفشل في التقرب من (مجدي).

جلس هدفي بعد تحية أصدقائه وطلب كوب شاي وهو يشعل سيجارة، صوتهم يصل لي بسهولة كأنهم يصيحون بأذني، أنا أجلس

قبالتهم أي إنه يمكنهم رؤيتي بوضوح كما يمكنني أنا ذلك، طبعًا أمثل الانشغال في الرواية مع تركيز أذني عليهم.. الدقائق تمر سريعة ولم يتحدثوا عن أي شيء يخص الشرطة، لو مرَّ اليوم هكذا لا مشكلة، سأعيد الكرة غدًا وسيكون ذلك منطقيًا أكثر ويبعد...

- أستاذ (داوود الجوهري)، أليس كذلك؟

قيلت تلك العبارة من شخص يقف بجانبي فجمدت تفكيري، نظرت لقائلها فكاد قلبي أن يتوقف من هول الصدمة، إنه الرائد (مجدي) بنفسه، يقف مبتسمًا منتظرًا إجابتي.

- أأأأ.. أنا هو، تتتتت... تحت أمرك؟

- لم أصدق نفسي حين رأيتك هنا على القهوة ففتحت حسابك على (فيس بوك) وتأكدت من آخر صورة شخصية لك.

تبع عبارته بأن وضع شاشة هاتفه المحمول أمام رأسي، نعم هذا هو حسابي الشخصي على (فيس بوك) وصورتي منذ شهر كانت بلا شعر على الرأس.

- أنا أتابعك على كل وسائل التواصل الاجتماعي منذ سنوات، انتظر حتى تعرف زوجتي أنك هنا بالقرب من بيتي.

كان يتكلم بسعادة حقيقية وهو يتصل من هاتفه المحمول ثم يضعه على أذنه ويخاطب زوجته، فجأة أعطاني الهاتف لأحدثها، كنت أرد على فرحتها بلعثمة وكلمات عامة لا أتذكرها على منوال «أهلًا أهلًا» «إعجابك بكتبي شرف لي» «إن شاء الله»، سحب بعدها الهاتف من على أذني وتحدَّث مع زوجته بنفس الفرح ثم قال بحماس مبالغ فيه:

- لم تتصور كيف كانت سعادتها عندما قبلت دعوة العشاء الليلة.

أي دعوة تلك!!، على الأرجح طلبت هي ذلك وأنا رددت بغبائي موافقًا، الأشياء لا تسير حسب الخطة وهذا شيء أكرهه كالسبانخ، أحاول التقرب من (مجدي) فيظهر أنه يقرأ لي بل ويتابعني، هل شاهدني الأيام السابقة أثناء المراقبة وهو الآن يوقعني في شر أعمالي؟؟!!

احتمال بعيد لكني لن أهمله، عرفني (مجدي) على أصدقائه بسرعة ثم طلب مني الإسراع في لم أشيائي لأذهب معه لشقته القريبة، حاولت التملص منه ففشلت، هذا الرجل متحمس بشكل مخيف والأدهى أن عينيه تشعان فرحًا بوجودي فعلًا.

لملمت كل شيء بسرعة وأخذني هو في يده كالطفل وهو يثرثر عن رواياتي التي يتابعها منذ تخرج من كلية الشرطة حتى الآن، وهو يعلق على كل رواية بالنقد إيجابًا وسلبًا بتفاصيل لم أكن أتذكرها أساسًا، سألني عن سيارتي وأين ركنتها فأخبرته بأنها قريبة.

***

- أستاذ (داووووووووود).

هكذا نطقت (مريم) زوجة (مجدي) اسمي بصوت ممدود كأنها قِط يصرخ، قفزت في موضعها من الفرحة وهي تمد يدها اليمنى مصافحة، فجأة وضع (مجدي) يده على كتفي وهو يرفع هاتفه ويقول:

- نأخذ كلنا صورة سيلفي بهذه المناسبة.

وضعت (مريم) هي الأخرى يدها على قفاي وابتسما ناظرين لكاميرا الهاتف، قابلت الكثير من قرائي من هذه الشاكلة وهو شيءٌ لم أكرهه

حتى لو اعتبروني مجرد شيء غير حقيقي يمكن الإمساك به، وهذه رؤية الكثير من القراء للروائيين الذين أحبوهم، يعتبرونهم شيئًا.

- سنأخذ الكثير من الصور لكن بعد أن أنتهي من تحضير العشاء.

قالتها (مريم) ورذاذ فمها يتطاير من حولي ثم جرت للمطبخ، أما (مجدي) فقد أخذني لنجلس على أحد مقاعد صالة الشقة، رجل طيب فعلًا، وزوجته طيبة، لا أعرف سر الراحة التي انتابتني في شقتهم.

وهو شعورٌ غريبٌ خاصة مع كل تلك الألوان، أتحدث عن خليط من الألوان يتناثر في كل الشقة كأنها محاولة منهم لإصابة زوّارهم بالهياج العصبي، أريكة الصالة لوحدها مليئة بخمسة ألوان على أقل تقدير لدرجة أنه لو وضعت عليها ببغاء لن تلاحظه.

كل حائط من الشقة يحمل درجة لونية بجانب الأثاث نفسه، والعجيب يا أخي هو شعوري بالراحة، لدرجة أنني أغمضت عيني بعد جلوسي مباشرة وكأني سأغط في سبات طويل.

- ماذا تشرب يا أستاذ (داوود) حتى ينتهي إعداد الطعام؟

- ما ستشربه أنت.

جرى ناحية المطبخ وتركني وسط كل تلك الألوان وحيدًا، وخيالي يسرح في إمكانية تحويل هذا المكان لمحل عصير قصب.

- أعرف فيما تفكر.

صرخ بها (مجدي) وقد أتى من المطبخ بعلبتين من الكوكاكولا، مصيبة حقيقية لو كان يستطيع قراءة أفكاري، ناولني علبة وهو يكمل:

- أنت تفكر بهذا المجنون الذي دعاك إلى شقته بلا سابق معرفة،

اسمي (مجدي فرج)، مهنتي ضابط شرطة.

أعرف يا صديقي كل شيء عنك، المهم هل تعرف أنت قدر ما أعرفه عنك ؟

- وأعرف عنك الكثير أنا وزوجتي، نحن من متابعينك منذ الأزل، لقد تقابلنا منذ سنوات في حفل توقيع لك.

- هل.. أأأأ.. هل أتيتم لحفل توقيع لي سابقًا؟؟

جلس بجانبي وهو يشرب الكوكاكولا ويصيح:

- طبعًا، وأنت وقعت لي مرتين قبلها، و(مريم) هي الأخرى كانت مدمنة على حفلات توقيعك، تقابلنا عندك وتعرفنا ثم أحببنا بعضنا البعض.

ذاكرتي لم تسعفني عن رؤيته، هل يلاعبني نفسيًا، لكنه نهض فجأة وغاب عني ليعود ببعض رواياتي وعليها توقيعي، نعم الكوميديا تتجلى في أغبى صورها، رأيته أكثر مرة في حياتي ولا أتذكره وأنا الذي اعتقدت عن نفسي أن ذاكرتي أحد من الموسى.

- لا تحكِ له يا (مجدي) عن كيف تقابلنا، سأحكي أنا.

تلوّن وجهه وهو يخفي الكتب خلف الأريكة بعدما سمعنا صوت (مريم) من المطبخ وهمس في أذني:

- لا تخبرها بما فعلت ومثل أمامها الاندهاش عندما تروي لك الحكاية.

ما هذا العبث!!! الرواية تتحول لرواية كوميدية تافهة لا رواية جريمة جادة، متى سيتوقف هذا التهريج؟؟، تنحنحت وسعلت وأنا

أخـرج أدوات لـف السـجائر، لكنـه أخـرج سـيجارة بسرعـة مـن علبـة سـجائره وناولنـي إياهـا، رفضـت بـأدبٍ فقـال هـو:

- كنـت أعـرف، أنـت تدخـن نوعًـا واحـدًا مـن سـجائر اللـف لا تغـيّره مهـما حـدث، old Holborn أليـس كذلـك؟؟

- مَن أخبرك بنوع سجائري؟

- كثـير مـن المدمنـين عـلى كتبـك يعرفـون تفاصيـل حياتـك، نخبرهـا لبعضنـا البعـض أثنـاء حفـلات التوقيـع

يجـب الحـذر إذًا في الحديـث معـه، لم أعلـم أنني مكشـوف بتلـك الدقـة للكثيرين.

- أستاذ (مجدي) أنت قلت إنك ضابط شرطة.

- نعم، تحت أمرك في أي خدمة.

- المصادفـة الغريبـة أننـي أكتـب روايـة درامـا لكـن حبكتهـا الأساسـية هـي الجريمـة وتحقيقـات الشرطـة.

اتسعت عيناه ذهولًا وهو يقول:

- تجربة غريبة عليك، ستفرح (مريم) عندما تسمع ما قلته.

وكالأفـلام المصريـة القديمـة دخلـت (مريـم) علينـا لتقـول إن الطعـام جاهـز، طبعًـا هـي كانـت أعـدَّت الطعـام مسـبقًا لهـما لأن موعـد رجـوع (مجـدي) قـد اقـترب وأنـا الـذي قفـزت عليهـما بالباراشـوت لأشـاركهما الأكل.

جلسـنا عـلى سـفرة طعـام الغـداء والـذي يدعونـه في هـذا التوقيـت بالعشـاء، انتابنـي الحـرج وخاصـة عندمـا لاحظـت أن (مريـم) زادت الطعـام بقـلي الكثـير مـن الدجـاج المجمَّـد مسـبق التحضـير، عيناهـا توقفتـا عنـد يـدي

اليمنى ولم تستطع إبعادها، أعرف أن عين الكثيرين تتوقف عند تلك الندبة البارزة على ظهر يدي، لكنهم في الغالب لا يسألون عن سببها كنوع من الأدب، بصعوبة أبعدت عينيها عن يدي وهي تقول:

- هناك سؤال يشغلني ويشغل (مجدي) يا أستاذ (داوود)، هل أنت متزوج فعلًا؟

لو كانت النظرات تؤذي لجرحت (مريم) من نظرات (مجدي)، لكنني ابتسمت وقلت:

- نعم، تزوجت منذ زمن، اسمها (بسمة).

- أكيد تعيش معها في رومانسية دائمة، لكم طلبت من (مجدي) أن يتعلم الحب من رواياتك.

عباراتها مبتذلة كرواياتي، لا أعرف مَن منّا يقلد الآخر، لكني جاوبتها على كل حال:

- بالعكس نعيش ككل الأزواج في كثير من المشاكل، تفصل بينها لحظات سعادة تكفينا لنمر من أي أزمة.

حاول (مجدي) الابتعاد عن الموضوع ونحن نتناول الطعام وسأل وهو يضحك:

- هل حلاقة رأسك منذ شهر كان بسبب الزواج؟؟

- الحقيقة أنني مصابٌ بسرطان المخ وبسبب تلقّي العلاج تساقط شعر رأسي فقررت حلاقته بانتظام.

لا أبالغ لو قلت إن (مجدي) توقف الطعام في حلقه من الحرج، بينما تجمعت الدموع في عين (مريم)، تلك الأسرة طيبة فعلًا، أخشى أن

أدخلهم فيما لا يستحقونه.

أخبرتهم طبعًا أن كل شيء على ما يرام وأن السرطان يتناقص، من كثرة ما أخبرت الجميع بتلك العبارة حتى صدّقتها نوعًا ما، ذهبت (مريم) لتحضر مناديل ورقية لتتمخط فيها و(مجدي) يربت على يدي بيده الملوثة بالدجاج المقلي.

- كنت أخبر زوجك يا مدام أن روايتي القادمة ستكون من نوعية خاصة، ما رأيك أن تقرئي لي في أدب الجريمة؟

- بجد؟؟

- أهم شيء أن تقنعي زوجك بمساعدتي في تفاصيل الرواية.

عزيزي القارئ لا أعرف كي أعتذر لك عن الجمل النمطية التي تدور بيننا، لكن الحقيقة أنني كلما فكرت في عبارة أقولها تخرج تلك العبارة من فمي بتلك السخافة، نسيت أن أصف لك (مريم)، أنت نفسك نسيت أن تسألني، اسمع يا سيدي، هي في بداية العشرينيات بيضاء متوسطة الطول جميلة بشعر أسود قصير وجسد يميل للامتلاء، ما رأيك في الوصف؟ عام أليس كذلك؟ الحقيقة أن هناك مصنعًا ما يخرج نوعية (مريم) للوجود لذلك يصعب عليّ إيجاد أي مميزات تقربها لخيالك.. آه تذكرت، هي تبتسم بأسنانها كثيرًا، أو أنها تبتسم أكثر من اللازم حتى وهي تتكلم، لم يكن ذلك بالشيء السيئ، لكنها كانت تبتسم حتى وهي حزينة.. ها هل تخيلت شكلها، الحقيقة لا أعرف لم يطلب مني القارئ وصف شكل وهيئة الأبطال.. أنا الآن مريضٌ ولا أتذكر الوجوه جيدًا - أحب استخدام موضوع المرض هذا للهروب من أي شيء- وأتمنى من سيادتك أيها القارئ ألا ترهقني بأي أسئلة تدور برأسك.

- يا (داوود) بيه أنت تأمر وأنا أجيب.

قالها (مجدي) ردًا على طلبي للمساعدة.. طبعًا إرفاق اسمي بلفظة (بية) هو قانون في عالم الشرطة، أو قانون في مصر كلها على الأغلب، الجميع ينادي بعضه بلفظة «بيه» أو «باشا» كنوع من الأهمية الزائدة، لكن لو نطق أحدهم اسمك ثم أتى بعده لفظة بيه فاعلم أنك في منطقة أمنية، الجميع في عالم الشرطة هو (محمد) بيه أو (سعيد) باشا، حتى الضباط ينادون بعضهم بتلك الألفاظ، أعتقد أن الموضوع يثيرهم بشكل ما، وطبعًا كلما علت رتبتك الشرطية يتغير لفظ بيه للفظ باشا.

- يمكنك أن تناديني (داوود) فقط يا سيادة الرائد.

- وأنت أيضًا لا داعي للألقاب فنحن أصدقاء الآن، إلا لو كنت ترفض صداقتي.

ضحك بعد عبارته بلا سبب!!! فضحكت أنا الآخر، مشكلتي الآن أن أوقف كمية المودة هذه، كل ما كنت أريده أن أدخل لحياته، فأجدُه أنا هو الذي يدخل حياتي بحذائه ويمرح فيها كأنه زوج خالتي.

***

كادت تفور القهوة وتغرق البوتجاز _نسميه في الروايات الموقد_ وطبعًا (بسمة) سيجن جنونها وتطالبني أنا بالتنظيف، عملية إعداد القهوة كما أحبها معقّدة، يجب أن أخفي تلك الطبقة التي تتجمع في أعلى أجزاء القهوة وذلك بجعلها تغلي ببطءٍ، وقبل أن تفور أبعدها عن النار، ثم أعود ثانية وأدعها تغلي وأبعدها فجأة، ونظل في تلك الدائرة

حتى تصل للقوام الذي أحبه أو الدارج باسم (قهوة مغلية)، صببت القهوة في القدح الصغير وأخذته متجهًا للمكتب.

هناك وجدت (بسمة) بملابس الخروج تعبث بأوراقي، متى أتت؟

- ألم تقولي إنكِ ستبيتين عند والدتكِ؟ ماذا حدث؟

كانت تمسك بروايتي التي أكتبها وهي تقرأ منها شيئًا، رفعت كفها ناحيتي ضاحكة:

- اهدأ اهدأ يا (داوود) لم تحدث مصيبة، اشتقت لك فقط.

رفعت حاجبي في علامة تعلمها هي جيدًا، علامة عدم التصديق، دخلت بالقهوة لأجلس على أحد المقاعد القريبة وأنا أشم رائحة القهوة وأقول:

- لماذا لم تتحدثي هاتفيًا كي آتي لاصطحابك؟؟، قولي الحقيقة وارتاحي.

- الحقيقة أنني قلقت عليك، هل تتابع حالتك مع الطبيبة؟

- بعد أربعة أيام سأذهب لها.

- (داوود).

- نعمين.

- أعرف أنك تكذب، وكان يجب عليك تلقي جرعات علاج إشعاعي جديدة لكنك لا تنوي الذهاب.

- وأنا أعرف أنكِ تسترقين النظر لروايتي التي أكتبها وتحاولين استنتاج الحقيقة منها.

تركت هي أوراق الرواية من يدها ونهضتُ أنا لأجلس خلف مكتبي وأضع قدح القهوة بجانبي ثم ألف سيجارة وأنا أوجه كلامي بدون النظر إليها:

- تعرفين أنني أكرة أن تقرئي أي شيء أكتبه قبل الانتهاء منه، ناهيكِ عن أنك تخلطين بين خيالي وبين الواقع وتعتقدين أنني أكتب ما يحدث لي يوميًا داخل أحداث الرواية، مهمتي هي خلط الخيال بالواقع لا كتابة سيرة ذاتية، وأنتِ تعتقدين.

توقفت عن الحديث لأنها غادرت، في وقتٍ سابق كنت سأصرخ، هي فهمت أنني أنسج كذبة وأحاول إقناعها فقررت الابتعاد عني لفترة، جيد، فأنا لست صاحب مزاج رائق الآن للحديث، كل ما أتمناه هو الكتابة لأنهي كل شيء بسرعة.

أكملت لف سيجارتي محاولًا إبعاد كل المشاكل عن ذهني، أخرجت الهاتف المحمول الجديد وصورت كل الصفحات الجديدة التي أضفتها في هذه الرواية، أشعلت السيجارة ولم أسحب أنفاسها لصدري العليل، كان يكفيني تمرير الدخان داخل فمي لأحافظ على شعور المدخن لا أكثر.

ذهني لا تخرج منه الأفكار عن حياتي و(مروة) و(بسمة) وأمي وشقيقاتي وأبي، الأفكار تتحرك داخل عقلي بلا رادع، دخان السيجارة يشتت رؤيتي سأطفئها، لماذا أتعرق بهذا الشكل نحن في نهاية فصل الخريف!!!، شيء ما ينبئني بأنه سيغشى...

كم مرَّ من الوقت وأنا مغشى عليَّ!!! نعم فقدت وعيي لدقائق على مقعدي وصحيت غارقًا في العرق كأنني كنت أعوم في البحر، إنها إحدى نوبات فقدان الوعي التي تأتي من وقتٍ لآخر، سأذهب لأتحمم سريعًا وأعود، أشعر بالانتعاش قليلًا.

***

عـدتُ لكـم مـن جديـد ولففـت سـيجارة جديـدة، أنـا جاهـز للكتابـة، أمسـكت هاتفـي المحمـول وشـغلت أغنيـة لتشـغل بـالي في الخلفيـة وأشـعلت السـيجارة الجديـدة وأنـا أرتشـف مـن القهـوة البـاردة أسـتمع لصـوت (أديـب) يقـول متغنيًـا:

«أَسَرْتِ قلبي بلحظٍ منك فتاكِ.. فمن بذا يا حياة الروح أفتاكِ»

طعـم القهـوة وهـو بـاردٌ لذيـذٌ يمكـن كشـف جودتـه بسـهولة، أيـا تـرى بعـد المـوت سـأتذوقه!! ربمـا، أتعلـم يـا قـارئي العزيـز أن الأديـان اجتمعـت عـلى أن مـا بعـد المـوت لغـز كبـير، مـن أنـا لأقـول لـك عبـارات عميقـة عـن المـوت والكتـب وصفحـات عـلى الإنترنـت تمتلـئ بهـا، لكـن هـذا اللغـز فعـلًا يحـيرني.. لسـت ملحـدًا فأنـا خاطـئ وأنـت تعلـم أن مرتكـب الخطايـا يحلـم بالخـلاص والمغفـرة، ربمـا لـو لم أحمـل كل تلـك الذنـوب والأوزار عـلى ظهـري لألحـدت، يشـغلني بعـد المـوت فكـرة لقـاء الأحبـة، هـل تتقابـل أرواحنـا بعـد المـوت مباشرة، أم نحاسـب ثـم نلتقـي؟؟ هـل سـأقابل أبي؟؟ الأديـان لم تجـب عـن تلـك الأسـئلة بطريقـة مبـاشرة، كأن اللـه أعـد لنـا مفاجـأة خاصـة ولم يـرد أن يعلنهـا لنـا، ربمـا أخفاهـا لهولهـا، أو هـل أخفاهـا اللـه لجمالهـا؟؟

لـن أتقمـص شـخصية المفكـر الفيلسـوف أكـثر مـن ذلـك وسـأعود للواقـع كي أبـدأ الكتابـة.

«ما كان ظني كذا يا منتهى أملي.. أن تشمّتي أعدائي وأعداكِ

إن كان للناس عيد يفرحون بهِ.. يا نور عيني فعيدي يوم ألقاكِ»

سأغلق الأغنية فقد هدأت أحوالي، ما الذي ذكَّرني بالموت بتلك الطريقة!! سأقابله قريبًا فيجب ألا أتعجل ذلك اللقاء، المهم، كنت أحكي لكم عن تلك الوجبة التي تناولتها مع (مجدي) و(مريم)، كل الخطط تهدمت وبناء خطة جديدة سيحتاج لأيام، بدلًا من أن أخترق حياته وجدته يمرح هو في حياتي، وهذا ليس جيدًا فطبيعتي الحذرة لا تفضل اقترابه مني، انتهى الطعام ولم أجده يتطرق بشكل جدي للمعلومات التي أطلبها وتخص الرواية، لذا قررت ألا أفتح الموضوع في هذا اللقاء كي لا يشك بي، ظللنا نتحدث عن الكتابة والقراءة بشكل عام وهذا الحديث أعترف أنه أدهشني قليلًا فمجدي هذا مثقف إلى درجة ما ويقرأ كل ما تقع عليه يده من روايات.

لا تقولوا كلمات على غرار «وما الضير من ذلك أليس بشرًا» أو «أنت الذي صنفته من البداية»، لم أقصد أنه لمجرد عمله بالنظام الأمني أنه ليس مثقفًا، الحقيقة أنني عرفت أكثر من ضابط أمني يقرأ بانتظام، لكن فكرة العمل الأمني نفسها تأخذ شيئًا ما من روحك، تضعك في حيز ضيق من الاهتمامات وتجبرك على التعامل مع فئات مجتمعية فتشوش تفكيرك وتنسيك بعض متع قراءة الروايات، (مجدي) هذا مختلف، والمختلفون معذبون، حتى يجدوا من يشبههم في اختلافهم، (مريم) زوجته ربما تشبهه في اختلافه، لكن...

ما هذا العبط الذي أكتبه، عدتُ ثانية للاستطراد المملّ كما أفعل في رواياتي التجارية، كنت أقول إنني سأتحرك الآن في طريقين، الأول هو توطيد علاقتي بمجدي وقد تبادلنا أرقام هواتفنا ووعدته أنا بالزيارة في أقرب وقت في عمله داخل مديرية أمن (القاهرة) لأسأله عن بعض الأشياء المفيدة في قصتي التي أكتبها.

الطريق الثاني هو إكمال متابعة قاتلي ومعرفة نوعية الجرائم التي يرتكبها هذه الأيام، وهذا لن يتم إلا حين العثور على دليل، القاتل المتسلسل يميل لصنع مخبأ، مكان يشعر فيه بنفسه، عرين يتخيل نفسه سيّده، يضع بعض اللمحات فيه من شخصيته الحقيقية، شخصية القاتل، قابض الأرواح، الملك.

لقاتلي العزيز مخبأ قديم، لا أظنه يستعمله إلى الآن، لأنه أذكى من ذلك، المفترض أنه يعرف كيف يغير مخبأه من وقتٍ لآخر، لكن لا ضير من محاولة زيارة هذا المكان في الغد، و...

انتهى الكلام من رأسي، جسدي غلبه النعاس فجأة، ربما صالحت (بسمة) قبل الخلود للنوم وطلبت منها أن تستيقظ لتراقبني.

بحثت عنها في الشقة ولم أعثر عليها، سأتصل بهاتفها فأنا أشك في شيء، أعطوني بضع دقائق وسأعود.

عدت.. نعم كما توقعت، الهانم شعرت بالغضب وعادت لمنزل والدتها، قصة نكد كلاسيكية بامتياز، من هذا الغبي الذي قال إن كاتب الروايات الرومانسية يستطيع التعامل مع النساء، إنهن لغز يدعوني لتحطيم رأسي على أقرب أرضية حمام.

سأحاول النوم وغدًا يوم آخر.

***



الذِّكر الثالث للموت

ملحوظة: فكرت أن ألحق باسم هذا الفصل عبارة على غرار (المخبأ الرهيب) أو (القدر العجيب) لكنني فضلت ألا أمارس دور المتخلف أكثر من ذلك.

استيقظت وأنا في غرفة الصالون في الثالثة صباحًا، نمت على السرير لكني أفقت هنا، ويا ليت المشكلة انتهت هنا، فقد كنت أبكي وقد تجردت من معظم ملابسي، لن تفهم ما أحسسته إلا لو جربت تلك المهزلة، حلم مزعج لا أتذكره ثم شعور بالبرد وأنا نائم، ثم فجأة أفتح عيني لأجد نفسي جالسًا على ركبتي ودموع كثيرة تهبط من عيني وتغرق وجهي.

نهضت متألمًا أفتح ضوء غرفة الصالون وأتأمل جسدي الذي لا يستره سوى قطعة ملابس داخلية، صدري به خدش بسيط من أعلاه، ربما احتك جسدي بشيءٍ ما في الشقة، مشيت داخل الشقة أحاول تتبع حركتي فوجدت ملابس النوم ملقاة على الأرض بجانب منضدة السفرة، ولا علامات على تغيير في الشقة.

جلست على أحد مقاعد السفرة أمسح بقية دموعي وأحاول تنظيم تنفُّسي، لاحت يدي اليمنى لي فتأملت ذلك الجرح القديم البارز، لمستها بأصابع يدي الأخرى وأنا أفكر في المستقبل الحالك.. لو عاد لي اضطراب المشي أثناء النوم بتلك القوة ستكون النتائج كارثية، ناهيك عن الماضي الذي عشته.. وأرجوك عزيزي القارئ أخبرك للمرة الثانية بألا تقفز لاستنتاج يتعلق بالمشي أثناء النوم.

الغريب أن السير أثناء النوم أتاني في نهاية مرحلة النوم وقبل

استيقاظي!! هل أعود للنوم ثانية؟ لا سأستغل الفرصة وأخرج لمعاينة مخبأ قاتلي.

بعد الاستحمام ارتديت ملابسي وأكلت لقمة لأخذ أدويتي، أخذت بطاقة هويتي المزورة وأنا أراجع ما سأفعله بذهني أكثر من مرة.

نزلت لأستقل السيارة التي أجرتها محاولًا تذكر موقع المخبأ، ما زال هناك الكثير من الوقت حتى شروق الشمس وهذه ميزة جيدة، لا أعرف فيما أستخدمها لكني متفائلٌ، قدت سيارتي متجهًا إلى طريق الأتوستراد لأذهب لحلوان.

هناك يقبع المخبأ القديم، بعد أقل من ساعة كنت أسير في شوارع (حلوان)، أوقفتني لجنة مرور وسألني الضابط عن وجهتي فقلت إن زوجتي وابني في بيت أهلها بحلوان وتعاركت مع شقيقتها وكلمتني لأعيدها حالًا، أما تلك السيارة المؤجرة فبسبب أن سيارتي الأصلية في الصيانة منذ أيام، تمنى لي ضابط الكمين التوفيق وألقى مزحة ما عن نكد الزوجات ضحكنا بعدها كثيرًا.. تثيرني فكرة مراقبة تعبيرات الناس على تمثيلي غير المتقن.

شوارع (حلوان) في الليل مضيئة جدًا، لم تتغير حلوان وإن ظهرت بعض العمارات فجأة من اللامكان لكن تقسيم الشوارع ظلّ كما هو، المخبَأ كان عبارة عن منزل صغير قديم من طابقين بجانب مشتل زراعي صغير، ما أعرفه عن (حلوان) أنه لم يبقَ موضع قدم بها لزراعة شجرة، زرتها أكثر مرة الفترة السابقة لكني لم أمرّ على هذا المنزل، كأنني تناسيته قاصدًا.

لا أصدق عيني، المنزل أمامي، لم يتغير، كما هو يحيطه سور بارتفاع

متر ونصف يتوسطه باب حديدي قديم، حول المنزل مساحة خالية لكنها الآن مزروعة بالأشجار، مَن زرعها؟! هل باع المنزل لعائلة تعيش فيه؟

ركنت سيارتي على جانب الطريق بعد المنزل بنصف كيلو تقريبًا، خرجت لأقوم بعمل معاينة للمنزل والدوران من حوله، هو نفس المنزل بنفس تقشير الطلاء على جدرانه الخارجية، كل ما هنالك أن المساحة القليلة المحيطة به والتي يحدُّها السور تم زراعتها بشكل غير متقن، عدت أسير على الطريق الأسفلتي أمام المنزل وأنا أحسُّس بيدي على الكمامة الطبية على وجهي ونظارة النظر ورأسي الذي داريته بقلنسوة الرأس -ice cap لكن مزاجي الآن يميل للاستعراض اللغوي -، أنا مستعد لكل الاحتمالات إذًا، اقتربت من المنزل الذي أتذكر أن قاتلي المجنون قد اشتراه من أحد أقربائه في بداية حياته.

هل ما أراه في الظلام صحيحًا! هناك سيارة تركن داخل سور المنزل، أسير وأنا أقترب أكثر لأمر بجانب السور، نعم هي نفس الموديل الذي أعرفه، ورقم السيارة صحيح، هذه سيارة قاتلي، أتمنى لو كان هناك حمام في مكان قريب، ربما تقيأت أو تبولت أو فعلت الاثنين معًا لا يهم.. لا يفصلني عن قاتلي إلا بضعة أمتار، يجب أن أعود لسيارتي بأسرع طريقة.. يا نهاري الأسود، هناك كاميرا مراقبة معلقة على مدخل باب المنزل، هل أجري أم أكمل المشي هادئًا، لا سأدقق في كاميرا المراقبة، إمممم هي من النوع ذي الدائرة المغلقة والتي تصور الفيديو وتحتفظ به على سيرفر داخلي يتصل بها سلكيًّا، الكاميرا ثابتة لكنها لن تظهرني فأنا أسير في نقطة عمياء بالنسبة لها، درت بعيني بسرعة فلمحت كاميرا مراقبة أخرى على البوابة الحديدية التي يتقاطع عندها

السور، لن أستطيع الهروب منها فقد دخلت في نطاق تصويرها بالفعل، سأحافظ على خطواتي الثابتة حتى أمرّ منها، هناك مبنى صغير مليء بالفتحات ملاصق للمنزل له هيئة برج الحمام لكني أعرف أنه مهجور، رأيت خيالًا داخله، يجب أن أحكم عقلي كي لا يصور لي الأهوال التي لم تحدث، خطوات بسيطة وأخرج خارج نطاق كاميرا المراقبة.

نجحت وابتعدت لكني حافظت على خطواتي الهادئة، وصلت للسيارة فدخلتها وأنا أراقب المرايا الجانبية جيدًا، كمية انفعال يحتاج لسيجارة، لكن لا وقت لهذا، أدرت السيارة وابتعدت عن المنزل.

ضوء الشروق يظهر في الأفق، تنفُّسي يهدأ وينتظم، لن أغادر، قلتها لنفسي بصوت مرتفع أكثر من مرة، سأنتظره في مكان قريب حتى أراقبه عندما يغادر المنزل، كررت تلك العبارة كثير من المرات حتى ارتحت.

ركنت السيارة في نقطة بعيدة عن المنزل لكنني سألحظ معها سيارته لو غادرت، فكرت في فتح غطاء محرك السيارة كنوع من التمويه لكن أخشى أن ينتبه القاتل نفسه وهو يغادر المنزل.

نظري بالكاد يلاحظ المنزل كنقطة صغيرة، حل النهار ومرت الساعات، في الساعة الثامنة تقريبًا خرجت سيارته من المنزل وابتعدت، سأتابعه بسيارتي ولو شككت بأنه يشعر بي سأتوقف فورًا.

حافظت على المسافة بيننا كبيرة حتى لو اختفى من أمامي سيكون أفضل من كشفي، سلك هو طريق النصر فتابعته بسهولة لكثرة السيارات في ذلك الوقت، هذه المرة لم يقم بسيارته بأي شيء يدل على أنه يحاول الهروب، لكن سأضع احتمال أنه رأى سيارتي تتابعه، الفضول يقتلني لأعرف وجهته، هل سيعود لمنزله حيث تقيم عائلته؟؟ نعم، أيها

القارئ الفضولي فهو يعيش حياة زوجية مستقرة وله عائلة طبيعية، ليس مجنونًا يعيش في مصحة عقلية.

فهمت الآن لأين يتجه، توقف عند المحكمة الاقتصادية، طبعًا فهو محامٍ، أكملت أنا طريقي بشكل طبيعي، وأنا أنظر في المرايا الخلفية جيدًا وأقوم ببعض المناورات لأعرف إن كان هو الذي يراقبني الآن أم لا، لم تغب تلك الفرضية عن ذهني، أن يضللني ويتوقف عند المحكمة ثم يقوم هو بتتبعي، بعد ما يقرب من نصف ساعة تأكدت من أنني خارج نطاق المراقبة، سأتجه الآن لمنزلي لأبدل السيارة بسيارتي الأصلية وأستعيد بطاقة هويتي الحقيقية استعدادًا للمهمة الثانية.

***

- عندي موعد مع سيادة الرائد (مجدي فرج) بالإدارة الجنائية.

قلتها وأنا أمد بطاقة هويتي مبتسمًا لموظف الأمن على باب مديرية أمن (القاهرة) وتحت إبطي ملف أوراق صنعته منذ قليل، قبل أن يلتقطها وجدت أحد الشباب يشير لي من داخل البوابة ويقول لموظف الأمن إنني تبع (مجدي) بيه، احتفظ الموظف ببطاقتي ودخلت أنا أسلم على الشاب بحرارة وأنا لا أعرف حتى هويّته، أخذ الشاب يناديني بداوود بيه كثيرًا ثم عرفت أنه أحد أمناء الشرطة، ولا تسألني عن مكان عمله، فمهمته هي توصيلي لمجدي بيه، دخلت بقدمي هذا العالم الذي ينادون فيه بعضهم بـ (بيه) و (باشا)، يجب أن أكون مثلهم ليتقبلوني بينهم بدلًا من أن يرافق اسمي لفظة روح أمك.

أوصلني الشاب إلى جزءٍ من طابق وأشار إلى أحد المكاتب ثم غادرني، هذه هي الإدارة الجنائية إذًا، مكاتب عادية يجري فيها الجميع كخليّة

نحل فلا تعرف الضابط من الطبيب من فني المعمل من أمين الشرطة، معظمهم يرتدي القمصان والبناطيل، لكن أراهنك لو دققت معي في بعض الوجوه فيمكننا تمييز بعض الضباط.

هذا المكتب هو معمل الكمبيوتر، وهذه غرفة اجتماعات، وهذا المكتب... ظهر (مجدي) أمام وجهي من العدم فجأة ضاحكًا بلا سبب وقاطعًا حبل أفكاري عن المكان، صافحني بقوة ثم تأبط ذراعي وهو يسحبني لغرفة كبيرة بها ما لا يقل عن ستة مكاتب يدخل ويخرج منها عشرة أفراد في الدقيقة على أقل تقدير، أجلسني على أحدى المقاعد وجلس هو خلف مكتبه وهو يصيح ليسمعني وسط هذا المولد من رجال الأمن المحشورين في الغرفة:

- والله وحشتني مسافة الليل يا (داوود) بيه، نورت مكتبي.

- أعتذر لو طلبت مقابلتك اليوم هكذا في عملك فجأة.

- ماذا تقول؟

طبعًا لم يسمعني جيدًا، سندت نصفي الأعلى على المكتب وأعدت العبارة صارخًا فردّ:

- لا تقل هذا يا (داوود) بيه، أنا أيضًا كنت أريد الحديث معك في أحد الأمور.

- وهل سنظل نصرخ في بعضنا هكذا؟!

- انتظرني هنا دقائق سأنهي بعض الأعمال، ويمكننا أن نجلس في الكافيتريا قليلًا على رواقة.

لم يمهلني حتى لأقول رأيي وخرج من المكتب فجأة، تركني أشعر بالحرج والرجال كل بضع دقائق ينظرون لي بشكٍّ ثم يكملون أعمالهم، بعد قليل دخل شابٌّ يحمل زجاجة بيبسي وكوبًا وأخبرني أن (مجدي) بيه أرسلها.

الدقائق صارت ساعة ونصف. عاد لي (مجدي) بعدها محمر الوجه كأنه كان يصرخ، ملابسه مبعثرة كأنه أتى لتوّه من مباراة كرة قدم ساخنة، سألني هل تأخر عليَّ، لا تقل ذلك يا رجل، يبدو أن الشعور بالوقت صفة لا يتحلى بها.

تأبط ذراعي ثانية وسحبني كالبهيمة إلى تلك الكافيتريا داخل المديرية، جلسنا حول إحدى الطاولات وطلب لنا اثنين من القهوة سكر زيادة فأوقفته وطلبت قهوتي سادة وبلا وجه:

- خيرًا يا (داوود) بيه، أؤمرني.

- اترك لفظة بيه هذه ونادِني باسمي العادي فهذا اتفاقنا منذ الأمس.

- اتفقنا.

- احكِ لي أولًا عن مشكلتك، هل الموضوع يتعلق بمريم زوجتك؟

فتح فمه من الدهشة وابتسمت أنا داخلي، لا أصدق أنني توقعت أنه سيعتبرني كاتب روايات رومانسية، وبالتالي يمكن أن أحل المشاكل الزوجية.

- المشكلة هي (مريم) فعلًا، لا أكذب حين أقول إن مشاكلنا أكبر من قدرتي على التحمل، الواقع أني اكتشفت أن هواية القراءة هي كل

مـا نلتقـي فيـه نحـن الاثنـان، لكـن هـذه المسـألة لم أعلـم بوجودهـا إلا بعـد الـزواج، أحـاول تذكُّـر وقـت الخطوبـة، وكيـف كانـت مشـاكلنا بسـيطة ومنطقيـة، نتشـاكل عـلى لـون حوائـط الشـقة، نتشـاحن حـول تفاصيـل الفـرح، نتعـارك عـلى موعـده، لكـن بعـد الـزواج اختلـف كل شيء.

كنـت أنـا أجلـس راسـمًا عـلى وجهـي كل أمـارات الاهتـمام مسـتخدمًا كل التعبـيرات الممكنـة لأظهـر أننـي أتابعـه بـكل شـغف، مشـكلته يقـع فيهـا نصـف عـدد المتزوجـين في مـصر ولا حلـول لهـا عنـدي سـوى الـكلام النمطـي الـذي لا طائـل منـه، أكمـل هـو وعينـاه تسرحـان في أحـد المقاعـد الفارغـة:

- لم أرَ كل تلـك المصائـب التـي يمكـن أن تحـدث بعـد الـزواج، نحـن مختلفـان في كل شيء بالمعنـى الحـرفي للكلمـة، كل مـا تريـده هـي أكرهـه أنـا والعكـس، الخصـام هـو السـمة المتكـررة كل يـوم في حياتنـا، لدرجـة أننـا ننسى في كثـير مـن الأوقـات لم تخاصمنـا مـن الأسـاس، نحـن ذئبـان حبسـا في قفـص واحـد ولـو تـم تركنـا أكـثر مـن هـذا سـيقتل أحدنـا الآخـر.. لقـد تحدثنـا عـن الطـلاق أكـثر مـما تحدثنـا عـن أي شيء آخـر.

أنهيـت لـف إحـدى سـجائري وأعطيتهـا لمجـدي الـذي انبهـر بهـا لسـبب لا يعلمـه إلا اللـه وهـو يشـعلها ثـم ينفـث دخانهـا بـلا اسـتمتاع، سـعل عـدة مـرات فطلبـت منـه إلقاءهـا بعيـدًا، مشـكلة سـجائري أنهـا أنظـف مـن الـلازم لدرجـة أن مـن تعـودوا عـلى تدخـين نشـارة الخشـب لـن يستسـيغوا طعمهـا، أنـزل النـادل القهـوة وأنـا ألـف سـيجارة جديـدة لنفـسي وأحـاول الحفـاظ عـلى الصمـت لأطـول فـترة ممكنـة، لأننـي لا أجـد مـا أقولـه، أنهيـت لـف السـيجارة وأشـعلتها وأخرجـت الدخـان ثـم توكلـت عـلى اللـه وبـدأت «الهبـد»:

- المشكلة الحقيقية ليست في أنكما مختلفان، بل لب المشكلة أنكما نسخة من بعضكما البعض

نظرة غباء ارتسمت على وجهه أعطتني الضوء الأخضر لأكمل كلامي الغبي:

- التشابه بينكما في الطباع، العند، قوة الشخصية، الردود الحازمة، عدم الاعتراف بالخطأ من المرة الأولى.

- كلامك صحيح.

صرخ بتلك العبارة وهو يشير لي بإصبعه السبابة.. جيد أنا أسير إذًا على الطريق الصحيح، كل ما أفعله هو إقناعه بركوب الوزة _لن أقول الأوزة_ وهو مصطلح تعلمته من إحدى الفتيات اللاتي يعملن في خدمة العملاء، ويعني أن تقول للعميل الغاضب كلمات مرتبة تصلح لأي موقف أو مشكلة حتى يهدأ باله ويفرح وبهذا تكون قد أقنعته بركوب وزة وهو شيء أخرق ناهيك عن استحالته الفيزيائية.

- ألم تعمل يا (مجدي) في أحد الأيام مع ضابط قوي الشخصية مثلك؟

- طبعًا عملت أكثر من مرة.

- ألم تتفقوا ضمنيًا وبلا أي مناقشة في هذا الموضوع ألا يمس أحدكما الآخر ولا يقل منه؟؟

- لم أفهم قصدك.

- قصدي هو اعتبار زوجتك كضابط زميل، له شخصية قوية ومستقلة ويحب المديح من وقت لآخر، وفي نفس الوقت عليها أن تبادلك ذلك المديح وتحترم شخصيتك.

ظهر على وجهه بعض الغباء الممزوج بالابتسامة وهو يقول:

- فهمت قصدك، سأتفق معها على ألا يرفع أحدنا صوته على الآخر مهما كانت الظروف، ونعامل بعضنا كالزملاء في العمل.

لم أقصد ما فهمه بالطبع لكني ابتسمت وقلت بحماسة:

- الله ينور عليك.. هذا ما قصدته، علاقة زملاء عمل أجبرتهم الظروف أن يتواجدوا برفقة بعضهم، وتلك العلاقة ربما تتطور لتصبح صداقة بدلًا من الزمالة، والصداقة..

قاطعني بقوله:

- الصداقة تصير علاقة زواج، ثم ينتهي الأمر بالحب.

(مجدي) الآن يركب الموزة بنجاح بل ويشير لي فرحًا وهو يقودها، لعب دور الحكيم ممتع لأقصى درجة، يملأ النفس بالحبور.

- أشكرك بكل صدق يا (داوود)، (مريم) ستفرح بهذا الحل.

ارتشفت رشفة من قدح القهوة، طعمه مقرف، مما يصنعون قهوتهم!!

- ما رأيك في القهوة؟ هذه قهوتي الخاصة.

سألني متحمسًا فكشفت عن أسناني أمثّل الابتسام:

- ممتازة.

- سأحضر لك نصف كيلو كهدية، أخبرني إذًا عن موضوع روايتك.

حمدًا لله، أخيرًا وصلت إلى الجزء الهام الذي أريده، في أقل من ثانية رتبت الكلمات في عقلي، يجب أن أثير فضوله ليساعدني.

- قصتي تتكلم عن قاتل متسلسل مصري.

أقسم إن تعبيرات وجهه تحولت من الراحة إلى التوتر لكنه استطاع مداراتها، صدَّر لي وجه متجمد على تعبيرات الراحة لكن أشعر أن عقله نشط فجأة، قال ببساطة:

- قرأت بعض الروايات المصرية تكلمت عن القتلة المتسلسلين، أنت تعرف بالطبع أن مصر والدول المجاورة ليس بها هذا المفهوم من القتل.

- أعرف تمام المعرفة، لكن فكر معي في مرض سرطان العظام، يموت بسببه البشر منذ القدم، حتى تم رصده أخيراً في الستينيات من القرن السابق وأعطوه اسمًا وأمكن تشخيصه مع الوقت، القتلة المتسلسلون موجودون منذ الأزل في كل البلاد، لم يتم رصدهم في البلاد العربية بشكل كافٍ بعد لنتعرف على أعمالهم منذ أول مرة، وأنت تعرف أننا نستخدم لفظة سفاح في مصر لنصف قاتل يقضي على أكثر من شخص.

- لكن السفاحين في مصر لهم أهداف واضحة: السرقة، الانتقام، فرض السطوة. سفاح الصعيد (محمد منصور) والذي نطلق عليه (الخُط) قتلَ في أسبوع واحد 9 أفراد من عائلة شيخ الغفر الذي كان على عداء معه، لا يمكن اعتباره قاتلًا متسلسلًا، بل سفاح، اللفظان مختلفان وليسا مرادفًا لمعنى واحد.

بدأت أعجب بمجدي هذا، عقله ليس خاويًا كما حسبته.

- أختلف معك في تلك الرؤية، (محمد منصور) قتل في البداية لأجل أخذ الثأر، وبعد ذلك بغرض السرقة، لفظة سفاح عامة جدًّا بمصر ونظريتي أن مصر وردَ عليها قتلة متسلسلون وأطلقنا عليهم لفظة سفاح،

هناك سلسلة جرائم حدثت بمصر عام 1985م وأُطلق على منفّذها اسم سفاح القاهرة، الجرائم كلها نُفذت بطريقة خنق الضحية، تركت كل الجثث في مناطق زراعية لتأكلها الكلاب الضالة، الجرائم حدثت ليلًا، الجثث بالكامل كانت بين منطقة (المطرية) و(دار السلام)، القاتل بعد قتل الضحايا سحب سراويلهم لتظهر عوراتهم، ألا ترى هذا القاتل مختلفًا عن البقية.

- هل كان يسرق متعلقاتهم؟

- نعم في أحيانٍ كثيرة سرق متعلقاتهم الشخصية لكن في بعض الجرائم لم يفعل.

- لا أريد أن أكون محبطًا لك يا (داوود)، لكن الواقع مختلف عن شخصيات القصص، هذا القاتل الذي تحكي عنه يجب إيجاد دافع قوي لارتكاب جرائمه، لو وقعت تلك القضية التي تحكي عنها في يدي لقمت بمعاملتها بنفس الطريقة التي أعامل بقية القضايا بها، أتفهم أفكارك لكني غير مقتنع بها، خيال الكاتب مفتوح فتخيل ما تريد، لكن لو أردت...

يبدو أن خيبة الأمل ظهرت على وجهي لأنه توقف عن حديثه وارتبك، ثم قال بعد لحظات كأنه يحاول إثارة حماسي ثانية:

- أتعلم، احكِ لي عن قصتك وأنا سأزودك بكل ما تريد معرفته عن طريقة عمل الشرطة، وأنت قم بتحويل كلماتي إلى خيال إبداعي كما تعودت من قصصك.

خيبة الأمل التي ظهرت على وجهي لم يكن سببها أنه لم يقتنع بنظريتي، بل لفشلي في إثارة فضوله، الحقيقة أن تفكيره المنطقي أعجبني نوعًا ما، قلت له وأنا أمثّل الحماسة:

- روايتـي تقـوم عـلى قاتـل موجـود في الواقـع حاليًـا بيننـا، أتسـمع عـن اللـواء (صـلاح العبـاسي)؟

- طبعًـا، درسـت كتبـه في كليـة الشرطـة وفي دورات جنائيـة متطـورة، رحمـه اللـه.

شـخصية هـذا اللـواء حقيقيـة وقـد قابلتـه فعـلًا بضـع مـرات وناقشـته في بعـض كتبـه التـي تخصصـت في العلـوم الشرطيـة والجنائيـة، لكنـه مـات في عـام 2013م، لكنـي سأسـتخدم اسـمه ليعطينـي بعـض المصداقيـة، قلـت وأنـا أفتـح ملـف الأوراق الـذي طبعـت أوراقـه عـلى طابعـة الكمبيوتـر وقـد جمعـت فيـه مـن الجرائـد أخبـار حـوادث القتـل التـي نفّذهـا قاتـلي:

- هـذه القضايـا التـي حدثـت بـين عـام 2002م وعـام 2010م أخـبرني اللـواء (صـلاح) أنـه يشـك في أن مرتكبهـا شـخص واحـد.

تنـاوَل الملـف وفحـص أوراقـه بدقـة قارئًـا أخبـار الجرائـد كلهـا، استغرق وقتًـا لدرجـة أننـي أنهيـت تدخـين السـيجارة ولففـت أخـرى وأشـعلتها، وهـو أيضًـا أشـعل سـيجارة مـن علبتـه وأنهـى تدخينهـا، مـرَّر يـده بـين خصـلات شـعره حـين أنهـى الملـف ثـم فـرك عينيـه بيديـه كأنـه يسـتيقظ مـن سـبات طويـل ونظـر لي قائـلًا بفتـور:

- كل هـذه الجرائـم مسـتحيل أن يقـوم بهـا قاتـل واحـد، وأنـا أتحـدث بنـاء عـلى أخبـار الجرائـد فقـط فأنـا لم أقـرأ ملفـات القضايـا نفسـها.

- اللـواء (صـلاح العبـاسي) قـرأ ملفـات تلـك القضايـا وكـون رأيًـا تحـرج مـن عرضـه أمـام أي رجـل أمـن، هنـاك قاتـل يتلاعـب في مسـارح الجرائـم ويصنـع مسرحـه الخـاص، يوحـي للمتخصصـين الجنائيـين بـأن الجريمـة تمـت كانتحـار، أو ميتـة طبيعيـة.

- أتقول إن سيادة اللواء كان يشك في أن مرتكب الجريمة ضابط أمن؟

- دائـرة الشـك يجـب أن تتسـع، مـن قـال إن الضابـط وحـده يعـرف بروتوكـول عمـل الأجهـزة الأمنيـة، طبيـب التشريـح وفنيـو المعامـل ورجـال النيابـة والقضـاء والمحاميـون كلهـم يعرفـون، وحتـى الأشـخاص خـارج تلـك الفئـات.

الغريـب أنـه حافـظ عـلى هدوئـه وفتـوره بطريقـة أغضبتنـي داخليًـا، كيـف لا أسـتطيع إثـارة فضـول ضابـط جنـائي عـن طريـق طـرح تلـك النظرية، قـال وهـو يـشرب بقيـة قـدح القهـوة عـلى مـرة واحـدة:

- يمكنـك كتابـة روايـة خياليـة عـن هـذا الشـخص، لكـن طبعًـا ممنـوع ذكـر اللـواء (صـلاح) ولا أماكـن الجرائـم أو أسـماء مـن قتلـوا.

هكذا ينهي الحوار بكل بساطة!!!، سألته بيأس:

- هل يمكنك الوصول لملفات تلك القضايا لإيجاد بعض العلامات؟

- علامات مثل ماذا؟

- تضـارب في تقاريـر التشريـح أو المعامـل الجنائيـة، شـهود رأوا أشـياء ولم ينتبـه لهـا ضبـاط المباحـث، أشياء مـن هـذا القبيـل.

- الوصـول لـكل هـذه القضايـا ليـس في سُـلطتي هـذا عمـل كبـير يجـب أن تشـترك فيـه بضـع مديريـات أمـن وبـإشراف مـن الأمـن العـام وبتصريـح مـن وزيـر الداخليـة، بالإضافـة إلى أن ضبـاط المباحـث أنفسـهم الذيـن حققـوا في تلـك الجرائـم لـن تجـد معهـم عـلى الأغلـب أي مذكـرات عـن مشـاهدتهم الغريبـة كـما تتصـور، كـما أن أرشـيف وحـدة المباحـث في كل قسـم شرطـة لا يحتـوي عـلى تفاصيـل القضايـا كاملـة ومسـتحيل البحـث داخلـه كـما قلـت

إلا بمعجزة، لسنا في مسلسل جريمة أمريكي، ضابط المباحث يقع على عاتقه سنويًا عشرات الجرائم ما بين سرقة وقتل وبلطجة، الحقيقة أنه لا طريقة لإثبات وجهة نظرك حاليًا.

لا أحب أن أظهر أمام نفسي بمظهر الغبي، لكنها الحقيقة الآن بلا شك، فشلتُ في إثارته وهذا شعور لا يمكن وصفه، أعتقد بعد كل شيء أنني كاتبُ جريمة تافه لا يجد ما يثير به القراء.

- على كل حال سأكمل كتابة روايتي عن هذا القاتل وأوافيك بأي استفسار أطلبه.

نهضت شاكرًا إياه، لكنه أصر على أن نكمل جلستنا ونتحدث في مواضيع أخرى فكذبت عليه بأن عندي ارتباط عائلي هام، سأزور أمي بعد قليل، لكنه فهم أن اليأس تملكني _ وهذا صحيح _ وأنني أهرب منه الآن.

أوصلني لخارج مديرية الأمن بكمية زائدة من الود وصافحني بحرارة ثم تركني أسير في الشوارع بالملف متجهًا إلى الجراج الذي ركنت فيه سيارتي، أشعرتم يومًا بالإحباط؟؟ بالطبع الجميع شعر بالإحباط، لكن هذه روايتي، ومن حقي أن أشعر بالإحباط أكثر منكم جميعًا، أنا أكثر محبط في مجرة درب التبانة.

وصلت للسيارة وركبتها، أين أذهب؟؟ ظللت أكرر السؤال في رأسي حتى بدأت قيادة السيارة في الشوارع على غير هدى، جل تفكيري كان ينحصر في فشلي اليوم، طبيبتي النفسية حذّرتني من ترك نفسي للمشاعر السلبية، وأنا وافقتها وهززت رأسي كالكلب بثقة، لكن الأمر ليس بيدي.

عـادة مـا كنـت أحـول تلـك المشـاعر السـلبية لغضـب أفرغـه في الكتابـة أو بعـض الشـجار مـع (بسـمة)، لكنـي لا أملـك تـرف تضييـع الوقـت في إفـراغ الغضـب، سرحـت عينـي في المـارة مـن حـولي، بعـد نصـف سـاعة مـن عـدم التفكـير وجـدت نفـسي في منطقـة (العباسـية)، بالقـرب مـن الشـقة التـي تعيـش بهـا أمـي.

ضحكـت كالمجانـين، ربمـا أنـا مجنـون فعـلًا، هـل قـادني عقـلي الباطـن لهنـا، لمـاذا أخـبرت (مجـدي) أننـي سـأزور أمـي ثـم أجـد نفـسي بالقـرب مـن منزلهـا؟ وجهـت سـيارتي داخـل الشـوارع حتـى وصلـت إلى عمارتنـا.

ركنـت السـيارة بشـكل عشـوائي، ووقفـت أمـام العـمارة أنظـر لنافـذة الطابـق السـادس حيـث نعيـش، مـرَّ وقـت طويـل وأنـا بهـذه الوضعيـة لدرجـة أن المارين بـدأوا ينظـرون لي ببعـض الدهشـة.

دخلـت العـمارة فظهـر لي البـواب مـن العـدم كعـادة البوابـين ذوي القـوة الخارقـة، سـألني عـن وجهتـي فقلـت «شـقة الحاجَّـة (عفـاف)»، هـز رأسـه بتفهُّـم، هـذا البـواب جديـد، حتـى ولـو لم يكـن جديـدًا فأنـا لم آتِ لهنـا منـذ سـنوات فلـن يتذكـرني أحـد عـلى الأغلـب.

صعـدت الطوابـق حتـى وصلـت للطابـق السـادس، ووقفـت أمـام شـقتي القديمـة مسـمَّرًا في مـكاني، أنفـاسي تتسـارع لا أعـرف مـن جـراء صعـود الـدرج أم مـن توتـري الزائـد، جلسـت عـلى إحـدى درجـات السـلم ولففـت سـيجارة أمسـكتها بـين أصابعـي بـدون إشـعالها وكأننـي أمثِّـل التدخـين، مشـاعر القلـق والحـيرة تتملكنـي وتثـير حفيظـة معـدتي، زاد ألم الصـداع في رأسي لكنـي أعتقـد أنهـا حالـة نفسـية.

نهضـت بعـد برهـة وضغطـت عـلى جـرس بـاب الشـقة، سـمعت أصـوات

أطفال من الداخل تتحدث ثم فتح الباب طفل جميل في السابعة يسألني بوقاحة عمن أريد، أتى صوت (هالة) شقيقتي الصغرى تنهر ذلك الطفل ثم ظهرت على باب الشقة وهي تضع على رأسها طرحة على عجالة.

تجمدت (هالة) في مكانها وهي تتأمل صلعتي ووجهي وجسدي النحيل، كأنها تحاول استيعاب تأثير المرض على جسدي الواهن، ظهر التأثر على عينيها لثانية واحدة فقط، ثم أشارت لي أن أدخل بفتور:

- أهلًا يا (داوود).

قالتها بصوت متحشرج كأنها رأت ملك الموت يطلب قبض روحِها.

- أمي مستيقظة؟

لم تردّ ولكنها أمرت الطفل أن يدخل مع بقية أخواته إلى إحدى غرف النوم، ثم نادت على أمي تخبرها أني حضرت، أشارت لي بعدها بلا كلمة ناحية مقاعد الاستقبال في صالة الشقة، ذهبت أنا كمن ارتكب خطأ ومدرّسه يعاقبه فيطلب منه الذهاب مذنبًا إلى جانب السبورة ليقف وحيدًا.. كنت أعرف أن شقيقاتي (مروة) و(هالة) و(هناء) يزرن أمي بالتبادل كل واحدة منهن يومين في الأسبوع ليخدمنها ويبددن وحدتها.

بعد دقائق خرجت أمي من غرفة النوم وأتت لتجلس على أحد المقاعد وهي ترحب بي مبتسمة وقالت:

- ألف سلامة عليك يا حبيبي، (مروة) أخبرتني أن صحتك في تقدُّم، لكن وجهك لا يبشر بخير

- الحمد لله كل شيء تمام.

- ألا تحتاج أي مصاريف في علاجك؟

- النقود متوفرة الحمد لله.

دخلت (هالة) علينا تحمل بيدها كوبًا يمتلئ حتى آخره بالبيبسي وضعته بيدي ثم جلست على مقعد بيني وبين أمي وأحد حاجبيها مرفوع لأعلى كنوع من الاشمئزاز والطرحة ما زالت على شعرها.

أقسم بالله إنهم لو استقبلوا قاتلًا متسلسلًا لعاملوه بودٍّ أكثر من ذلك، وخاصة شقيقتي التي تعاملني كأنني عشيقة زوجها، ترسل لي رسالة بتعبير وجهها الغاضب - الذي يشبه الشخصيات الكرتونية - أن وجودي غير مرغوب فيه.

- كيف هي أحوالك يا أمي؟

ابتسمت أمي بحنان وقالت:

- كل الأحوال على ما يرام، ما الذي تفعله في أحوالك هذه الأيام؟

لم تعطِني (هالة) فرصة لأجيب لأنها أمسكت بريموت التلفزيون _ لا تطالبني بأن أكتبه تلفازًا فأنا عصبي الآن _ وشغلته وهي ترفع صوته لدرجة عالية، اختارت قناة تعرض مسلسلًا لفيفي عبده التي نظرت لأحد الممثلين وقالت شيئًا ما على غرار «البيت ده بيتي يا ابن العبيطة» ثم بكت بلا دموع.

مثلت (هالة) الانشغال في المسلسل، وأمي هي الأخرى خضعت لها ونظرت لشاشة التلفزيون تمثل أنها تتابعه. حسنًا يا أمي، ما زلتِ كما أنتِ يسهل السيطرة عليكِ من قِبَل شقيقاتي الأصغر مني، أعرف أنكِ تحملين لي حبًا حقيقيًا لكنكِ لا تملكين قوة الشخصية الكافية لإظهاره،

لو كان أبي حيًّا لصفع (هالة) عشر صفعات على سبيل التربية ثم صرخ فيكما لتحسنا معاملتي.

سخن جسدي فجأة، أهي إحدى النوبات التي تأتي فجأة!!، وضعت كوب البيبسي على منضدة جانبية والعرق يتكون تحت ملابسي، نعم إنها نوبة فقدان وعي، مخي لم يتحمل هذا الضغط من المشاعر، أو ربما هو السرطان يذكّرني بوجوده من وقت لآخر، عدت بظهري للوراء أرتاح على المقعد الذي غصت فيه أكثر، وعيني على وجه الفنانة (فيفي عبده) الذي يملأ شاشة التلفزيون، أتنفس بصعوبة، الرؤية أصبحت ضبابية، (فيفي عبده) تقول شيئًا على غرار (يا روح أمك)، أمي وشقيقتي لا تنتبهان لي، الألم في رأسي أصبح لا يحتمل، أخبر نفسي بألا أفقد الوعي، لا أشعر بأطراف جسدي.. عليّ ألا أفقد وعيي، كررتها كثيراً.. (فيفي عبده) تنظر للكاميرا فأشعر أنها تنظر لي، وجهها يتضخم ليصير عالمي كله وسط الضباب الذي أراه، العرق يسيل بغزارة، أنفاسي صارت بطيئة (فيفي عبده) تبكي بلا دموع.

الرؤية تتضح ثانية بعد دقائق، أمكنني تحريك أطرافي، عائلتي لم تنتبه لكل ما حدث، أشعر بالراحة لكن معدتي تؤلمني قليلًا، نهضت بصعوبة وقلت إنني ذاهب إلى الحمام، علقت (هالة) بأن أنتظر حتى تدخل هي الحمام مسبقًا، جلست ثانية ودخلت هي للحمّام تنظفه أو تضع فيه سم فئران لا يهم، هيًا يا شقيقتي الغبية لا وقت لمعاملتي كالأغراب الآن، سمحت لي أخيراً بدخول الحمّام حين خرجت منه فدخلت أنا، وقبل أن أستطيع اغلاق الباب تقيأت على الأرضية ورأسي يئن ألمًا.

غسلت وجهي وفمي بسرعة وعدت للصالة لأمي الملتاعة وشقيقتي

المصدومة وقلت شيئًا عن مغادرتي، ثم غادرت الشقة ونزلت السلم جريًا، زيارة جميلة لعائلتي التي تكرهني تقيأت فيها وغادرت، أعتقد أنها كانت عدالة من السماء لأن شقيقتي هي التي ستنظف كل شيء، أتمنى لكِ لحظات سعيدة يا (هالة).

***

عدت بعد الزيارة العائلية الناجحة لمنزلي كي أرتاح، نمت قليلًا واستيقظت على رنة هاتفي المحمول، كان (مجدي) هو المتصل يخبرني فيها أنه يريد مقابلتي في أسرع وقت الليلة لأن هناك خبرًا سيفرحني.

الحقيقة أني لا أقوى على النهوض من فراشي فما بالكم بالخروج، حاولت التملص لكنه أصرَّ، أخبرته بعنوان منزلي وقلت إني سأنتظره فرَدَّ أنه في الطريق إليَّ.

الحقيقة أن زيارتي العبثية لعائلتي بالإضافة إلى اليأس الذي تملَّكني قبلها صنعَ خليطًا من الاكتئاب يكفي لأَنْ أنام معه لعشرة أيام، حالتي النفسية هذه الأيام مهتزة، أنا أكذب.. فحالتي النفسية طوال حياتي مهتزة ما بين النقائض فإن حزنت أردتُ تمزيق جلد وجهي كدرًا، وإن غضبت أردت قتل الجميع، أعتقد أن طلبة الطب النفسي كانوا سيسعدون بدراسة حياتي كأحد الأمثلة على المعتلين نفسيًّا واجتماعيًّا.

تحممت وأعددت عصيرًا مسبق التجهيز وجلست أنتظر (مجدي). لا أحب الانتظار بطبعي، وأشعر أن مواعيدي هي هموم أحملها حتى أتمها، وطبعًا أتى (مجدي) بعد حوالي ساعتين، أنا أكره من يتأخرون على مواعيدهم لكنني أغفر ذلك لمجدي لأني بدأت أستلطفه فعلًا.

فتحت له الباب فدخل مبتسمًا وهو يتنحنح فقلت له:

- أنا وحدي في الشقة.. زوجتي عند أمها من الأمس.

كان يتعامل بنوع من البساطة كأنه صديقي منذ الطفولة، جلس على أحد المقاعد وهو يضع ملفًّا يحمله جانبًا ويقول:

- آسف لو كنت ألححت في مقابلتك هكذا فستسعد بعد أن تعرف السبب.

دخلت للمطبخ وأحضرت العصير فتناول رشفات كبيرة من عصيره كأنه لم يشرب منذ الأزل، جلست بالقرب منه فأعطاني الملف الذي كان قد وضعَه جانبًا وقال بانفعال الفرحة:

- الحوادث التي أطلعتني عليها اليوم لفتَ نظري إحداها والتي وقعت عام 2006م وتتبع قسم شرطة (الوايلي) التي قتلت فيها امرأة في ثلاثينيات العمر، لي أصدقاء كثيرون هناك فطلبت منهم تليفونيًّا تتبع خط سير ملف هذه القضية القديمة، وحصلت بشكل غير رسمي على نسخة منه، لن أستطيع توفير ملفات أخرى لك بشكل رسمي أو غير رسمي فالإدارة الجنائية تتبعني أنا وبقية الضباط وما فعلته الآن لو وصل للإدارة سيصبح نقطة سوداء في ملفي.

تناولت الملف منه وكانت أوراقه عبارة عن نسخة مصوَّرة رديئة من أوراق رديئة في حد ذاتها، أولها كان محضر قسم الشرطة بتلقِّي بلاغ ثم الانتقال للمعاينة والعثور على جثة امرأة في شقتها وإعلان الشقة مسرح جريمة، ثم حضور فريق من المعمل الجنائي للتحقيق بقيادة معاون مباحث القسم، ثم يشرح الضابط في المحضر أنه بالمعاينة وجدَ عدة

طعنات، ثم أمرَ بإحالة الجثة للطبيب الشرعي لتحديد سبب وموعد الوفاة، ثم يشرح الضابط في المحضر بعض ما عثر عليه في شقة المجني عليها، نظرت لمجدي الذي ما زال يشرب العصير باستمتاع وقلت:

- هل قرأت هذا الملف؟

- نعم.

- لماذا لم يحدد الضابط عدد الطعنات في الجثة وقت العثور على الجثة؟

- أمر طبيعي يفعله الكثير من ضباط مباحث أقسام الشرطة، كي لا يحدد عددًا من الطعنات وشكلها، ويأتي تقرير المعمل مخالفًا للمحضر الرئيسي ويمكن لمحامي المتهم التشكيك في الضابط فيما بعد.

- أعتقد أنه كان عليه تحديد عدد الطعنات وطول كل جرح في الجسد ولو حتى بمساعدة فريق المعمل الجنائي.

- ملاحظة جيدة يا (داوود) لكنها لن تزيد ولن تنقص الكثير، أنا لو في موضع هذا الضابط الآن لفعلت ما تقوله لكنه ربما لم يمتلك الخبرة الكافية لذلك.

دسست رأسي في الورق وأنا أكمل مطالعة الأوراق والتي كانت عبارة عن محاضر تحريات عن قائمة من الشهود واستجوابهم من قِبَل ضابط المباحث، قلت ملاحظة سريعة جانبية بصوت مسموع:

- التحريات في تلك الحادثة لم تكن مكتملة واشتملت فقط على الخطرين وأصحاب السوابق في اقتحام الشقق، ولم تفضِ إلى شيء.

- بالعكس أنا أرى التحقيقات سارت في المكان الصحيح.

طالعـت تحقيقـات النيابـة ثـم تقريـر الطبيـب الشرعـي الـذي وصـف حالـة الجثـة وقـت عمـل التشريـح، يقـول التقريـر «يحتـوي ظَهْـر اليـد اليـسرى عـلى جـرح نافـذ وراحـة اليـد اليمنـى تحتـوي عـلى عـدة جـروح محـززة تتفـق مـع الجـروح الدفاعيـة، جـروح قطعيـة سـطحية مـن اصطـدام بجسـم حـاد عـلى الـرأس، كدمـة عـلى الكـوع الأيمـن وجانـب البطـن مـما يفيـد وقـوع المجنـي عليهـا عـلى جانبهـا الأيمـن، تجمُّـع دمـوي في الظهـر حـدث بعـد الوفـاة نتيجـة لتغيير وضـع الجثـة»، توقفـت عنـد عبـارة تغيير وضـع الجثـة وأريتهـا لمجـدي قائـلًا:

- الجثـة تغـيرت وضعيتهـا بعـد موتهـا ليتغـير التجمـع الدمـوي الـذي يحـدد وضعيتهـا.

- أرى أنـك تعـرف الكثـير عـن التشريـح يـا (داوود)، عـلى العمـوم هـذا طبيعـي فربمـا أراد القاتـل تفتيـش ملابـس الجثـة أو تحريكهـا ثـم عـدل عـن رأيـه.

لا أحـب الثقـة التـي يتكلـم بهـا كأنـه الخبير، هـو واللـه أعلم خبـيرٌ في عمله كـما يبـدو لكنـه يعامـل القضيـة بـلا خيـال.. أكملـت القـراءة حتـى وصلـت لتقريـر مرفـق مـن الإدارة المركزيـة للمعامـل الكيميائيـة يتحـدث عـن الأجـزاء المرسـلة لهـم مـن الجثـة ليتـم فحصهـا وهـي المعـدة والأمعـاء والكبـد والـكلى والمثانـة، وجـاءت نتيجـة الفحـص إيجابيـة عـن مضـادات الاكتئـاب والمنومـات.

بقيــة أوراق الملــف لم تصــل بالتحقيــق إلى شيءٍ، رفعــت رأسي وقلــت بــبرود:

- هــذه المـرأة قتلـت لأنهـا تعـاني مرضًـا نفسـيًا. القاتـل أراد أن يريحهـا مـن عذابهـا العقـلي.

الاستنكار تجلى في أقوى صورة له على وجه (مجدي) الذي قال:

- وما سبب القفز لهذا الاستنتاج؟

- هـذا كان رأي اللـواء (صـلاح العبـاسي) رحمـه اللـه، القاتـل معظـم ضحايـاه مـن كبـار السـن الذيـن يعانـون الوحـدة والمـرضى النفسـيين، يسـتخدم معهـم مفهـوم القتـل الرحيـم.

- أكـره لعـب دور غـراب البـين دائمًـا معـك، لكنـي لا أرى سـوى الخيـال فيـما تقـول، لم تبـين لي الدافـع حتـى الآن لهـذا القاتـل.

- سأبحث الأيام القادمة، وأوافيك بكل ما أستطيع.

حرك يده على شعر رأسه بطريقة عصبية وهو يقول:

- هل تعلم تفاصيل لم تخبرني بها بعد؟

- لا.. لـو علمـت لأخبرتـك، اتـرك هـذه المسـألة الآن وقـل لي هـل تكلمـت مـع (مريـم) فيـما تحدثنـا فيـه اليـوم؟

تهللـت أسـاريره لأننـا سـنبتعد عـن الأمـور الأمنيـة قليـلًا، فهمـت طبيعـة (مجـدي)، فهـو بشـكل مـا يكـره الحديـث عـن مهنتـه، هـل يكـره المهنـة نفسـها أم يشـعر بالملـل حـين يتحـدث عـن عملـه مـع أصدقائـه وعائلتـه؟

قضيـت معـه نصـف سـاعة تحدثنـا فيهـا في كل شيء تقريبًـا، ولم يتطـرق ثانيـة لموضـوع القاتـل، (مجـدي) لـن يثـيره شيء إلا دليـل قـوي، والدليـل هـو قضيـة حدثـت في وقـت قريـب، سـأتكفل بهـذا الأمـر.. شـكرني لاسـتقباله واسـتأذن ليعـود لزوجتـه كي يفاتحهـا فيـما اتفقنـا فيـه. بعـد أن خـرج مـن بيتـي بنصـف سـاعة نزلـت إلى الشـارع وذهبـت لإحـدى منافـذ بيـع شركات خطـوط الهاتـف المحمـول، اشـتريت خـط هاتـف ببطاقـة هويتـي المـزورة

وعدت للمنزل لأبحث على جوجل عن رقم مكتب المحاماة الذي يمتلكه قاتلي العزيز، بعد أن وضعت خط الهاتف في الهاتف المحمول الجديد اتصلت به، أعرف أن عنده جيشًا من المحامين والسيكرتارية والوكلاء وأحدهم هو الذي سيجيب على الخط الأرضي.

فعلًا ردت فتاة ذات صوت مبحوح، سألتها عن الأوقات التي يعمل بها المكتب فأخبرتني أنه يوميًا يفتح من الساعة العاشرة صباحًا إلى العاشرة مساءً، أخبرتها أنني أريد مقابلة صاحب المكتب بنفسه لأن قضيتي كبيرة وتتعلق بالبورصة المصرية وفيها نزاع على ملايين الجنيهات، أمليتها اسمًا مستعارًا وحددت هي لي موعدًا معه غدًا الساعة الرابعة مساءً حيث أنه سيتواجد قبل الرابعة بساعتين ويرحل بعدها بساعة على أقصى تقدير، شكرتها وأغلقت الخط.

الآن عرفت خطوتي الجديدة والتي سأقوم بها في الغد في الساعة الرابعة، تبدل إحساس اليأس داخلي بالجراءة، مع قليل من الفرحة، قمت بتصوير ما كتبته في هذه الرواية على الهاتف المحمول ثم شغلت أغنية لأديب الدايخ أستمع لها وأدندن معها بتأثر.

«لا تخف ما صنعت بك الأشواق

واشرح هواك فكلنا عشاق

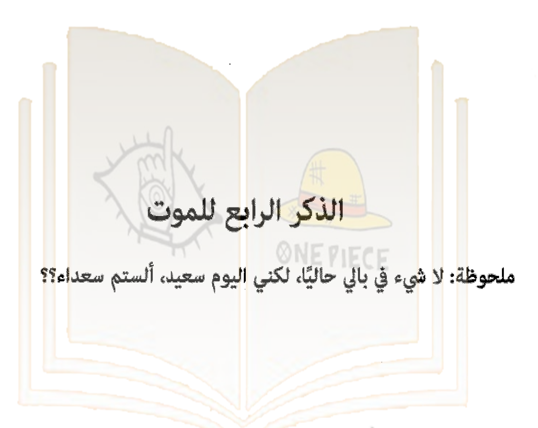
فعسى يعينك من شكوت له الهوى

في حمله فالعاشقون رفاق

واصبر على هجر الحبيب فربما

تم الوصال وللهوى أخلاق»

***



الذكر الرابع للموت

ملحوظة: لا شيء في بالي حاليًا، لكني اليوم سعيد، ألستم سعداء؟؟

صحيت على رنين هاتفي المحمول، كانت (بسمة) تطمئن عليّ، اعتذرت لها عما فعلته معها الأيام السابقة، طلبت مني التوقف عن كتابة الرواية فأخبرتها بأنها ستسمع الأيام القادمة أخبارًا جيدة لكن عليها أن تظل عند أمها حتى آتي بنفسي لآخذها.

لا تتخيلون كيف كان شعوري اليوم، شغلت أغنية لعبد الحليم حافظ - الذي لا أحب شخصيته لكنني أعشق أغانيه - ودخلت للحمَّام أحلق ذقني - المحلوقة أساسًا - وأنا أغني مع كلمات الأغنية بصوت عالٍ:

«جانا الهوى جانا ورمانا الهوى رمانا

ورمش الأسمراني شبكنا بالهوى

آح ما رمانا الهوى ونعسنا.. واللي شبكنا يخلصنا

دا حبيبي.. شغل بالي.. آه يابا يابا.. شغل بالي»

تناولت أدويتي بعد الحمَّام وأنا أتراقص على الأغنية التي لا تصلح للرقص، فجأة عزيزي القارئ خطر على بالي شيء ما، لم أصلِّ منذ زمن، أوقفت الأغنية وعدت للحمَّام أتوضأ ثم وقفت في صالة الشقة أفكر في اتجاه القِبلة، تطبيق على الهاتف المحمول أنزلته في دقيقة أشار لي للاتجاه، هنا أتت مشكلة جديدة، لا أتذكر الصلاة جيدًا، إياك يا قارئي

والنظـر لي باسـتعلاء، فكلنـا نحمـل الخـير والـشر، ولا ضـير مـن أن ينتـصر جانـب الخـير مـن وقـتٍ لآخـر مهـما تأخـر الأمـر.

كيـف كنـت أصـلي ركعتـي الصبـح؟؟ أحـاول التذكُّـر وأنـا أحـضر سـجادة الصـلاة التـي كانـت تسـتخدمها (بسـمة) مـن الـدولاب وأفرشـها عـلى الأرض، سـأترك نفـسي أصـلي وربمـا هدتنـي ذاكـرتي للصحيـح.

أنهيــت الصــلاة فحــضرت طعــام الإفطــار وشــغلت مسرحيــة عــلى (يوتيـوب) أشـاهدها عـلى التلفزيـون، تمـر السـاعات وأشـغل فيلـمًا مصريًـا قديمًـا ثـم أتبعـه بفيلـم آخـر حتـى جـاء الوقـت المطلـوب، نهضـت وصليـت صـلاة الظهـر ثـم ارتديـت ملابـس الخـروج، أشـعر أني اسـتعدت لياقتـي.. هيَّـا بنـا إلى المخبـأ.

***

السـاعة الآن الثالثـة عـصرًا، أقـف بالقـرب مـن المنـزل الـذي يتخـذه قاتـلي مخبـأه، لا أعـرف هـل أحتـاج إلى تفسـير لـك يـا صديقـي القـارئ أم أنـك فهمـت قصـدي!! أنـا اتصلـت بالأمـس لأعـرف مواعيـد وجـوده في مكتبـه كي أزور المخبـأ بأمـان.

درتُ حـول المنـزل دورة كاملـة كي ألاحـظ أي شيء غريـب، جميـل أن قليل جـدًّا مـن البـشر مـن يمـرون بجانـب هـذا المنـزل، اقتربـتُ مـن سـور المنـزل ثـم توكلـت عـلى اللـه وقفـزت مـن عليـه، عظامـي تـئن مـن تأثـير المجهـود البـدني الفجـائي لكنـي نجحـت، أنـا الآن في السـاحة الداخليـة للمنـزل، أخرجـت القفـاز القـماشي مـن جيبـي وارتديتـه، وقفـت أمـام بـاب المنـزل أنظـر لرتـاج البـاب، رتـاج عـادي.. جيـد، أخرجـت مـن جيبـي تلـك الأداة التـي صنعتهـا مـن ماكينـة الحلاقـة الكهربائيـة وثبّـت عليهـا قطعـة مليئـة بالسـنون المعدنيـة

وبمجرد تشغيلها تهتز تلك السنون للأعلى والأسفل بسرعة شديدة حتى تأخذ شكل أسنان المفتاح داخل الرتاج، مشكلة تلك القطعة أنها تصدر صوتًا مزعجًا؛ لذا يجب عدم تشغيلها فترة طويلة.

أدخلت القطعة داخل فتحة المفتاح وشغلت الماكينة، أصدرت الصوت المزعج لثوانٍ قبل أن تتخذ السنون شكل مفتاح الباب الأصلي ثم فتحته ببساطة ودخلت المنزل، مشكلة هذا الجهاز أنه في بعض الأحيان يضر رتاج الباب ويترك علاماتٍ على استخدام مفتاح آخر.

خلعت قناعي الطبي والنظارة والقلنسوة وأنا أنظر بانتصار لمخبأ قاتلي العزيز، كما عرفته لكن مع تجديد طلاء الحوائط وطلاء الأثاث وتغيير الأرضيات، صالة استقبال يتفرع منها ممرٌّ يفضي إلى مجموعة غرف ومطبخ وحمّام، صورة معلّقة على جدار الاستقبال الرئيسي يظهر فيها قاتلي في شبابه بجانب مجموعة متباينة من الرجالِ والشباب ينظرون للمصور بجدية شديدة، هذا أنا في ركن الصورة أحاول الابتسام، كانت أوقات سعيدة في تلك المصحة التي أخرجت مجانين للدنيا بأكثر مما أخرجت متزنين.

قلبي يدق بانتظام ونفسي هادئ، أنا في أفضل حالاتي الجسدية الآن بعدما اكتشفت إصابتي بالسرطان وهذا غريب على هذا المرض، يجب ترتيب الأولويات، بسرعة قمت بتتبع أسلاك كاميرات المراقبة التي تصوّر خارج المنزل، أوصلني التتبع لغرفة نوم خالية إلا من فراش ومكتب وضع عليه جهاز السيرفر بجانب شاشة صغيرة، عليّ إيجاد طريقة لحذف ما تم تصويره، نجحت في حذف تصوير آخر 24 ساعة تقريبًا ثم

عاينت جيدًا بعيني الأماكن التي تكشفها الكاميرات، هناك زاوية جيدة تسمح لي أن أغادر المنزل بدون أن تلتقطني الكاميرات.

خرجت من الغرفة وذهبت لتفتيش بقية الغرفة، أعرف ما أبحث عنه؛ جرائد قديمة أو أخبار مقصوصة من الجرائد، لن تصدقوا ما وجدته في خزانة ملابس إحدى الغرفة، مجموعة كبيرة من الجرائد مكدسة فوق بعضها البعض وكل جريدة مغلقة في كيس بلاستيكي، أخرجتها بحرص من موضعها وأخذتها لصالة استقبال المنزل وهناك جلست على أريكة مريحة وبدأت في تفحص الجرائد.

قاتلي يحتفظ بالجريدة كاملة التي تحتوي على خبر حادث القتل الذي ارتكبه، طريقة لذيذة لينعش ذاكرته بجرائمه من وقتٍ لآخر، ابتعدت عن الجرائد قبل عام 2011م لأني أعرفها مسبقًا.

قطع بحثي صوت مفتاح يتم وضعه في رتاج الباب من الخارج، وقفت بسرعة لكن الباب انفتح ودخل رجلٌ في الأربعينيات من عمره أسمر البشر قوي البنية يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا من الجينز، كان يحمل في يده اليمنى أكياسًا بلاستيكية تحتوي على بقالة أو شيء من هذا القبيل.

أغلق الرجل الباب وتوقف ينظر لي مصدومًا مرتبكًا، لم يُطِل النظر لي أكثر من لحظات قبل أنا تتوسع حدقتا عينيه وهو يقول:

- أستاذ (داوود)!!! ما الذي تفعله هنا؟

ترك الأكياس التي يحملها تقع أرضًا بمجرد أن لمح القفازات في يدي، قلت أنا مبتسمًا:

- كيف تذكرتَني بعد كل هذا الوقت يا (بدر)؟؟

تراجع خطوة للوراء باتجاه الباب فتقدمت أنا بخطوات سريعة، وكأن (بدر) غيَّر رأيه وهجم عليَّ فجأة وهو يرفع يده اليمنى موجهًا لي لكمة، تفاديتها لكنه وجَّه لكمةً جديدةً اصطدمت بصدري.. (بدر) هذا قوي كالثور، نظرت حولي بسرعة فوجدت مقعدًا من الخيزران قريبًا مني، رفعته في الهواء وألقيته عليه، طبعًا تفاداه بسهولة لكن ما كان يهمني أن أكتسب ثانية لأخرج من جيبي ذلك القلم الذي أحمله دائمًا فككت مقدمته فظهر نصل حاد منه يشبه المشرط الجراحي لكن بسن حاد، نظر هو له مفزوعًا وصرخ وهو يبتعد خطوة:

- لماذا تفعل ذلك يا (داوود) بيه؟

- لأنك ثرثار، سامحني يا (بدر).

رفعت قدمي لأركله في خصيتيه لكنه تفاداها، في اللحظة التي حرَّك جسده ليتفادى ضربتي اندفعت نحوه وأنا أحتضنه لنقع أرضًا، كل ما كنت أريده أن أستطيع الالتحام بجسده، دببت المشرط في صدره وشققته بالطول، صرخ هو فنهضت أنا سريعًا، ذلك الجرح لن يقتله بل سيضعه في حالة ارتباك ويجعلني أنا ألتقط أنفاسي.

نظرت جيدًا لملابسي، الحمد لله لا بقع دم عليها، نهضَ هو وهو يضغط على جرح صدره ويتألم، التقطتُ أنفاسي للحظات بينما هو يجري ناحية الباب ويمسك بمقبضه، ها هي اللحظة المناسبة قد حانت، أتيته من ورائه وأمسكت رأسه بيدي اليسرى أسحبها للوراء وبيدي الأخرى حززت عنقه ذبحًا.. انهالت الدماء من رقبته وأوردته لتغرق الباب بينما أنا أحافظ بصعوبة على وضعية رقبته للوراء كي يموت

سريعًا.. الدماء تغرق يدي اليسرى وجسده يحاول المقاومة، تركته يقع أرضًا بعد فترة وجسده ما زال يرتعش وصوت خوار يخرج من فمه.. لاااااااا، هناك دماء جاءت على الـ «بلوفر» الذي أرتديه.

دخلت للممر الجانبي ذاهبًا للحمام أخلع القفازات وأغسل يدي ووجهي بالصابون ثم نظرت لملابسي جيدًا أمام المرآة، السروال لم تطله الدماء لكن الـ «بلوفر» صار من المستحيل تنظيفه بشكل سريع، خلعته وظللت بالقميص الأزرق الذي أرتديه من تحته بعد التأكد من نظافته.

عندما عدت لصالة الاستقبال كانت جثة (بدر) توقفت عن الحركة، وقفت بجانب منضدة وجدت عليها مطفأة سجائر، لففت لنفسي سيجارة ودخنتها، لأول مرة منذ مدة أرتاح لتدخين سيجارة بهذا الشكل، فكرت كيف أنني تهاونت في مراقبة المنزل ولم أعرف أن (بدر) ما زال في خدمة قاتلي منذ زمن طويل، المفارقة أنه تذكَّرني بسهولة حتى بعد مرور كل تلك السنوات وتحول جسدي وصلعتي، لم يكن أمامي حل إلا قتله وإلا كان سيثرثر ويفضحني، وربما طلب الشرطة هاتفيًا في التو والحال لو استطاع الهرب من المنزل.. أعرف أني أعطي لنفسي بعض المبررات لكنكم ترون أنها مبررات منطقية جدًّا جدًّا.

قاتلي سيبدأ مطاردة هو الآخر فيإثري، ولن يرحمني، أنهيت السيجارة فقمت بلف واحدة أخرى، بعدما أخذت المطفأة وجلست على الأريكة، يجب أن أحسب الاحتمالات الجديدة، لن أتخلص من الجثة فلا وقت لذلك، وهذا يعني أن قاتلي سيجد جثة خادمه فيضع الاحتمالات، طـ... توقف تفكيري وأنا أنظر لمصباح إضاءة معلَّق في السقف لم أنتبه له إلا الآن، آه من غبائي كيف لم أمسح المكان بعد دخولي لأتأكد من

خلوّه من كاميرات المراقبة الخفية، هذا المصباح المعلّق به كاميرا مراقبة لا سلكية يمكن لمستخدمها مشاهدة ما تصوره من أي مكان من خلال هاتفه المحمول ويمكنه أن يسجل ما تبثه الكاميرا في أي وقت، هناك احتمال يقترب من 100 % أن قاتلي يراني الآن وقد عرفَ شخصيتي، أخذت أعقاب سجائري وعدت لارتداء الكمامة والقلنسوة والنظارة وتركت كل شيء كما هو وقد حملت الـ «بلوفر» على يدي.

خرجت من باب المنزل وقمت بغلقه ورائي وأنا أتبع خطوات تبعدني عن كاميرات المراقبة خارج المنزل، ولا تخبروني أن لا جدوى من ذلك، ربما بعض الحذر يمنع الكثير من المصائب، قفزت من على السور وخرجت أسير باتجاه سيارتي، حتى وصلت لها، دخلتها وأدرت المحرك، في نفس اللحظة وجدت سيارة قاتلي تقترب من المنزل، أتمنى ألا يراني الآن فجسدي لا يتحمل صراعًا في الوقت الراهن، أحتاج للراحة والتفكير. توقفت سيارته أمام البيت وخرج منها بينما أنا أبتعد بسيارتي وأنا أراه في المرآة الخلفية ينظر ناحيتي.

***

عدت لشقتي ووضعت الـ «بلوفر» في الغسالة بسرعة، ماذا أفعل؟ الأفكار تتزاحم في رأسي وأعرف أن الوقت غير ملائم لأي فعلٍ غير مدروس، لكنّ هناك شيئًا ما في أعمق نقطة بعقلي يخبرني بأن أثق في غرائزي لا عقلي، غريزتي تدعوني لفعل شيء واحد.

***

الآن عزيـزي القـارئ أنـا جالـس عـلى مكتبـي أكتـب هـذا الفصـل وأخـبرك أننـي سـأصور بقيـة صفحـات الروايـة عـلى الهاتـف المحمـول الجديـد ثـم أنقـل صـور صفحـات الروايـة إلى الـلاب تـوب الخـاص بي، ثـم أطبعهـا عـلى أوراق عاديـة، سـأصنع تلـك النسـخة وأرسـلها مـن خـلال شركـة شـحن خاصـة، سأسـلمها الليلـة لكـن سـأوصيهم بـأن يرسـلوها صبـاحَ الغـد إلى (مجـدي) في منزلـه، لا أعـرف يـا سـيادة الرائـد ردّ فعلـك عـما سـتقرأه، لكنـي أصبحـت في مواجهـة مفتوحـة فعـلًا مـع قاتـلي العزيـز، ويجـب أن أصـل لـه وأقتلـه قبـل أن يصـل هـو لي.

وأعتـذر يـا (مجـدي) لـو كنـت قـد كتبـتَ بعـضَ آرائي عنـك بطريقـة غـير مهذبـة لكـن صدقنـي حـين أخـبرك بأننـي أحترمـك وأحبـك كصديـق لم أتمـنَّ مصادقتـه.

مع السلامة..

***



الفصل الأول



أغلـق (مجـدي) أوراق الروايـة التـي اسـتلمَتْها زوجتـه هـذا الصبـاح وأخبرتـه أنهـا روايـة مكتوبـة بخـط اليـد وأن مرسـلها وكاتبهـا هـو الكاتـب (داوود الجوهـري)، رجاهـا ألا تقـرأ منهـا شـيئًا حتـى يعـود ويقرآهـا سـويًا، اتصـل بـ «داوود» أكـثر مـن مـرة لكنـه لم يـرد، أنهـى عملـه وعـاد للمنـزل رأسًـا وتنـاول العشـاء مـع (مريـم) فرحًـا وهـما يـأكلان بنهـم كي ينتهيـا ويجلسـا عـلى تلـك الأريكـة المريحـة في مدخـل الشـقة ويقـرأ هـو ورقـة مـن الروايـة ثـم يسـلمها لهـا لتقرأهـا هـي.

بعـد حـوالي سـاعة ونصـف انتهيـا مـن القـراءة، نظـرا لبعضهـما نظـرات قلقـة، المكتـوب في هـذه الأوراق لـو كان تأليفًـا خالصًـا فهـو غريـب عـلى (داوود)، ولـو كان تسـجيلًا حقيقيًـا ليومياتـه في الأيـام السـابقة فهـي مصيبـة، قالـت (مريـم) وهـي تتنـاول آخـر ورقـة وتنظـر فيهـا لمـرة أخـيرة:

- ما العمل؟؟

- كم الساعة الآن؟

- اقتربت من الحادية عشرة، ألا يجب عليك زيارته؟

نظر للظلام خارج النافذة وقال بشرود:

- سأتصل به مرة أخرى.

تبـع قولـه بإخـراج هاتفـه المحمـول مـن جيبـه والاتصـال بـداوود، لم يـرد عليـه، حـاول ثـلاث مـرات بـلا جـدوى فوضـع الهاتـف جانبًـا وأشـعل سـيجارة راح يزفـر دخانهـا بعنـف.

- (مجدي)، أنا ما زلت عند رأيي، يجب أن تزوره.

- سأمر عليه غدًا بعد أن تنتهي مواعيد عملي الرسمية.

مرت فترة صمت انتهى فيها من سيجارته وأطفأها.

- (مجدي)..

- حسنًا يا (مريم)، سأذهب الآن.

قال عبارته بعصبية وهو ينهض ويخلع ملابس المنزل متجهًا إلى غرفة نومه ليرتدي ما يصلح للخارج.

***

الساعة الثانية عشرة والنصف ليلًا تقريبًا، و (مجدي) يقف أمام باب شقة (داوود) يرن الجرس ويضرب الباب بيديه، الأفكار تحتشد في رأسه لكنه يخشى تصديقها، هل اختفى (داوود) فجأة بعدما أرسل تلك الأوراق؟، في نهاية روايته كتب أنه سيرسلها لتصله في الغد، أي إنه قرر الاختفاء بالأمس، هل ذهب لمحاربة قاتل؟ والأدهى من كل هذا، هل ارتكب (داوود) جريمة قتل فعلًا؟؟، يظل احتمال أن كل ما كتب خيال في خيال مطروح إلى الآن.. لكن ما الشيء الواجب فعله الآن؟؟

حاول الاتصال به أكثر من مرة ولا مجيب عليه، فكر أنه لا يعرف طريقة للوصول لعائلته ليبلغهم بشكوكه، قلبه لا يطاوعه أن يعود أدراجه لمنزله ثانية وينام، هذا إذا افترضنا أن (داوود) في شقته في هذه اللحظة.

توقف عقله عن التفكير وطرأ خاطر وحيد، عليه أن يستشير أحدًا في هذا الموقف فكل قراراته ستكون متهورة، اتصل بصديقه (أيمن) الذي ردَّ عليه مبتهجًا:

- حبيب قلبي سيادة اللواء (مجدي).

- (أيمن) توقف عن الهزل فأنا أحتاج رأيك بسرعة، أتذكر كاتب الروايات الذي أخبرتك أنني قابلته صدفة الأيام السابقة؟

- (داوود).. الاسم صحيح؟

- نعم هو، أرسل لي اليوم رواية غريبة من خلال شركة شحن، قرأتها فوجدت أنها تشبه مذكراته الشخصية وآخر ما كتبه فيها أنه ذهب لمقابلة قاتل.

- اهدأ وأعطني تفاصيل واضحة، لم أفهم ولا كلمة مما قلته.

انفلتت أعصاب (مجدي) وارتفع صوته وهو يقول:

- لا وقت الآن للفهم، الموقف كالآتي: أنا أقف أمام شقته وهو لا يرد على هاتفه المحمول منذ الصباح، وأنا أخشى أن يكون قد أصابه مكروه، هل أقتحم الشقة أم أنتظر للغد وأحاول الوصول له مرة ثانية؟

- أنت ضابط شرطة ولا تحتاج لإذني لاقتحام هذا المكان، لكن ألا يجب عليك التواصل مع أحد أقاربه أو أصدقـ...

قاطعه (مجدي) وهو يطلب منه إغلاق الخط، ثم عاد ينظر للباب، مكالمة صديقه لم تزده إلا حيرة، تملكته فكرة اقتحام الشقة بأي ثمن، لكنه يحتاج لشاهد، نزل السلم جريًا وهو يبحث عن بواب العمارة حتى وجده داخل غرفة صغيرة في مدخل العمارة يرتدي ملابس مريحة ويجلس مسترخيًا أمام تلفزيون صغير يدخن سيجارة ويشرب كوب شاي، نهره (مجدي) وهو يخبره أنه ضابط مباحث، ظهر الشك على وجه البواب فأخرج (مجدي) بطاقة الهوية الأمنية ورفعها أمام عين البواب الذي لم ينظر حتى لها وهو ينهض مرعوبًا صارخًا:

- أؤمر يا باشا.

- أتعرف الكاتب (داوود الجوهري)؟

- نعم يا سعادة الباشا، يسكن في عمارتنا.

- متى رأيته آخر مرة؟

- بالأمس، كان عائدًا من الخارج بعد صلاة العشاء تقريبًا.

- واليوم؟

- لم أرَه، لكن سيارته العادية والسيارة الثانية التي يستخدمها لم يستقل إحداها فأنا رأيتهما في الجراج منذ قليل وكانا في غاية النظافة منذ أن غسلتهما صباحًا.

طلب منه (مجدي) بأن يتبعه إلى شقة (داوود) فجرى البواب يسبقه فاتحًا باب المصعد الكهربائي، بعد قليل كانا يقفان أمام باب الشقة، طلب (مجدي) منه أن يرنّ جرس الباب أكثر من مرة ثم أخبره بأن يكسر باب الشقة لأنه يشك في أن مكروهًا ما قد وقع لداوود، تردد البواب لكن وجه (مجدي) الجاد كان كافيًا ليتحرك.

حاول البواب ضرب الباب بكتفه أكثر من مرة ففشل، ساعده (مجدي) لكنهم فشلوا حتى قرر هذا الأخير ضرب الباب بقدمه عند منطقة الرتاج، بعد عشر ضربات انكسر جزء من الرتاج، زادت حماسة البواب فاندفع بجسده أكثر من مرة ضاربًا الباب حتى انفتح.

- يا أستاذ (داوود).

صرخ البواب مناديًا على (داوود) وهو يسير في الشقة، أمرَه (مجدي)

بالتوقف وتحرك هو بحذر ناظرًا حوله بدقة، التقطت أنفه رائحة بعيدة لم يتبينها، نظر على الأرض جيدًا فلم يجد ما يريب.

- أتبعني ولا تتقدمني.

قال (مجدي) العبارة وسار بخطى حذرة ناحية غرفة النوم، نظر داخلها والبواب يتبعه مرعوبًا وقد شعر أن هذا الباشا يعرف ما يفعله فعلًا، عاد (مجدي) ينظر ناحية الغرف والرائحة تزداد حدة، يشعر أنه شم مثلها من قبل، اقترب من غرفة المكتب مفتوحة الباب، توقف الشعر على ساعديه وهو يرى مشهدًا غريبًا؛ (داوود) يجلس إلى مكتبه وعلى وجهه آثار ضربات تحت العين اليسرى، يرتدي بدلة كاملة بربطة عنق، واضعًا يديه على سطح المكتب وقد تلوثت أصابعه بالدماء، وأمامه على المكتب كان جزء من قطعة رمادية هي المتسبب الرئيسي في الرائحة، كان جزءًا من مخ بشري.

استعاذ البواب من الشيطان وأخذ يردد آيات مختلفة من القرآن بلا رابط بينها و(مجدي) يخرج هاتفه المحمول ويتصل برقم شرطة النجدة وهو يبلغهم بأنه الرائد (مجدي فرج) وقد اكتشف جريمة قتل وعليهم إرسال فني المعمل الجنائي والطب الشرعي وممثل النيابة العامة إن أمكن بأسرع وقت.

***

بعد مرور الساعة تقريبًا ظهر شاب في نهاية العشرينيات من عمره، نظر لمجدي الذي كان يقف أمام شقة (داوود) بجانب البواب الملتاع والذي ما زال يقرأ القرآن ويردد «الله يرحمك يا أستاذ (داوود)».

- مَن أنت وما هي صفتك وعلاقتك بالمجني عليه؟

قال الشاب أسئلته بصرامة فأخرج (مجدي) بطاقة هويته الأمنية وعرَّف نفسه بأنه من الإدارة الجنائية بمديرية أمن (القاهرة) وبأنه كان على معرفة جيدة بالقتيل، تبدلت لهجة الشاب وهو يعرفه بأنه أحد معاوني مباحث قسم الشرطة الذي تتبع له هذه المنطقة السكنية، وحسب أعرافهم التي تعودوا عليها فقد أصبح هذا الضابط تحت إمرة (مجدي) الأعلى رتبة لحين ظهور رتبة أعلى منهما، وعليه فقد كان (مجدي) هو قائد مسرح الجريمة الآن.

كان يفكر في تلك المعضلة، وخاصة أنه شاهِدٌ على الجريمة وهذا تضارُب سيخلق مشاكل فيما بعد، لكنه دخل الشقة بعدما طلب من البواب ألا يتحرك والضابط الشاب يتبعه و(مجدي) يشير بيديه على الأرض في خط مستقيم ناحية غرفة المكتب ويقول:

- لقد صنعت ممرًا آمنًا لفريق التحقيق الجنائي سأسير عليه الآن وأرجو أن تحفظه لتدل بقية الفريق بنفسك، هل تحمل قفازًا مطاطيًا احتياطيًّا؟

- القفازات ستأتي مع المعمل الجنائي.

لم يكد يكمل عبارته حتى ظهر ثلاثة أفراد من المعمل الجنائي يرتدون تلك السترات الملونة المميزة مع شعار المعمل ويحملون الكثير من الحقائب، عرَّفهم بنفسه وطلب قفازًا مطاطيًا فأعطوه إياه ليرتديه.

دخل هو يسير بحذر ناحية المكتب ثم دخله ووقفت عند جثة (داوود)، أحد الفنيين أخرج كاميرا والتقط عدة صور للجثة من أكثر من

زاويـة، ظهـر التأثـر عـلى وجـه (مجـدي) وهـو يطلـب مـن الضابـط الشـاب تدويـن مـا يقولـه:

- المجنـي عليـه ذَكَرٌ في الــ40 مـن عمـره تقريبًـا، نحيـف الجسـد، يرتـدي بدلـة سـوداء كاملـة وقميصًـا أبيـض وكرافـت مزركشًـا باللـون الأبيـض والأسـود، البدلـة واسـعة جـدًا عـلى جسـد المجنـي عليـه وتـم ارتداؤهـا بعـد مقتلـه، جاكيـت البدلـة مفتـوح، الجثـة جالسـة عـلى مقعـد إلى مكتبـه ويـداه موضوعتـان عـلى المكتـب وأصابـع اليديـن ملوثـة بالدمـاء.. عـلى وجـه الجثـة كدمـات تحـت العـين اليـسرى وسـحجات في الجبهـة.

ثم أمسك يد (داوود) اليمنى ورفعها وهو يقول:

- علامة على مفصل الساعد تدل على خلعه أو التوائه.

توقـف (مجـدي) عـن الحديـث ونظـر لفنـي المعمـل يسـأله عـن الطبيـب الشرعـي وموعـد وصولـه فأجابـه بأنـه في الطريـق الآن، فكـر (مجـدي) قليـلًا ثـم طلـب مـن الجميـع عـدم تحريـك الجثـة حتـى للتصويـر وقـال وهـو ينظـر لمؤخـرة رأس (داوود):

- تصـوُّري المبـدئي هـو أن القاتـل بعـد وفـاة المجنـي عليـه قـام بعمـل ثلاثـة شـقوق بآلـة حـادة وكـسر جـزءًا مـن عظـم الجمجمـة ثـم اسـتخرج جـزءًا مـن المـخ.

ثم أشار لقطعة المخ النظيفة الموضوعة على المكتب وقال:

- هذه هي القطعة.

تساءل أحد رجال المعمل:

- ما هي حالة الشقة عند الوصول لها؟

- أنـا والبـواب حطمنـا بـاب الشـقة ليمكننـا الدخـول، بـاب غرفـة النـوم كان مفتوحًـا والإضـاءة مغلقـة، بـاب غرفـة المكتـب مفتـوح والإضـاءة مفتوحـة، بقيـة الشـقة مغلقـة الأضـواء ماعـدا صالـة الشـقة، النوافـذ كلهـا مغلقـة بإحـكام، لم أتفحـص جيـدًا الأرجـاء بحثًـا عـن أداة للجريمـة، تقييمي أن الجريمـة تمـت في غرفـة المكتـب، هنـاك آثـار صراع تمـت هنـا وحـاول القاتـل إخفاءهـا.

أشـار (مجـدي) لمقعـد مزخـرف محطـم مـن الخشـب في ركـن الغرفـة وقـال:

- هـذا الأثـر مـن الصراع لم يحـاول القاتـل إخفـاءه، لكنـي شـممت راحـة سـائل تنظيـف هنـا في المكتـب عـلى أجـزاء مـن الأرضيـات وخاصـة حـول الجثـة، كـما أن الجثـة نفسـها كان لهـا رائحـة صابـون الاسـتحمام وهـي رائحـة نفـاذة.

- أشمها من موقعي.

قالهـا الضابـط الشـاب فهـز البقيـة رؤوسـهم في حـين أشـار (مجـدي) إلى رقبـة (داوود) وقـال:

- آخـر مـا سـأقوله وتلاحظونـه جيـدًا أن العلامـات عـلى رقبـة المجنـي عليـه تـدل عـلى قتلـه خنقًـا، كـما أن الترسـبات الدمويـة بأجـزاء مختلفـة تخـبرني أن الجثـة تعرضـت للنقـل بعـد الوفـاة مبـاشرة وتغـيرت وضعيتهـا أكـثر مـن مـرة.. هـل سـتجمعون الأدلـة بطريقـة الطـوق؟

هـز أحدهـم رأسـه إيجابًـا وأخـبره بأنهـم سيقسـمون الشـقة لمربعـات كبـيرة ويتولـون البحـث في كل مربـع عـلى حـدة.

- إذًا سأنتظركم في الخارج لأنني أحد شهود الجريمة، أرجو أن يتم استدعاء ضابط أعلى رتبة وتسيير الأمور بينكم مؤقتًا.

أنهى كلماته بأن غادر الغرفة، ثم خرج من الشقة ليجد البواب واقفًا في نفس حالة الرعب، فسأله:

- هل معك رقم هاتف المحمول الخاص بزوجة (داوود)؟

- ماذا؟

- ألم تسمع ما قلت، رقم السيدة (بسمة) أعتقد أنها ما زالت في منزل أهلها إلى الآن.

- ست (بسمة) الله يرحمها ماتت منذ سنة تقريبًا يا باشا، كانت مصابة بالمرض الوحش والعياذ بالله السرطان.

***

أغلق (أيمن) هاتفه المحمول بعدما أنهى الحديث مع صديقه (مجدي) وجلس على الأريكة المريحة في صالة منزله الخاص بحلوان، كان ينظر لمطفأة السجائر التي استخدمها (داوود) بالأمس في شُرب سجائره، كان يتوق في هذه اللحظة لتدخين سيجارة لكنه متوقف عن التدخين منذ عشر سنوات، فأخرج من جيبه جهاز التبخير الإلكتروني الصغير وأخذ منه بضعة أنفاس لم تجعله يتخلى عن احتياجه لسيجارة حقيقية.

كان قد قرَّر أن يريح أعصابه الليلة هنا في هذا المكان لكن مكالمة أتته على هاتفه المحمول من زوجته تسأل عن مكانه، لخبطت كل شيء، قالت إن ابنته تريده الليلة في أمرٍ هامٍّ، ثم ناولت الهاتف لابنته (جودي) ذات الثلاثة عشر عامًا، طلبت منه بدلال أن يعود للمنزل في

أسرع وقت، وعدَها بذلك وأغلق الهاتف وهو يعرف أنها تريد مالًا على الأرجح.

نظر للموضع الذي كانت تشغله جثة (بدر) في صالة الاستقبال وترقرقت دمعة في عينيه وهو يتذكر مشاهدته للمعركة التي حدثت هنا في هذا المكان بين (داوود) و(بدر) بالأمس، وكيف ذبحه (داوود)، وكيف اضطر هو بنفسه إلى تقطيع الجثة وتشويهها بالكامل ثم دفن أجزاءها المتفرقة في نقاط مختلفة بين محافظة القليوبية والجيزة والطريق الصحراوي المتجه للإسكندرية، مشاعره متناقضة فهو حزين على (بدر) و(داوود) بنفس الوقت، ذهب لإحدى الغرف وأحضر أوراق الرواية التي كان يكتبها (داوود)، عاد ليجلس ويقلب في الأوراق حتى وصل للأجزاء التي تخصّ طبيبة الأورام التي عالجته، ما الذي كان يفكر فيه (داوود) وهو يكتب هذا الجزء، ما الذي كان يفكر فيه وهو يقدم أساسًا على خطواته المجنونة هذه، أهو سرطان المخ تلاعب بعقله، لكن (داوود) الذي عرَفَه كان أصلب من أيّ مرضٍ، لماذا يسعى لهدم المعبد على رؤوس الجميع بهذا الشكل الفوضوي!

مرر أصابعه على الأوراق وانحدرت دمعة من عينه، نظر لكومة الجرائد التي كانت تمثل ذكرياته عن كل مرة قتلَ فيها، التفاصيل التي ذكرها (داوود) عن تلك الجرائد ووقعت الآن في يد (مجدي) تجبره على اتخاذ خطوة واحدة ولا مجال لتركها. جمع الجرائد ثم ذهب للمطبخ وصار يفك كل جريدة من كيسها البلاستيكي ويضعها على إحدى عيون الموقد، أشعل تلك العيون بقداحة المطبخ فاحترقت الجرائد في ثوانٍ معدودة، كرر العملية مع بقية الجرائد وهو يشعر بأن الرؤية أصبحت

صعبة بسبب كمّ الدموع المتساقطة من عينيه، فجأة ارتفع صوت نحيبه وهو يشاهد الجرائد تحترق ولكنه أخبر نفسه بأن هذا الأمر لا بُدَّ منه، وهكذا تعلم من صديقه (داوود) حين كان شابًا.

***

دخل (مجدي) شقته عند الرابعة صباحًا، فوجد (مريم) بوجه محمر منتفخ من أثر البكاء، لم يكن في بالٍ رائق لمجالستها كالأطفال الآن، يعرف أنها تبكي بعدما أخبرها من ساعات تليفونيًا أن (داوود) قُتلَ في شقته، لكن طاقته النفسية في أقل حالاتها الآن، تذكَّر فجأة وصية (داوود) والتي اتضح بعد قراءته الرواية أنها لم تكن صادقة، لكن لا ضير من التعامل بها، لو وجدَ زميله في العمل حزينًا سيحاول التخفيف عنه.

- مالك يا حبيبتي؟

نظرت له مذهولة وقالت بعصبية:

- هل نسيت موت (داوود)؟

راحت عصبيتها وأتت الدموع فجأة وهي تبكي، جلس بجوارها وهو يمسد بيديه على شعرها، ارتمت في حضنه بطريقة غريبة، لفَّ ذراعيه يحيطها أكثر.

- اهدئي يا (مريم) في الأيام القادمة سنصل لمن قتله.

- أنا أبكي لموته، ولا أعرف لذلك سببًا.

هو أيضًا يسأل نفسه عن سبب تعاطفه الشديد معه، ربما لأنه قرأ كلماته وشعوره عندما كان في بيتهما، ربما لأنه كان وحيدًا، ربما لسبب لم يتبينه حتى الآن.

- أين الرواية التي أرسلها (داوود)؟

غـادرت حضنـه وأحـضرت لنفسـها منديـلًا ورقيًّـا والأوراق في يدهـا الأخـرى وهـي تسـأله:

- فيمَ تريدها؟

- بعـد سـاعات سـأصنع نسـخة منهـا لأسـلمها في مديريـة الأمـن غـدًا، هـذه الأوراق أصبحـت جِـرزًا مـن أحـراز القضيـة

- هل علمت زوجته بعد؟

تناول الأوراق وقال بتحرج:

- آه بمناسـبة زوجتـه، هـل أحسسـتِ بـأي شيء غريـب يتعلـق بهـا في الروايـة التـي كتبهـا؟

- كلامك مبهم، أوضح أكثر.

- لـن أوضـح بـل سـأقول مـا عرفتـه، زوجتـه (بسـمة) أصيبـت بسرطـان الأمعـاء وماتـت منـذ أقـل مـن عـام، أعتقـد أن (داوود) كان يتخيـل وجودهـا حولـه.

توقفت عن مسح دموعها وانتبهت بكل حواسها وهي تقاطعه:

- ما الذي...

- اهـدئي فأنـا غـير جاهـز للمناقشـة الآن، ناقشـت الطبيـب الشرعـي قليـلًا في احتـمالات رؤيتـه لزوجتـه بسـمة فاقـترح أن السـبب هـو سرطـان المخ الـذي أصابـه، في حـالات بعينهـا تظهـر للمريـض خيـالات بصريـة وسـمعية

- إذن فربمـا تخيـل الكثـير مـما كتبـه في الروايـة، كتخيلاتـه عـن القاتـل المتسلسـل، أو حتـى تخيـل أنـه قتـل رجـلًا يدعـى (بـدر).

- احتمال وارد، فريق التحقيق الذي سيتولى القضية سيبحث في هذه المسألة.

- وأنت، ألست في ذلك الفريق؟

- احتمال مستبعد، أنا أعرفه شخصيًّا بالإضافة إلى أنني واحدٌ من الشهود بسبب اقتحامي شقته الخاصة.

- (مجدي).. ماذا لو كان على حق وقتله هذا القاتل؟ هل سيسعى خلفنا؟

ابتسم بطرف شفتيه اليسرى سخرية وهو يفك أزرار قميصه ويقول:

- لا تقلقي فلا وجود لقاتل يمكن له الاقتراب من ضابط جنائي يعمل في مديرية أمن، هناك بعض الحدود والقواعد غير المكتوبة بين المجرمين.

خلع قميصه وألقاه على مقعدٍ ودخل لغرفته وهو يطلب منها أن توقظه على الساعة السابعة صباحًا.

***

فتح (أيمن) عينيه على يدٍ تهزه بقوة، كانت يد (جودي) التي ارتدت ملابس المدرسة وعقصت شعرها في شكل تسريحة ذيل حصان.

- تأخرت أمس يا بابا ورفعت أمي الشبشب لأنام أنا.

نظر لوجهها الجميل وحمد الله أنها لم تأخذ شعره رأسه الأسود الخفيف وعينه البارزة وملامحه الغليظة، كان شعرها كستنائيًّا كأمها وعيناها زرقاوين بقسمات وجهٍ جميلٍ ومريح للنظر، ضحك لها وهو ينهض بعسر ويقول:

- رفعـت لي أنـا شـخصيًا الشبشـب عندمـا عـدت متأخـرًا، مـا حكايـة الفلـوس التـي تريدينهـا؟

جاء صوت زوجته من خارج الغرفة تصرخ:

- ابنتـك تريـد 500 جنيـه لـشراء جـراب موبايـل يعجبهـا، لا تدفـع لهـا قرشًـا.

مثلـت (جـودي) ملامـح الحـزن فقبّلهـا في خدهـا وهمـس بأذنهـا بأنـه سـيعطيها مـا تريـد، تنـاول محفظتـه مـن عـلى الكومـود بجانبـه وسـحب منهـا مبلغًـا نقديًـا أعطـاه لهـا وهـو يقـول بصـوت مرتفـع لتسـمعه زوجتـه:

- اسـتأذني مامـا قبـل أي شيء، وكفـاكِ مـا أنفقـه عليـكِ في هـذه المدرسـة العجيبـة.

جاء صوت زوجته من الخارج تكمل صياحًا:

- طبعًـا أعطيتهـا مـا تريـده وتمثـل عـليّ أنـك ترفـض، فأنـا الهبلـة الوحيـدة في هـذا المنـزل، لا تشـتكِ إذًا إن أفسـدت النقـود أخلاقهـا.

ضحـك الاثنـان وطبعـت (جـودي) عـلى خديـه قُبلتـين ثـم انصرفـت، حـاول العـودة للنـوم لكـن لم تمـر دقائـق حتـى دخلـت زوجتـه بشـعر منكـوش وأغلقـت بـاب الغرفـة جيـدًا ثـم أيقظتـه.

- أرجوكِ يا (لمياء) دعيني أنام فـ...

قاطعته بصرامة:

- اسمع ولا تقاطعني.

فـرك عينيـه وجلـس نصـف جلسـة عـلى فراشـه فحركـت هـي إصبعهـا أمـام وجهـه محـذرة وهـي تقـول:

- إيـاك أن تتدخـل في تربيـة (جـودي) ثانيـة، دلعـك الزائـد لهـا والـذي تحـاول أن تعوضهـا بـه عـن غيابـك الدائـم يجـب أن يتوقـف، أتفهـم؟

هـز رأسـه للأعـلى والأسـفل إيجابًـا فوقفـت كأنهـا سـتغادر لكنهـا عـادت ونظـرت لـه قائلـة وهـي تضغـط عـلى أسـنانها:

- تحملتـك كل هـذه السـنوات أنـت ونزواتـك الجنسـية، نظـرات كل معارفنـا تأكلنـي لأنهـم يعرفـون عينـك الزائغـة ومغامراتـك العاطفيـة، كل مـا طلبتـه منـك أن تتركنـي لأربي ابنتـي كيفـما أريـد، هـذه مقابـل هـذه، وهـذا آخـر تحذيـر.

غـادرت الغرفـة في حركـة مسرحيـة و(أيمـن) يبتسـم لنفسـه ويفكـر أنها لو علمـت أن كل الأوقـات التـي غـاب فيهـا عنهـا كانـت مواعيـد القتـل، وهـذا هـو السـتار الـذي وضعـه حـول نفسـه مـن قبـل حتـى زواجـه بهـا، كل مـن يتعامـل معـه يعـرف أن لـه علاقـات نسـائية متعـددة وهـذه هـي الطريقـة الوحيـدة التـي تـبرر للجميـع اختفـاءه لفـترات طويلـة بـلا سـبب مقنـع، لكنـه راض بغضـب زوجتـه لأنـه لم يحبهـا أصـلًا، حتـى زواجـه كان نصيحـة لـه مـن (داوود) ليكتمـل سـتاره بحيـاة اجتماعيـة طبيعيـة كـما نصحـه بـأن يوهـم زوجتـه بنفـس فكـرة تعـدد علاقاتـه كي يرتـاح مـن شـكوكها، الحقيقـة أن معظـم مـا عرفـه تعلمـه مـن (داوود).. تذكّـره فظهـر التأثـر عليـه للحظـة واحـدة رفـع بعدهـا يديـه أمـام وجهـه وهـو يقـرأ لروحـه سـورة الفاتحـة.

أمسـك سـاعة يـده التـي بجـوار الفـراش ونظـر لعقاربهـا، لم تتخـطَّ السـابعة بعـد، سـينام قليـلًا ثـم يذهـب إلى مكتبـه.

***

كان (مجدي) يجلس على مقعد أمام مكتب العميد (زكريا) الذي أخبره بأنه لن يشارك في قضية مقتل (داوود)، وكيف أنه قرر أسماء فريق التحقيق من الإدارة والذي سيتعاون مع مباحث قسم شرطة منطقة مصر الجديدة.

- هناك أوراق أرسلَها لي المجني عليه بحكم معرفته بي قبل موته، هل أسلّمها لقائد فريق التحقيق أم أتركها هنا؟

تبع عبارته بأن رفع الرواية أمام وجه محدِّثه الذي أخذها وأخبره بأن يتركها هنا وهو سيتصرف بها، شكره (مجدي) وانصرف من المكتب، لكنه بمجرد خروجه من المكتب أخرج هاتفه المحمول وطلب رقمًا هاتفيًا، بمجرد أن رد عليه محدثه قال بسرعة وبصوت فرِح:

- سيادة اللواء (منير) صباح الفل.

جاءه الرد من على طرف المكالمة الآخر بصوت عجوز قوي النبرات.

- صباح الخير يا بني، جعل الله صباحك خيرًا، تحدثني طبعًا لأجل قضية هذا الكاتب الذي كنت تعرفه وقتل في منزله بالأمس.

تسمر (مجدي) بموضعه ونظر حوله في حركة لا إرادية ثم ضحك بعصبية وهو يقول:

- كيف علمت يا (منير) باشا؟

- ليس معنى خروجي على المعاش ألا أعرف الأخبار أولًا بأول، سيادة العميد (زكريا) أبلغني منذ قليل بكل ما حدث، لا تقلق سيتم إبعاد اسمك تمامًا عن القضية ولن تذكر في ملفك الوظيفي بأي سوء.

- لم يكن هذا هو سبب اتصالي في الحقيقة، أنا أريد متابعة القضية

بنفسي، وأتمنى من سيادتك التأثير على العميد (زكريا) ليجعلني أحد أفراد فريق التحقيق، أو حتى استشاريًّا، المهم أن أشارك في حل القضية.

خيم الصمت من الطرف الآخر للمكالمة، كان (مجدي) يعرف (منير) جيدًا ويعلم أن صمته يعني غضبه ومحاولة السيطرة عليه الآن لذا احترم صمته حتى قال:

- اسمع يا بني، لا تحدّث أحدًا في هذا الموضوع ولا تفتحه إلا عندما أفاتحك أنا فيه بعد يومين، هل فهمت؟

- فهمت كل شيء سيادتك، شكرًا لمعاليك.

أغلق الخط وشعور بالراحة بدأ يتسرب إليه، فهو يثق بمنير أكثر مما يثق بأبيه ويعرف أنه سيفعل الكثير لأجله.

***

دخل (أيمن) لمكتبه في الساعة الحادية عشرة صباحًا، كان المكتب كالسيرك القومي، صغار المحامين يتحركون في كل مكان ويخرجون من الغرف أو يدخلون إليها، زبائن يجلسون ويقفون بشكل عشوائي في كل مكان، كاد أن يصرخ في الجميع لكنه تمالك أعصابه لأنه تذكر أن المكتب على هذه الحالة كل يوم، هو الذي تغيَّر حاله منذ موت (داوود)، دخل لمكتبه وألقى بحقيبته الجلدية على أقرب مقعد ثم جلس خلف مكتبه.

صوت طرقات على الباب ثم دخل شاب من صغار المحامين العاملين في المكتب يقول:

- قضية شركة الغزل والنسيج...

قاطعه بنفاد صبر:

- لا تحدثني عن شيء، تصرف بنفسك، وقُلْ للبوفيه يرسل لي كوب شاي بسرعة.

أغلق الشاب الباب ووضع (أيمن) رأسه بين كفيه مفكرًا في رواية (داوود)، أخذ يردد بينه وبين نفسه أسئلة: هل طبيبة الأورام أهانت (داوود) فعلًا أم أنها خيالات من عقله المريض؟؟ ارتفع رنين الهاتف المحمول فكاد أن يرفض المكالمة لكنه وجد (مجدي) هو المتصل، ردَّ عليه فأخبره بأنه يريد أن يقابله الآن، دقَّ قلبه بسرعة لكنه ردَّ عليه بأن يمر عليه في مكتبه في أي وقت لأنه مشغول قليلًا.. لم يكذّب (مجدي) الخبر وقال بأنه سيأتيه الآن.

جرى (أيمن) ليفتح حقيبته الجلدية التي تحتوي على رواية (داوود). وضع الرواية في خزانة المكتب الكبيرة الموضوعة في إحدى زوايا الغرفة، صوت طرقات جديدة على الباب أفزعه لكن ساعي البوفيه هو من دخل يحمل صينية عليها كوب الشاي، بصعوبة منع (أيمن) نفسه من الصراخ في الرجل الذي وضع كوب الشاي وغادر المكتب.

وقف بجانب الخزينة ينظم تنفُّسه ويمسح حبات العرق التي نبتت على جبينه، لم يهاجمه هذا الخوف من قبل، حاول أن يحلل هذا الشعور الجديد، شعوره بأنه مذنب ينتظر الحكم عليه، المنطق يقول أنه تصرف بشكل متسرع بالأمس يوم قتل (داوود) لذلك هو خائف من كمّ الأخطاء التي ارتكبها.

أخرج من جيبه جهاز التبخير الإلكتروني وسحبَ نفسًا طويلًا خرج في شكل سحابة دخان ملأت الغرفة من حوله، ارتشف من كوب الشاي رشفةً ساخنةً، شعر بارتخاء في أعصابه، جلس خلف مكتبه ورفع سماعة

الهاتف الداخلي وضغط زرًا فيه فردَّت عليه السيكرتيرة، «(حنان) ممنوع دخول أي شخص عندي إلا عندما أتصل بك، وهذا المنع يسري على الجميع»، لم ينتظر ردَّها ووضع سماعة الهاتف، رشف من الشاي وسحب إلى رئتيه بعض الأنفاس وهو ينوي أن يتمالك أعصابه قبل مقابلة (مجدي)، أغمض عينيه ليتخيل حائطًا أبيض اللون كي تبتعد الأفكار عن مخيلته، العجيب أن هذا الحائط الذي تخيله أصبح كشاشة السينما وعليه تُعرض مشاهد مما حدث بالأمس، حاول إبعادها ففشل، فقرر أن يتركها تُعرض ليتخلص منها، وكأن ذكرياته تعرض بانتظام كالفيلم السينمائي وهو يراها من مقعد المتفرج:

***

كان (أيمن) يرتدي الكمامة الطبية على وجهه ليخفي بعض معالمه، اشترى «تي شيرت» أزرق وسروالًا أسود وانتعل كوتشي أسودَ اللون وكل هذه الملابس اشتراها من بعض الباعة الجائلين في ميدان العتبة بعدما تأكد جيدًا أنه غير مُلاحَظ، حتى شعره الذي يصففه على جانب رأسه سرحه إلى الوراء فظهر جزء من مقدمة رأسه، توقف عند العمارة التي يقطن بها (داوود) والتي عرفها حين تتبع (مجدي) في ذلك اليوم الذي زاره فيه، مشكلته الوحيدة هي أنه عرف الطابق فقط حين صعد (مجدي) لداوود في المصعد الكهربي، لكنه لم يعرف أي شقة يسكن بها.

حرك عينيه الخبيرتين بسرعة حول مدخل العمارة فوجده خاليًا من كاميرات المراقبة، كان أمامه خياران، إما أن يستقل المصعد الكهربي ويخاطر بأن تكون هناك كاميرا مراقبة داخله، وإما أن يصعد على درجات السلم ويخاطر بأن تكون إحدى الشقق قد ركبت كاميرا مراقبة

أمـام بابهـا فتلتقطـه، طبعًـا اختـار أن يصعـد السـلم لأنـه الخيـار الأقـل ضررًا؛ لـذا فقـد سـار في المدخـل ولم يجـد البـواب، كان قـد حـضّر مـبررًا إن استوقفه أحدهـم، سيقول إنـه ذاهـب لمعمـل التحاليـل في الطابـق الثالـث، لكنـه لم يجـد أحـدًا، صعـد الطوابـق بهـدوء حتـى وصـل إلى الطابـق الخامـس، أصبحـت أمامـه مشـكلة التعـرف عـلى الشـقة، الطابـق يتكـون مـن ثـلاث شـقق، والمشـكلة حلـت نفسـها بنفسـها، شـقة كُتـبَ عليهـا رقمهـا ولافتـة صغـيرة باسـم المهنـدس/ نعيـم بهنـسي، وشـقة أخـرى قلَّدتهـا وعلقـت لافتـة مكتـوب عليهـا اسـم المحاسـب/ محمـد أحمـد طُلبـة، والشـقة الثالثـة حملـت رقـمًا ولم تحمـل لافتـة تعريفيـة، وهـذا ديـدن (داوود) في ادعـاء التواضـع.

اقـترب مـن الشـقة بعـد أن تأكَّـدَ مـن خلـو الطابـق مـن كامـيرات المراقبـة، وأخـرج مـن جيبـه قفـازًا مـن المطـاط ارتـداه، وسـحبَ مـن جيبـه الآخـر ثلاث قطـع معدنيـة تشـبه التـي اسـتخدمها (داوود) في فتـح منزلـه في (حلـوان)، الفـرق هنـا أن (أيمـن) لا يوصـل تلـك القطـع بأجهـزة كهربيـة، أدخـل القطـع بصـبرٍ شـديدٍ وأخـذ يهـز إحداهـا حتـى تنطلـق منهـا السـنون وتأخـذ شـكل المفتـاح الحقيقـي لرتـاج البـاب، لكـن المسـألة أخـذت منـه 3 دقائـق كاملـة حتـى اسـتطاع فتـح مـزلاج البـاب والدخـول للشـقة ثـم إغـلاق البـاب خلفـه بهـدوء.

- أنا في غرفة المكتب، تعالَ.

كان هـذا صـوت (داوود) يـأتي مـن إحـدى الغـرف، نظـر حولـه ليتأكـد من عـدم وجـود كامـيرات مراقبـة ثـم سـار بخطـوات بطيئـة وحـذِرة إلى الغرفـة التـي أتى منهـا الصـوت والتـي فُتـحَ بابهـا عـن آخـره وظهـر (داوود) جالسًـا عـلى مقعـد إلى مكتبـه. توقـف (أيمـن) عنـد بـاب الغرفـة ولم يدخلهـا وهـو

يمعن النظر في تفاصيل الغرفة كأنه يتوقع كمينًا ما بها، كانت غرفة متوسطة الحجم أُثثت على الطراز الكلاسيكي الأوروبي للقرن التاسع عشر، مكتبة تحتل جدارين في الغرفة ومقاعد خشبية كلاسيكية ومناضد عليها بعض التماثيل إيطالية الطابع ومكتب كبير يمتلئ بالزخارف خلفه مقعد جلدي وثير وأمامه مقعدان من الخشب المشغول وعلى أحدهما جلس (داوود) يرتدي بيجامة نوم ينظر له مبتسمًا.

- لا تخش شيئًا وادخل.

قالها (داوود) ثم نظر لساعة يده وضحك مردِّدًا:

- الساعة الحادية عشرة صباحًا، لم أتوقع أن تكون الزيارة في هذا الوقت المبكر.

أمسك بأدوات لف السجائر وبدأ في لف سيجارة، خلع (أيمن) القناع الطبي وابتسم:

- لا أنكر يا (داوود) أنني استوحشت لقاءك.

- وأنا استوحشت طريقي.

- منذ متى لم نلتقِ؟

- منذ عام 2011، عشر سنوات تقريبًا.

تقدَّم (أيمن) خطوة حذرة لداخل الغرفة فنظر له (داوود) وقد اختفت الابتسامة وحل محلها الصرامة وهو يقول:

- هناك احتمال أنك كشفت مراقبتي لك منذ أول يوم وتوليت أنت مراقبتي حتى منزلي، والاحتمال الآخر أن (مجدي) أخبرك بلقائي معه سريعًا فبحثت ورائي حتى عرفت مكاني.

- (مجدي) كان سعيدًا، وكان يتصل بي يخبرني بكل مرة يحدثك، حتى عرفت أنه ذاهب لزيارتك فتتبعته.

ضحك (داوود) بشكل هيستيري غير طبيعي أقلق (أيمن) وقال:

- عبث.. كل الأحداث عبثية، حتى طريقة وصولك لي عبثية، أراهن أنك تعرفت على شقتي لأنها لا تحمل لافتة تعريفية باسمي.

- لماذا دخلت حياتي ثانية؟

ناوله (داوود) السيجارة التي لفَّها فهزَّ (أيمن) رأسه نفيًا وأخرج من ملابسه جهاز التبخير الإلكتروني الذي كانَ في حجم الإصبع وقال:

- توقفت عن التدخين وأمارس الـ (vaping) الآن.

- حاولت تجربة هذا الشيء وفشلت، طعمه كالدعابة السخيفة.

اقترب (أيمن) منه حتى أصبح على بُعد خطوة واحدة ومدَّ يده بجهاز التبخير وهو يقول:

- يعتمد على نوع السائل الذي شربته، جرب هذا.

أخذ (داوود) الجهاز ووضعه على فمه وسحب نفسًا بسيطًا منه ثم أبعده وسعلَ، أعاده لأيمن وهو يقول:

- طعمه جيد لكن صدري لا يتحمل أي تغيير الآن.

جلس (أيمن) على المقعد المقابل له وهو يقول:

- بالمناسبة عرفت من (مجدي) موضوع السرطان، ألف سلامة، سيمر الموضوع على خير.

لم يرد (داوود) في البداية لكنه وجهه تصلب كأنه يمنع نفسه من البكاء وقال حزينًا:

- المرض ينتشر.. لم يتبقَّ لي الكثير.

انتقل التأثر لوجه (أيمن) الذي ابتلع ريقه وتنحنح ليمكنه الحديث:

- كثيرون قالوا مثلك وتغلبوا على المرض.

نظر (داوود) له ثم ضحك فضحك (أيمن):

- لا تردد كلام الأفلام هذا، قل لي يا (أيمن) كيف حال زواجك؟

وكأنهما صديقان التقيا بعد طول غياب أراح (أيمن) ظهره لمسند المقعد وهو يسحب أنفاسًا عميقة من الجهاز الذي يحمله ويقول:

- حياة مملة جدًّا ومرهقة، أفضل ما فيها ابنتي (جودي).

- بالتأكيد لم تسمها أنت.

- أمها هي من أصرت على الاسم.

- أنا تزوجت منذ سنوات.. (بسمة)، وحينها توقفت عن القتل.

تحفز (أيمن) في جلسته بينما (داوود) يشعل سيجارته وينفث دخانها ثم يسعل ويقول:

- أخبرتها بكل شيء.

- كل شيء؟؟؟؟!!!!!

- حتى أنت حكيت عنك، لم أقل إن (أيمن ربيع) المحامي هو قاتل متسلسل بالطبع، لكنني ذكرت لها صديقي القديم، الذي رافقني في بداية رحلتي، أخبرتها أنني أقتل من أختارهم بنفسي وأنا مستيقظ كي لا أقوم بإيذاء من أحبهم وأنا نائم.

بغضب مكتوم قال (أيمن):

- لماذا فعلت هذا؟

وكأن (داوود) لم يسمعه وهو يكمل كلامه ويدخن:

- أتصدق أنها تقبّلتني كما أنا، سهرت ليلًا لتوقظني إن مشيت أثناء نومي، وعندما أصحو تنام هي لساعات، كنا نلتقي في اليوم لفترة قليلة لكنها كانت لذيذة، كعاشقين يتقابلان سرًا عن الجميع، وصدق أو لا تصدق يا صاحبي، توقفت عن قتل الناس.

- لا حق لك في أسراري لتخبرها لها.

- لا تخف، ماتت (بسمة) بالسرطان.. أتعرف يا (أيمن) أنني اكتشفت شيئًا غريبًا.. كأنني توقفت عن القتل لأبهرها فقط، ولما ماتت لم أجد مَن أبهره، لم أعد للقتل طبعًا لكنها كانت السبب الباقي لي في الحياة، لم أجد هدفًا، حتى عادت لي.

- ألم تقل إنها ماتت؟

- من كوميديا الموت والحياة أنني أصبت بسرطان المخ بعد موتها بفترة قصيرة، وفي مرحلة ما بدأت أراها من حولي، ربما جاءت من خيالي، لكنها كانت حقيقية، تهتم بي وبشؤوني، تأكل معي، تنام بجانبي، لكنها كانت حزينة معظم الوقت.

- أنت تتكلم عن ضلالات يا (داوود)، الضلالات لا تشعر بالحزن.

- ربما هي روحها وليست خيالاتي، حاولتُ معرفة سبب تعاستها فلم تجبني ولا مرة، لكني فهمت، أنت يا (أيمن) سبب هذا الحزن.. (بسمة) تريدك أن تتوقف عن القتل.

- لم أكن لأتصور ثانية واحدة أن تفقد رشدك لهذه الدرجة.

ضحك (داوود) ثم سحب نفسًا من السيجارة باستمتاع وقال:

- لِمَ كنا نقتل يا صديقي؟

- حري بك أن تسأل نفسك هذا السؤال، فأنت الأستاذ والمعلم.

أكمل (داوود) ضحكاته الهيستيرية وهو يقول من بينها:

- نقتل لأننا نستمتع، لا تصدق ترهاتي حول المشي أثناء النوم، أنا قاتل في صحوي ومنامي، وأنت لم تكن تساعدني بل لأنك أدمنت على القتل كمثل إدمانك القديم على المخدرات، نحن معتلون اجتماعيًا يا قاتلي العزيز.

صرخ (أيمن) فيه:

- لماذا تتبعني؟ ولماذا دخلت في حياة (مجدي) صديقي؟، لماذا تخبره عن قاتل مجنون يعيش وسط الناس؟، أتريده أن يقبض عليّ؟؟

دمعت عين (داوود) فجأة وقال بصوت باكٍ:

- لا أعرف ماذا أريد، أريد أن أرتاح، وجودك في الحياة يؤرق روحَ (بسمة)، ووجودي في الحياة يؤرقني، أنا وأنت وجودنا خطأ كبير.

مسح دموعه ثم نظر لعين (أيمن) الذي تحفّز أكثر في جلسته وهو يقول:

- (داوود)، توقف عن السير في هذا الطريق.

ردّ عليه ببرود:

- لن أتوقف يا (أيمن)، ألَم تسأل نفسك لم أتيت اليوم لتزورني؟

كاد أن يجيب لكنه توقف فأكمل (داوود):

- أنت نفسك لا تعرف السبب، لكن داخل أظلم جزء في نفسك ستجد الإجابة، لتقتلني، وأنا أستفزك طول الفترة السابقة بلا سبب، لكن داخل أعماق روحي المعتمة تكمن الإجابة، لأقتلك.

أنهى عبارته وأطفأ السيجارة في المطفأة بجانبه، وعاد لينظر لعين (أيمن) ووجهه المتحير، فجأة نهض من مقعده وانقضَّ على (أيمن) يحتضنه ليقعا معًا على الأرض، لكن هذا الأخير أفلت منه ونهض وهو يصرخ:

- لا يا (داوود).. لا تفعل.

نهض (داوود) بسرعة من على الأرض وتبادل نظرة باردة مع (أيمن) ثم رفع قدمه اليمنى وركل بها (أيمن) الذي تلقاها ووقع على مقعد خشبي في جانب الغرفة فتحطم جزءٌ من المقعد، أخرج (داوود) من جيبه ذلك المشرط الصغير الذي قتل به (بدر)، وانقض على (أيمن) الواقع أرضًا والذي أمسك بقطعة من المقعد المحطم وضرب بها وجه (داوود).

تلقى (داوود) الضربة التي أتت في جانب وجهه الأيسر وتألم معها لكنه طعن بطريقة عشوائية (أيمن) الذي استطاع أن يقبض على يد (داوود) ويلويها بقوة فصرخ هذا الأخير وهو يشعر بأن معصمه قد خلع من موضعه، نهض (أيمن) بسرعة ولكمه فترنح (داوود) للحظة، تحرك (أيمن) ودار حول جسد (داوود) وأصبح خلفه ثم حاوط بذراعه عنقه، هنا تكلم (داوود) وقال بصوت واهن متحشرج:

- افعلها بأسرع ما يمكنك.

ضغط (أيمن) بذراعيه على جانبي عنقه ففقد (داوود) الوعي، ثم

خنقـه ضاغطًـا عـلى حنجرتـه بـكل قوتـه. ارتعـش جسـد (داوود) وارتفعـت يـده اليمنـى في حركـة لا إراديـة ثـم هبطـت.. لا يعلـم (أيمـن) عـدد الدقائـق التـي مـرت وهـو يضغـط عـلى رقبـة صديقـه لكنـه عـرف أنـه كان جثـة هامـدة منـذ فـترة.

رفـع الجثـة وأجلسـها عـلى المقعـد الـذي كان يجلـس عليـه منـذ قليـل، تنـاول مـن عـلى الأرض جهـاز التبخـير الإلكـتروني الـذي سـقط أثنـاء العـراك، سـحب منـه بضعـة أنفـاس وهـو ينظـر لصديقـه ثـم بـكى.

بعـد قليـل نهـض وتفحـص القفـازات في يديـه هـل هنـاك أي قَطْـع بهـا أم لا، لمّـا تأكـد مـن خلوهـا حـرك يديـه عـلى أجـزاء رأسـه ليتأكـد مـن خلـوه مـن أي خـدوش ثـم تفحـص ملابسـه كذلـك.

خـرج يبحـث في غـرف الشـقة حتـى وجـد مكنسـة كهربائيـة أحضرهـا للمكتـب وأوصلهـا بالتيـار الكهـربي ونظـف الأرضيـة والسـجاد جيـدًا، ثـم سـحب مـن المكنسـة حقيبـة الـتراب وأفرغهـا في مقعـد قضـاء الحاجـة داخـل الحـمّام وجـذب بعدهـا السـيفون، غسـل الحقيبـة جيـدًا مـن الأتربـة وأعادهـا للمكنسـة وأعـاد تلـك الأخـيرة لموضعهـا الأول.

عـاد للمكتـب يجـول بعينيـه فيـه يتذكـر جيـدًا كل مـا حـدث قبـل العـراك وأثنـاءه، ثـم حمـل (داوود) كـما يحمـل الأب وليـده وذهـب بـه للحـمّام وسـحب كل ملابسـه مـن عليـه ووضعهـا في الغسـالة وأدارهـا بعـد أن تأكـد مـن وجـود كميـة كبـيرة مـن مسـحوق الغسـيل.

ثـم وضعـه تحـت دش الحـمام وهـو عـارٍ وأخـذ يحممـه بقطعـة ليـف وصابـون اسـتحمام ويدعـك أصابعـه جيـدًا حتـى انتهـى، نقـل جثتـه لغرفـة النـوم ثـم جففهـا جيـدًا بمنشـفة أحضرهـا مـن خزانـة الملابـس، اختـار ملابـس

داخلية وبدلة وكرافت وألبسهم لداوود وهو يمسك دموعه ويحبسها في عينيه، بحث في الشقة جيدًا حتى عثر على حذاء فألبسه إياه، حمل الجثة إلى المكتب وأجلسها خلفه وعاد هو ليجلس أمام المكتب وينظر لصديقه بعدما خلع القفاز وارتدى واحدًا آخر سحبه من جيبه.

- أعرف أنك ستسامحني الآن يا صديقي، لم يكن لقاؤنا كما توقعت أنا لكنه كان لقاءً جيدًا على كل حال.. مثله مثل أول مرة تعرفنا فيها.

سحب أنفاسًا من جهاز التبخير وسرح لدقيقة في الغرفة حتى وقعت عيناه على كومة الأوراق التي كان يكتب بها (داوود) في المكتب، سحبها فوجد عبارة كتبت بخط اليد على ورقة منفصلة (رواية أذكار الموت)، أخذ يقرأ ما فيها بهدوء وصبر حتى توقف عند جزء كان (داوود) يتكلم فيه عن موضع خزانة سرية في مكتبه وأرقامها، ابتسم لأنه يعرف سبب اختياره لهذه الأرقام، 26 هو رقم الغرفة التي كان يقيم فيها (داوود) في أول مصحة نفسية تقابلا فيها، و29 هو رقم غرفته والتي كانت قريبة منه.

ترك الأوراق وأحضر السلم الخشبي وصعد حتى وصل لمجموعة كتب العمارة الإسلامية، أزاح بعضها ثم أبعد اللوح الخشبي فوجد الخزانة، فتحها فوجد بها بعض البطاقات الشخصية المزورة وأكثر من جواز سفر وكلهم بصور (داوود)، كما وجد بعض الصور لأبيه وصورة تجمعهما في شبابهما داخل المصحة، وثلاثة ملفات صغيرة اطلع عليهم بسرعة وعرف أن داخل كل ملف خط سير ومراقبة لشخص وملاحظات عن هذا الشخص ونمط حياته وعمله، أخذ كل شيء وأغلق الخزانة، ثم عاد ليجلس على المقعد وهو يمسك الصورة التي تجمعه معه وضحك وهو يخاطب جثة (داوود) قائلًا:

- جميل أن تحتفظ بذكرياتنا معك حتى اليوم، والأجمل أنك كنت تدعوني داخل الرواية باسم قاتلي العزيز، أردتني أن أقتلك أليس كذلك؟ الغريب يا صديقي أنني متأكد إنك لو أردت قتلي لكنت فعلتها حتى وأنت بحالتك هذه، لماذا لم تنتحر؟؟، لماذا تلقي بكاهل ذنبك عليَّ أنا، ولماذا تكلمت عن طبيبة الأورام هذه وصاحب دار النشر، أتقصد توجيه رسالة لي أنا؟؟ كنت تخبرني في الماضي أن أثق بغرائزي لو ارتبت بعقلي، غريزتي تخبرني بأنك تريد قتلهما، أو بالأحرى تدعوني لقتلهما، أليس كذلك؟؟

ظلَّ صامتًا ينظر إليه كأنه ينتظر إجابته ثم قال بنبرات حزينة:

- آلمك السرطان يا صديقي أليس كذلك؟؟

انهمرت دموعه وهو يحملق في الجثة ثم نهض ودار حول المكتب وهو يضع يديه على رأس (داوود) يتحسسها.. فجأة ابتسم وقال:

- انتظرني يا صاحبي، سأريحك من الألم.

وكأن فكرة سعيدة طرأت لرأسه جرى يغادر الغرفة يبحث عن شيء، ثم عاد ومعه منشفة نظيفة وجهاز مثقاب كهربائي، رفعه لأعلى بانتصار وهو يكلم الجثة قائلًا:

- وجدت هذا في صندوق العدة، أعتقد أنه سيفي بالغرض.

***

توقفت الذكريات جبرًا حين سمع (أيمن) صوت الهاتف الداخلي يرن، سب السيكرتيرة ثم رفع السماعة لتبلغه أن الرائد (مجدي) في الخارج ويصر على مقابلته، شعر بقليل من الفزع لكنه تنفس بعمق وأخبرها بأن تدخله:

- اطلب لي قهوة بسكر زائد بسرعة.

قالها (مجدي) وهو يدخل عليه وفي يده لفافة طعام ساخنة وضعها على المكتب وجلس على المقعد المقابل لأيمن الذي أبلغ السيكرتيرة هاتفيًا بإحضار القهوة، أخرج (مجدي) بعض شطائر الطعمية وهو يناول إحداها إلى (أيمن) ويعلق:

- أوصيت العامل ألا يضع لك سلطة في الساندويتش.

تناولها منه وقضم قضمة وهو يحاول إبعاد الأفكار التي ما زالت ترتسم في عقله عن (داوود).

- مَن أخبرك أنني لم أتناول الإفطار بعد؟

- أنا أصلًا أحضرت هذا الطعام واتصلت بك، كنت سأقابلك في أي مكان حتى ولو كنت في المحكمة.

- هل حدث شيء ما؟

كان (أيمن) يسأله وهو يتحضر للاندهاش مما سيسمع، وفعلًا بدأ يرسم تعبيرات تتنوع بين الدهشة وعدم التصديق على قسمات وجهه و(مجدي) يحكي له تفاصيل ما حدث البارحة، حتى توقف عند اكتشافه أن (بسمة) ميتة، قال (أيمن) بحزن:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إذًا هذا الكاتب كان يتخيل الكثير من الأشياء.

- ربما.. لكن ليست مصادفة أن يقول بأن هناك قاتلًا متسلسلًا ثم يموت هو بهذه الطريقة البشعة.

- أنت حكيت لي عما دار بينكما على موضوع القتل التسلسلي هذا، ثم أن هناك احتمالاتٍ كثيرة لقتله، هل وجدتم أشياءه الثمينة في شقته بالأمس؟

- لم نجد اللاب توب الخاص به ولا هواتفه المحمولة ولا أي نقود سائلة، ربما سرقها القاتل.

- ألم أخبرك، احتمال السرقة وارد، ربما ثرثر حول فكرة القاتل المجنون هذا مع أكثر من شخص وأحدهم أراد أن يسرقه ويترك للشرطة لغزًا وكأنه هذا القاتل.

- كل الاحتمالات مطروحة، فريق البحث سيتحرك في أكثر من اتجاه، ومن بينهم رقم هاتف ذلك المحامي.

- ماذا؟

- نسيت أن أخبرك.. في روايته التي أرسلها لي قال إنه اشترى خط هاتف محمول جديد وقام بعمل مكالمة منه لمكتب المحامي كي يعرف مواعيد وجوده في المكتب.

- لكنك قلت إن هواتفه سرقت.

- نعم لكنه في الرواية ذكرَ أنه اشترى الخط باسم مزيف، سيبحثون عن هذا الاسم وهل اشترى أي خطوط هاتفية، ثم ما أهمية الهواتف المحمولة يا (أيمن) طالما يمكننا التواصل مع شركة الاتصالات نفسها، كأنك نسيت طُرق عملنا.

دخل الساعي في هذه اللحظة ووضع قدح القهوة أمام (مجدي) الذي انشغل بالطعام ولم ينتبه لوجه (أيمن) الشاحب والذي يحاول

باستماتة رسم تعبير غير المهتم على وجهه، لكن حبات العرق على جبينه بدأت تنبت.

- وجهك مخطوف يا صديقي، ماذا بك؟

عندما نطق (مجدي) بعبارته اهتز قلب (أيمن) خوفًا في موضعه وردّ بسرعة:

- أمسكت أنا وزوجتي بخناق بعضنا هذا الصباح.

تناول (مجدي) قطعة مخلل من كيس أمامه وقال ضاحكًا:

- هل أمسكت بك مع امرأة أخرى؟

ضحك (أيمن) بطريقة تمثيلية وتكلم والطعام ما زال في فمه ساخرًا:

- مشكلتها معي أنها لم تضبطني بشكل رسمي، لا أريد الحديث عن هذا النكد، أكمل لي ما الذي وجدته في شقة القتيل؟

- كانت له خزانة سرية كتب عنها في الرواية، وجدناها خالية، بعض أجزاء الأرضيات في الشقة تم تنظيفها بمنظف كان موجودًا في نفس الشقة، هناك علامات صراع وجدناها في غرفة النوم والسفرة.. لكن...

توقف (مجدي) عن الحديث وكأنه يتذكر شيئًا.

- لكن ماذا؟

- جاءتني فكرة مجنونة، ماذا لو قام القاتل بتنظيف أجزاء مختلفة من الشقة وزيف أماكن صراع بها ليربك المعمل الجنائي ويجعلنا نضع تصورًا مختلفًا عما جرى هناك!

- تتحدث عنه كما لو أنه عبقري.

تـرك (مجـدي) طعامـه وأخـرج سـيجارة أشـعلها ونفـث دخانهـا وهـو يقـول:

- لا أعلم، وربما تأثرت بكلمات (داوود).

- مهمتك كضابط شرطة ألا تتأثر بكلمات رجل يرى الخيالات.

لم يـرد (مجـدي) وسرح بذهنـه، تـرك (أيمـن) الطعـام وشرب قليـلًا مـن كـوب مـاء بجانبـه واعتـدل في جلسـته وقـد اسـتغل هـذا الهـدوء ليتمالـك أعصابـه.. مـرت دقيقـة التفـت بعدهـا إلى (أيمـن) وقـال:

- ما زلت أسأل نفسي، ماذا لو كان (داوود) صادقًا؟

- هذا افتراض، هل ستسير على تلك الفرضية أثناء التحقيق؟

- حتـى الآن لسـت في فريـق التحقيـق، طلبـت مـن اللـواء (منـير) أن يدخلنـي بـه، أشـعر أنهـم لـن يلتفتـوا لروايـة (داوود)، وهـذه الروايـة هـي مفتـاح تلـك القضيـة.

- أو هـي ملهـاة لـك ولهـم، أنـا واثـق أنكـم سـتحلون القضيـة بـأسرع وقـت لـو اتبعتـم الطـرق الطبيعيـة للتحقيـق، بالمناسـبة كيـف حـال (منـير) باشـا؟

تناول (مجدي) قدح القهوة وقال وهو يرتشف منه جرعة كبيرة:

- مـا زال كـما هـو بعـد خروجـه عـلى المعـاش مـن عامـين يعيـش مـع زوجتـه طنـط (سوسـن) وينتظـر كل أسـبوع زيـارة ابنـه (أحمـد) ومعـه حفيـده (منـير).

- كان الله في عونه، أعتقد أنه يعاني من الفراغ الآن.

- لا أعتقـد، فكلـما قابلتـه أجـده بشوشًـا سـعيدًا وكأن هـمًّا انـزاح مـن علـى صـدره، أتـدري يـا (أيمـن)؟ كثـيرًا مـا فكـرت في تـرك الشرطـة وبـدء حيـاة جديـدة.

- عندهـا سـتخيّب أمـل أبيـك فيـك، الرجـل يصيـح في كل مـكان بـأن ابنـه ضابـط شرطـة، سيقتلك لـو علـم بأنـك تفكـر فقـط في الخـروج عـلى المعـاش.

نظر (مجدي) إليه قليلًا ثم قال بدهشة:

- أشعر أن طباعك اليوم متغيرة، كأنك لست على طبيعتك.

- أنـت مـن تغـيّر بسـبب تلـك القضيـة فتشـعر أنـك تـرى الجميـع بشـكل مختلف .

- ربما.

قالها بشرود وعاد ليسحب إحدى الشطائر من الكيس البلاستيكي.

***



الفصل الثاني



أحضرت (مريم) آخر طبق من أطباق طعام الغداء والذي تقدمه دائمًا كوجبة عشاء بسبب تأخر الوقت، وضعت الطبق على الطاولة وجلست بجانب (مجدي) الذي بدأ تناول الأرز بعد خلطه بحبات البازلاء والجزر.

- هل لك مزاج في الكلام اليوم؟

قالتها (مريم) وهي تضع قطعة لحم على طرف طبق زوجها الذي ردَّ بدون أن يلتفت لها:

- رأسي مليء بالأشياء.

أكلت بجانبه صامتة لكنه توقف عن تناول الطعام وقال ونظر لها كأنه يهم بقول شيء لكنه تراجع وأكمل ما كان يفعله.

- (مجدي)، كنت ستقول شيئًا، تكلم وفضفض.

- أشعر أن التحقيق في مقتل (داوود) لا يسير بالشكل الصحيح.

- كنت أعلم أن الموضوع يتعلق به، هل توليت القضية كما أردت؟

- لا.. مرت سبعة أيام منذ أن حدثت عمو (منير) ليحاول بمعارفه أن يضمني لفريق البحث ولم يتصل بي إلى الآن، وهو قال ألا أحدثه حتى يبدأ هو.

- ما رأيك أن أتحدث مع طنط (سوسن) لأعرف بعض...

قاطعها بصرامة:

- إياكِ أن تفعلي هذا وإلا كان لي معك كلام آخر.

شعرت (مريم) بقليل من الانكسار وهي تكمل تناول طعامها حتى قال هو:

- (مريم)..

- نعم.

- آسف.. لكن عمو (منير) سيغضب لو علم أنكِ تعرفين تفاصيل عملي، أنتِ تعرفين أنه كان يحب الفصل بين الحياة الشخصية والعمل فصلًا كاملًا.

لم ترد عليه وأكملت تناوُل الطعام، بعد أن انتهيا من الأكل رفعت هي الأطباق وغسل هو يديه وذهب ليجلس على الأريكة التي يفضلها وهو يمسك هاتفه المحمول يقلّب على موقع فيس بوك بطريقة عشوائية، كان بطبيعة الحال مشتركًا في مجموعات كثيرة عن القراءة والكتابة والأخبار الأدبية، وكثيراً ما قابل خبر وفاة (داوود) يتناقله القراء بكثير من الحزن والألم، لكنه في تلك اللحظة مرَّ على خبر وفاة لم يهتم به أول لحظة، ثم عاد ليقرأ الخبر ويتأكد منه، خبرٌ مرفق معه صورة رجل عجوز يبتسم في بلاهة وبجانب الصورة كتب أن (حسين عبده) توفاه الله في مكتبه بدار النشر أمس، قرأ التعليقات فوجد بعض الأشخاص يعلقون بأنهم سمعوا أنه ترك رسالة انتحار بسبب فضيحة كانت تمس سمعته، وآخرون قالوا بأن بعض الكاتبات اشتكين منه واتهمنه بالتحرش، ثم ظهر فريق آخر يدافع عنه ويطلب بأن نذكر محاسن الميت.

هنا سمع صوت موسيقى شعبية فنظر أمامه ليجد (مريم) ترتدي

بدلـة رقـص واسـعة عليهـا وكأنهـا طفلـة تلبـس ملابـس أختهـا الأكـبر منهـا، تحمـل بيدهـا اليسرى هاتفهـا المحمـول الـذي يـأتي منـه صـوت الموسـيقى وبيدهـا اليمنـى صاجـات مثبتـة عـلى أصابعهـا وهـي تتراقـص عـلى النغـمات مبتسـمة، لم يعطهـا بوجهـه أي تعبـيرات بـل ظـل ناظـرًا لهـا مشـدوهًا كأنـه ينظـر مـن خلالهـا، توقفـت عـن الرقـص وقالـت بتعاسـة:

- أنا المخطئة لأنني حاولت أ...

توقفـت عـن الـكلام لأنـه رفـع هاتفـه المحمـول ناحيتهـا موجهًـا شاشـته لتقـرأ مـا بـه، اقتربـت منـه وأخذتـه بعدمـا أطفـأت الموسـيقى، جلسـت بجانبـه ونظـرت لـه بعـدم فهـم، لم يتكلـم ونهـض ليحـضر روايـة (أذكار المـوت) مـن غرفـة النـوم ويعـود لهـا ثـم يقلـب في أوراقهـا حتـى توقـف عنـد ورقـة، أشـار بيـده لعبـارة وهـو يضعهـا أمـام وجههـا، عبـارة داخـل الأوراق تقـول «نهـض هـو جريًـا ليعـد العقـد الجديـد، الغبـي لا يعلـم أننـي سـأكون ميتًـا عـلى الأغلـب قبـل أي مواعيـد تسـليم، وإن كنـت أتمنـى أن أجـرّه للقـبر معـي، ولكـن هـذا القـواد يجـب أن يكـون موتـه فضيحـة لـه ويـا حبـذا لـو انتحـر بسـبب الفضيحـة».

- أترين موته منتحرًا وشبح فضيحة يحوم حوله مجرد صدفة؟

- لا أفهـم، كيـف حـدث هـذا، هـل انتحـر هـذا الرجـل لأنـه علـم مثـلًا بـأن (داوود) فضحـه داخـل الروايـة؟

- لا.. مسـتحيل، هـذا الرجـل قُتـلَ.. لا أعـرف، كل مـا يهمنـي الآن أن هـذا الحـدث غـير طبيعـي، سـأذهب لعمـو (منـير) بنفسـي والآن.

***

شقة ليست بالواسعة ولا بالصغيرة، أثاثها ليس بالغالي ولا بالرخيص، تقع داخل عمارة بنيت في السبعينيات من القرن الماضي في أحد الشوارع الجانبية بالمهندسين. كانت تلك شقة اللواء (منير العيسوي) وقد وضع على باب الشقة لافتة باسمه ورُتبته، حتى هو كان يمكن أن تصفه بالنصف نصف، فلا هو عجوز مترهل الجسد ولا هو رجل قوي البنيان، كان في بداية الستينيات من العمر، أطرافه قوية وبها بقايا عضلات قديمة، لكن له كرش صغير لا يتفق مع بقية صورة أطرافه، وجهه الحليق وشعره الرمادي الذي يصففه للوراء يعطيه سنًا أصغر من سنه، لكن صوته الخشن العجوز يظهره كأنه في التسعين من عمره.

كان (منير) يصلي على سجادة الصلاة في غرفة نومه فسمع صوت جرس باب الشقة، شعر بقليل من الفرح فربما كان أحد أقربائه أتى لزيارته، لكنه أكمل صلاة معتمدًا على زوجته في فتح الباب، سمع أصوات الترحيب من قِبَل زوجته، أنهى الصلاة سريعًا وسلم عن يمينه وعن شماله ثم أخذ مسبحته وخرج ليجد (مجدي) جالسًا بأدب وهو يحمل ملفًا ويتحدث مع (سوسن) زوجته وهي تسأله عن أحواله وأحوال عائلته، فتح (منير) ذراعيه على امتدادهما واحتضن (مجدي) مرحِّبًا ثم جلس بجانبه يعيد عليه نفس أسئلة الترحيب التي سمعها منذ قليل، حتى طلب (منير) من زوجته إعداد العشاء:

- لا شكرًا، تناولت الطعام منذ قليل مع (مريم).

- وأين هي؟

- فضلت أن آتي وحدي لأستشيرك في موضوع.

فهمت الزوجة فأخبرتهم بأنها ستحضر لهما المشروبات وغادرت.

- قبل أن تتحدث يا بني فاعلم أني كنت سأحدثك غدًا أو بعد غد على الأكثر.

- صار الموضوع لا يحتمل، انظر سيادتك، هذه رواية كتبها.

كان (مجدي) يتحدث وهو يناوله الملف لكن (منير) قاطعه بهدوء وسكينة:

- أعرف عن الرواية وقرأت نسخة منها.

- ماذا؟؟ كيف؟؟

ابتسم (منير) وقال يلومه:

- ما زلت تفترض أن خروجي على المعاش يبعدني عن أعمال الشرطة، لا يا بني، فقد أرسل لي العميد (زكريا) نسخة طلبتها من تلك الرواية وأطلعني على تفاصيل التحقيق أولًا بأول طوال الأيام السابقة، وفريق التحقيق يستبعد موضوع هذه الرواية الآن، و...

- ويستبعدوني أنا الآخر، أليس كذلك؟

- أنت مثل ابني، وأنا الذي أشرفت على تدريبك بنفسي، وجودك بفريق التحقيق خطأ وتعلم ذلك.

كان يقول عبارته بصوت حازم تعوَّد على الكلام به مع الضباط الأصغر منه رتبة، فتح (مجدي) موقع الفيس بوك على هاتفه المحمول ووضع خبر الانتحار أمام عينيه.

- مَن هذا؟

- صاحب دار النشر الذي تحدّث عنه (داوود) في الرواية.

- وما المشكلة؟

قالها (منير) لكنه تذكَّر شيئًا فأكمل قائلًا:

- كان الكاتب يتمنى موته.

- يتمنى موته منتحرًا، التعليقات على هذا المنشور تقول بأنه ترك رسالة انتحار بسبب الفضيحة.

لعب (منير) في حبات المسبحة بيده اليمنى وهو يفكر ثم قال:

- ربما انتحر الرجل فعلًا عندما علمَ بأمر الرواية، ولا تحاول أن تستنتج استحالة هذه الفرضية، فكما تم إرسال الرواية لك ربما أرسلها هذا الكاتب لأكثر من شخص.

- وربما كان القاتل المتسلسل هو الفاعل

- أتصدق هذا الكلام، قاتل بهذه الطريقة ولا نعلم عنه شيئًا، مستحيل.. وعلى فرض صدق نظريتك، هذا القاتل لن يقتل بتلك السرعة شخصًا تمنى الكاتب (داوود) موته، الموضوع برمته خارج حدود المنطق.

جاءت (سوسن) بصينية عليها أكواب عصير وتركتها على منضدة قريبة مرحبة بمجدي ثم غادرت، تناول (منير) كوب عصير وأعطاه لمجدي الذي قال بحماس:

- أحتاج للتحقيق في هذا الأمر وبأسرع ما يمكن.

- لو على هذه الجريمة سأبلغ فريق التحقيق بنظريتك وأنسبها لنفسي، لأنهم لو عرفوا أنك تفكر بتلك الطريقة لتم استبعادك من الإدارة الجنائية في حركة التغييرات القادمة.

- لا يا (منير) باشا، أنا أريد التحقيق وبأي طريقة في تلك القضية.

- لـو بـدأت تحقيقًـا منفـردًا فربمـا نبهـت الشـهود أو القاتـل، يجـب أن تـترك الفريـق الأسـاسي ليـمارس عملـه.

- ألم يتم استجواب أقاربه ومعارفه؟

- تقريبًا معظمهم.

- إذن فلا ضير من إعادة استجوابهم ثانية من قبلي

- اترك هذه الأفكار الصبيانية وانتظر حتى أخبرك أنا بتطور التحقيق

رشف (مجدي) رشفة من العصير وقال:

- هـل يمكننـي أن أعـرف إلام وصـل التحقيـق؟ هـل تحققـوا مـن رقـم الهاتـف المحمـول الـذي اشـتراه (داوود) باسـم مـزور؟

- نعـم وهـذا سـبب ابتعادهـم عـن الروايـة ومـا تحملـه مـن خيـال كاتـب، الاسـم المـزور الـذي قـال إنـه اسـتخدمه في الروايـة واشـترى بـه خـط هاتـف لم يجـدوه مسـجلًا في أي شركـة اتصـالات محمولـة، صدقنـي يـا بنـي اتركهـم وسـترى حـين يقبضـون عـلى القاتـل الحقيقـي بالطريقـة الصحيحـة أنـك مشـوش التفكـير الآن.

ارتخى جسد (مجدي) في مقعده يائسًا وهو يقول:

- أشعر أن لداوود الحق في الوصول لقاتله، وكأنه كان يقصدني لسبب ما.

حملق (منير) في وجهه قليلًا يفكر.. قال فجأة:

- اسـمع يـا بنـي، لم أرك تهتـم لقضيـة مثلـما تهتـم الآن، وفي عينيـك أُبصر إصرارًا، وكأنـك مسـتعد للذهـاب إلى أبعـد مـدى لتصـل للقاتـل، هـل أَصَبـتُ فيـما قلـت؟

ردَّ (مجدي) محبطًا:

- نعم.

وكأن (منير) ينوي أن يقول شيئًا لكنه يتراجع، صراع داخلي يعتمر بذهنه انتهى بأن قال:

- انتظرني هنا.

ذهب بعدها (منير) إلى غرفة نومه واختفى قليلًا ثم عاد ليجلس بجانبه وقال بجدية وبصوت خافت للغاية:

- سأمليك عنوانًا في منطقة (الزمالك)، عليك أن تتواجد به في الغد الساعة التاسعة مساءً بالضبط.

- عنوان من هذا

- ستعرف كل شيء في وقته، لكن تذكر أنك تريد الوصول بأي طريقة، أنت قلت هذا.

***

في شوارع منطقة (الخصوص) القريبة من (المرج) سار (إسماعيل) وسط الحارات والأزقة في اتجاه الطريق الدائري، كان اليوم كأي يوم آخر، سيذهب ليحضر طفليه من المدرسة الابتدائية ثم يعيدهما للمنزل، تعد أمهما وجبة الغداء الساخنة ويأكلون ثم يخرج هو إلى عمله المسائي في عيادة دكتور (ابتهال)، كان دوام عمله الصباحي في الوحدة الصحية القريبة قد انتهى منذ قليل فهو يحافظ على عمله الحكومي بجانب عمله الخاص المسائي.

عليه أن يصعد للطريق الدائري ليستقل سيارة ميكروباص لمحطة واحدة فقط ثم يحضر الأطفال، الآن يمر بمقلب قمامة صغير بجانب

ترعة رشاح (الخصوص)، المنطقة هنا هادئة نوعًا ما، وقليل ما يمر أي شخص، لم يلاحظ (إسماعيل) ذلك الرجل الذي يتبعه منذ فترة والذي كان (أيمن) وقد غيَّر قليلًا من هيئته وملابسه، اقترب منه حتى نادى عليه بصوت صارم جاد فنظر (إسماعيل) وراءه ليجده يحمل ورقة طبعت عليها كلمات وورقة أخرى عليها صورته وبياناته.

- أنت (إسماعيل نويشي)؟

- نعم أنا.

- معاون مباحث قسم الشرطة يطلبك.

- ماذا فعلت؟

كالفأر الذي وقع في المصيدة سأل (إسماعيل) بعدما ظهرت على وجهه أعتى علامات الرعب غير المبرَّر، نظر (أيمن) في الأوراق التي يحملها وقال:

- أنت تعمل في عيادة خاصة باسم دكتورة (ابتهال).

- نعم، لكني لم أرتكب أي شيء.

- هناك بلاغات مقدمة في حقها ومطلوب أقوالك وبشكل سِرِّي لإكمال التحقيقات حتى يحول الموضوع للنيابة.

- لكن أنا لم أفعل شيئًا.

فجأة تحوَّل وجهه واختفى تعبير الفأر الخائف وهو يسأل:

- كيف وصلت لي؟ ومَن أنت؟

أخرج (أيمن) بطاقة هوية أمنية تظهره كمعاون شرطة أو كما يصطلح

عليه البعض بأمين شرطة، رفع بطاقة الهوية أمام (إسماعيل) الذي لم يقرأها كلها ثم أدخلها في جيبه وهو يقول:

- والآن قل لي قبل أن نذهب للقسم هل تحمل أيّ ممنوعات لأني سأفتشك أمام ضابط المباحث بنفسي.

عاد وجه الفأر الخائف يرتسم على وجه (إسماعيل) ثانية وهو يقول:

- سأحضر إلى القسم بنفسي بعد قليل.

- لو في جيبك أي شيء أخرجه وألقِه بعيدًا، يعلم الله أني أخبرك بهذا لمصلحتك، وفيما بعد أنت ستقدر مجهودي إن أردت.

بتردد وضع (إسماعيل) يده في جيبه وأخرج قطعة حشيش صغيرة قبض عليها بيده ثم طوّحها بكل ما يستطيع بعيدًا عنه، ابتسم (أيمن) وقال وهو يغمز بإحدى عينيه:

- أنا لم أرَ شيئًا، وبعد أن نأخذ أقوالك وتعود لمنزلك سأنتظر التقدير الذي تحدثت عنه.

- أنا تحت أمرك يا باشا.

- أخوك (محمد فهيم).

- أنعِم وأكرم.

هدأ (إسماعيل) قليلًا بينما (أيمن) يشير له ليمشي بجانبه في اتجاه محدد وهو يقول:

- أهم شيء أن نصل للقسم بأسرع وقت، سنسلك طريقًا مختصرًا.

لم يُظهِر (إسماعيل) أي اعتراض وهو يسير بجانبه يقطعان بعض الشوارع الجانبية، بعد دقيقة بالتقريب وفي زقاق جانبي خالٍ قال (إسماعيل):

- كيف وصلت لي؟

لم يرد (أيمن) بل نظر حوله بترقب ليتأكد من خلو الزقاق من المارة، أمرَ بعدها (إسماعيل) بقول:

- لف جسدك وأعطني ظهرك.

- ماذا؟

- هيًا لا وقت، معاون المباحث سيأتي فجأة.

- لا أفهم.

قالها (إسماعيل) خائفًا وأدار جسده قليلًا ليعطيه ظهره وقد شل عقله من أوامر (أيمن) الذي أخرج من جيبه حبلًا قصيرًا متينًا لفه حول عنق (إسماعيل) الذي كاد أن يصرخ لكن قوة ضغط الحبل حشرجت صوته، حاول التملص لكن (أيمن) ضربه خلف إحدى ركبتيه فنزل (إسماعيل) عليها وشدَّد (أيمن) جذب الحبل وهو ينظر يمينًا ويسارًا.. (إسماعيل) يتغير لون وجهه، تراخى جسده وهو يبول على نفسه ويمتلئ سرواله بالسائل الدافئ، همدت حركته تمامًا لكن (أيمن) ظل في يجذب الحبل لوقت طويل حتى توقف وفكه من على رقبته ليضعه في جيبه ثم يقيس نبض (إسماعيل)، تأكد من موته فمدَّ يده في جيوبه يفتشها ويأخذ كل ما بها.

فكر أنه لا يملك الوقت الكافي لفعل أي شيء في الجثة؛ لذا سار بعكس الاتجاه الذي أتى منه مبتعدًا وهو يمسح بعض حبات العرق التي نبتت على جبينه.

***

وقف (مجدي) أمام فيلا صغيرة من طابقين بأحد شوارع الزمالك، حمد الله أنه لم يحضر بسيارته لأنه لن يجد مكانًا مأمونًا لركنها، والتاكسي الذي أوصله وضعه أمام هذه الفيلا التي تحمل رقم 110 وغادر منذ قليل، نظر لساعته فوجدها ما زالت لم تصل عقاربها للتاسعة تمامًا، وهو يعلم بأن (منير) يحب الدقة في المواعيد بشكل موسوس؛ لذا فقد ظل واقفًا حتى وصلت الساعة للتاسعة تمامًا فضرب جرس باب الفيلا لتفتح الباب امرأةٌ في الخمسين، ترتدي جلبابًا متواضعًا وتضع «إيشارب» على شعرها، سألها عن اللواء (منير) فابتسمت له في طيبة ودعته للدخول: «اتفضل، دكتور (عزيز) ينتظر مع (منير) بيه بالداخل»، سأل نفسه عن ماهية هذا العزيز، أهو طبيب؟ وطبعًا توقع أن المرأة خادمة في هذه الفيلا.

قادته إلى ردهة الفيلا المليئة بالتحف والأنتيكات فوجد (منير) يجلس على أريكة ومقابله يجلس رجل في الخمسينيات من عمره، أشيب شعر الرأس، ممتلئ الجسد قليلًا، وسيم الملامح، يضع على عينيه نظارة مذهبة الإطار، له بعض التجاعيد على جانبي وجهه من كثرة الابتسام.

- أخبرتك يا (عزيز) أن (مجدي) دقيق في مواعيده مثلي، ها هو.

صافحهما (مجدي). في حين قال (منير):

- أعرّفك يا (مجدي) بصديقي دكتور (عزيز رضوان) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة، وأنت يا (عزيز) أخبرتك عن (مجدي) اليوم وعما حدث في الفترة السابقة.

ابتسم (عزيز) وهو يدعو (مجدي) للجلوس ويقول:

- لكنك طبعًا لم تخبره عني، تحب المفاجأة دائمًا يا (منير).

ضحك (منير) بينما شعر (مجدي) أن لمنير شخصية أخرى مرحة تختفي تحت قناع الحكمة والصرامة الدائم، والذي يراه دائمًا منذ طفولته.

- آن الأوان ليعرف إذًا.

قالها (عزيز) فدخلت الخادمة تسألهم عما يشربون لكن (عزيز) أخبرها بأن تحضر لهم الماء فقط، ثم نظر لمجدي وقال بنفس ابتسامته الطيبة:

- هذا ليس بخلًا، لكن ما سنمر به الآن يُمنع قبله تناول أي شيء سوى الماء، كما أدعوك أن تتوقف عن التدخين من الآن إن كنت تدخن.

- ما الأمر يا (منير) باشا؟

- سأتركك مع (منير) وأدخل لتجهيز الغرفة وهو سيخبرك بكل شيء.

بمجرد أن قالها نهض (عزيز) من مقعده ودخل لغرفة جانبية، فاتجه (منير) بجسده ليواجه (مجدي) الجالس بجانبه، ثم قال بصوت هادئ واثق:

- اسـمع يـا بنـي، أنـا أعرفـك مـن أول يـوم ميـلادك إلى الآن، والـدك صديـق عزيـز لي ولعائلتـي، وأنـت أعتـبرك كابنـي تمامًـا، لكـن حتـى الأبنـاء لا يعرفـون كل شيء عـن آبائهـم، هنـاك أشـياء نخفيهـا عـن الجميـع بدوافـع مختلفـة، وأنـا أخفيـت عـن الجميـع هوايـة قديمـة أمارسـها منـذ ثمانيـة عـشر عامًـا تقريبًـا: تحضـير الأرواح.

لم يجـد (مجـدي) تعبـيرًا مناسـبًا ليرسـمه عـلى وجهـه أصـدق مـن تعبـير البلاهـة والـذي ظهـر تلقائيًـا و(منـير) يكمـل:

- التحضـير هوايتـي وشـغفي، لا أمارسـه وحيـدًا بـل مـع بعـض الأصدقـاء مثـل دكتـور (عزيـز) الـذي تخصـص فيـه أكـثر منـا جميعًـا، أعـرف أنـك لا تؤمـن بهـذه الأشـياء لكـن لا تحكـم عـليَّ أو عـلى تجـارب التحضـير بشـكل أعمـى، هـذا العلـم قديـم قِـدَم البـشر أنفسـهم و...

قاطعه (مجدي):

- آسـف يـا عمـو (منـير) لكـن أتتحـدث بجديـة أم أن هـذا مقلـب مـن نـوعٍ مـا؟

- أنـا جـادٌّ يـا بنـي، وأعـرف كـم الالتبـاس الـذي أصبتُـك بـه الآن، لكنـي أؤمـن بمسـألة تحضـير أرواح المـوتى وأمارسـها، ولا تفـزع حـين أخـبرك الآن أني في بعـض القضايـا الجنائيـة الصعبـة حـضرت روح الميـت.

وكأن حية لدغته تراجع (مجدي) في مقعده صائحًا:

- ماذا!!!!!!

- ما سمعته صحيح، نجحت في أوقات في تحضير روح بعض المجني عليهم وفشلت في تحضير روح بعضهم. مَن نجحت في استدعائه سألته عن أي تفاصيل يتذكرها، عن لحظات موته، بعضهم استطاع أن يدلني على قاتله، وأكملت أنا تحقيقاتي ووصلت إلى الجناة، كثيراً ما فشلت في الوصول لشيء مع تلك الأرواح وقليلًا ما نجحت.

كادت عينا (مجدي) أن تخرج من محجريهما من شدة الدهشة، فمنير بالنسبة له هو المثل الأعلى للمحقق الجنائي، صرامته في جمع الأدلة واتخاذ كافة التدابير للوصول لمرتكبي الجرائم كانت غير عادية، كم من مرة عمل تحت توجيهه، وكم من مرة وبخه (منير) لأنه جمع أدلة ظرفية ليثبت التهمة على فاعل بعينه، كان (منير) لا يقبل إلا بالدليل الواضح الساطع كنور الشمس، أما ما يتحدث به الآن فبالنسبة لمجدي لم يكن أكثر من مجرد هراء كان سيقبله من أي شخص إلا هو، كيف يقبض (منير) على شخص بسبب جلسة تحضير أرواح، كيف يبني تحرياته على هذه المهزلة.. وكأن (منير) سمع أفكاره فردَّ عليه:

- لم أعتمد اعتمادًا كليًّا على هذا الموضوع، كان مجرد استشارة أو استرشاد للطريق، كأنني آخذ رأيك في قضية.

- ولماذا لم تخبرني من قبل؟

- كي لا يدور في رأسك ما يدور الآن، تعتقد أنني واهمٌ أو مخرِّف، لكنني أدعوك لتجربة لا أكثر، لا أطلب منك التصديق.

- ما زال غير مصدق؟!

أتت العبارة من (عزيز) الذي خرج من الغرفة وعاد ليجلس على مقعده ووجهه ما زال يحتفظ بشبح ابتسامة، ردَّ عليه (منير):

- كما توقعت أنت، يرفض الفكرة رفضًا باتًا.

جاءت الخادمة تحمل صينية عليها دورق ماء وبعض الأكواب فتناولها (عزيز) ووضعها على المنضدة ثم صبَّ لنفسه كوب ماء وهو يقول بجدية:

- مهما كنت غير مصدق فلن تكون بنفس عنادي في شبابي، كذَّبت كل من تحدث عن الخوارق، بل تحديتها في كل وقت.

شرب كوب الماء بنهم وأكمل:

- كانت هوايتي الوحيدة هي كشف خدع الدجالين تعلَّمت حركاتهم لأفضحهم أمام العامة.. ومن أكثر الأشياء التي كرهتها مسألة تحضير الأرواح هذه، كنت أمقتها كما أمقت الموت ذاته، انضممت للجمعيات الروحانية والتي كانت منتشرة في الثمانينيات والتسعينيات في مصر، واستطعت فضح معظمها، وأقول معظمها لأن هناك نسبة قليلة لم أجد لها تفسيرًا منطقيًّا.

- نسبة قليلة؟!

صب (عزيز) كوبًا ماء آخر وناوله لمجدي وأكمل كلامه:

- اشرب الماء.. كنت أقول أن هناك بعض الحالات في تحضير الأرواح حيَّرتني، لم أجد تفسيرًا مقنعًا لها، وبرغم ذلك استمررت على اقتناعي

بأنها عمليات نصب، كنت شابًا، متحمسًا، ذكيًا، أشعر أن الجميع تحت قدمي، حتى أتى عام 1994م، وحدث ما غيَّر مجرى كل شيء.

كان (مجدي) الآن منتبهًا بكل حواسه وهو يستمع لعزيز الذي خلع نظارته وفرك عينيه كأنه يشعر بألم بها ويكمل:

- انضممت لإحدى الجمعيات الروحانية المهتمة بهذه المسائل، كان لي صديق صحفي طلبت منه البحث عن معظم أفرادها، كان هناك شاب يدعى (صابر أبو جبين) تم اتهامه في عدة قضايا نصب وحُكم عليه في إحداها، توقعت أن يكون قد انضم للجمعية للتلاعب بأعضائها وخداعهم بغرض النصب طبعًا، وفي إحدى الجلسات فضحته أمامهم أو هكذا أعتقد، صدقوني وطردوه، وطردوني بعدها بالتأكيد، زارني (صابر) في الكلية التي أدرس بها الفيزياء، وحاول إقناعي بأنه كان قد تاب إلى الله وأنه لم ينصب على أحد في اليوم الذي فضحته فيه، لكنني لم أصدقه وتجاهلته، بعدها بيوم انتحر في منزله وترك رسالة تقول أن توبته لم يقبلها البشر لكنه متأكد أن الله قبلها.

بعضُ التأثر غلب صوته وهو يرتدي نظارته ثانية ويكمل:

- صدمت.. اهتزت ثقتي بنفسي، هل كنت السبب المباشر في انتحاره؟

- بالتأكيد لا.

قالها (مجدي) بثقة فأشار له (عزيز) بإصبعه وقال:

- هذه الإجابة هي الإجابة النموذجية التي كانت ستقولها شخصيتي القديمة، كنت مثلك تمامًا، أحمل يقينًا بأنني أعرف كل الإجابات طالما

اعتمدت على المنطق، من وقت هذه الحادثة أصبحت باحثًا حرًا في عالم تحضير الأرواح، لم أترك طريقة إلا وجربتها، بدلًا من رفض كل شيء لمَ لا أجرب كل شيء، عندما تخليت عن خيلائي رأيت ما خفي عني.. رأيت لمحاتٍ من العالم الآخر.

- ألم تفكر في تحضير روح (صابر) هذا؟

- فعلت، وطلبت منه أن يسامحني، لكنه رفض.

- وما يدريك بأنها روح (صابر)؟

- لا شيء سوى يقيني في وجود العالم الآخر، ويقيني بأنني كنت متعجرفًا لدرجة إغماض عيني عن الحقيقة..

- أي حقيقة؟

- حقيقة أن أي شيء ممكن الحدوث.

لم يظهر على (مجدي) أنه اقتنع، لكن (عزيز) نهض من جلسته وهو يشير ناحية الغرفة ويقول:

- هيًا بنا لغرفة التحضير.

سبقهما للداخل وأتيا هما وراءه، تحرك (مجدي) ببصره في الغرفة بدهشة، فقد كانت قاعة مستطيلة الشكل مبطنة بعازل صوت باللون الأبيض في كل الحوائط وبظهر باب الدخول، نبات ظل في كل ركن من الأربعة أركان، منضدة مثلثة الشكل بثلاث أرجل وعليها وعاء فخاري يمتلئ بالزيت وتخرج منه قطعة من القماش مفتولة حول نفسها. حول المنضدة ثلاثة مقاعد وسط الغرفة ومقعد رابع بعيد قليلًا عنهم، أعلى

أحـد الحوائـط وُضـع مكيـف هـواء لكنـه مغلـق، هنـاك قابـس كهـربي في أحـد جوانـب الغرفـة وبجانبـه منضـدة فارغـة، عـدا هـذا كانـت الغرفـة خاليـة وواسـعة وبـلا نوافـذ، شـغَّل (عزيـز) مكيـف الهـواء عـلى وضعيـة تجديـد هـواء الغرفـة ثـم أشـار لهـما ليجلسـا حـول المنضـدة المثلثـة، وهـو يقـول:

- يمكنـك أن تقـرأ في سرك الآن أي آيـات قرآنيـة تخطـر في بالـك لـو كنـت تشـعر بـأي قلـق.

بحرج شديد قال (منير):

- (عزيز)، نسيت أن أخبرك، (مجدي) مسيحي.

ارتبـك (عزيـز) وبـان عـلى ملامحـه الحـرج هـو الآخـر فابتسـم (مجـدي) الـذي تعـوَّد عـلى هـذا الخلـط طـوال حياتـه عنـد معاملـة المسـلمين وقـال:

- لا تقلق، سأصلي في سري.

هــز (عزيــز) رأســه متفهــمًا والــدم يحتشــد عنــد خديــه، جلســا عــلى المقعديـن وهـذا الأخـير يخـرج مـن جيبـه ثـلاث ورقـات مطبـوع عليهـا صـورة ملونـة لـداوود وزعهـا عليهـما:

- بحثت ووصلت لهذه الصورة لداوود من على موقع فيس بوك.

قالها (عزيز) وهو يعود لإغلاق الباب ويقول عائدًا لهم:

- معـي جهـاز تحكُّـم بإضـاءة الغرفـة، أغلـق منـه الضـوء الأبيـض وأفتـح الضـوء الأحمـر الخافـت أو أغلقـه.

رفـع يـده اليمنـى التـي تحتـوي عـلى جهـاز تحكـم ثـم جلـس عـلى المقعـد الثالـث وقـال:

- الليلة سنحضر روح (داوود حسن داوود) كما أخبرني (منير) عن اسمه، أنا مدير الجلسة وعليكما تنفيذ أوامري بدقة، من الممكن أن تنجح الجلسة أو تفشل، ومن الممكن أن تأتي روح أخرى، سيتم الاستدعاء بطريقة السراج، سنشعل النار في هذا الفتيل والذي سينقل النار إلى الزيت في الإناء الفخاري فيشتعل نارًا.

لاحظ (مجدي) أن الإناء الفخاري به قليل من الزخارف التي لم يعرف هل هي طلاسم أم مجرد زخرفة عادية.

- الروح التي ستأتي لن تخاطبنا من خلال أحدنا، أي لن تستخدم وسيطًا منا، بل ستتجسد فوق النار في أي هيئة تختارها، وربما اختارت أن تكون حولنا فنسألها أن تجلس على المقعد الخالي.

وأشار للمقعد الرابع البعيد عنهم وأكمل:

- أنا الذي سأتولى كل شيء وأنظم عملية الأسئلة، ومَن منكم يريد أن يحادثها عليه أن يضغط على يدي ضغطة طويلة فأسمح له أو أمنعه، والآن كلٌّ منَّا ينظر لصورة (داوود) جيدًا قبل أن أغلق الضوء الأبيض وأنير الأحمر.

طاوعاه حتى مرت فترة ليست بالطويلة قال بعدها (عزيز) أنه سيبدل الإضاءة، ضغط على جهاز التحكم في يده فانفتح ضوءٌ أحمر باهت ضعيف من سقف الغرفة بدلًا من الضوء الأبيض، وبقداحة صغيرة أشعل الفتيل فانتشرت النار به حتى وصلت للزيت داخل الوعاء وأصبح اللهب يغطيه مع خيط دخان أسواد يرتفع من وسطه.

- كل منكما يتخيل وجه (داوود) في موضع الدخان.

نظرا لخيط الدخان و(عزيز) يقول بنبرات رخيمة:

- روح (داوود حسن داوود) احضري لمجلسنا فنحن في احتياجك، روح (داوود حسن داوود) احضري لمجلسنا فنحن في احتياجك، كلٌّ من يجلس بيننا صديق يطلب اللقاء، احضري فنحن في احتياجك.

أخذ يردد الكلمات بلا جدوى، لم يتغير أي شيء في الغرفة، استمروا لمدة ربع ساعة فلم يحدث شيء.

- انتهت جلستنا.

فتح (عزيز) الضوء الأبيض ليرى بوضوح على وجه (مجدي) نوعًا من الاتهام، لكن (منير) قال:

- أعتقد أننا سنكرر الجلسة بطريقتك أنت في الغد.

- هل ستحضر يا (مجدي)؟

هز رأسه بالموافقة.

***

نام (أيمن) على ظهره فوق فراشه وابنته (جودي) تجلس بجانبه تحكي على موقف حدث معها في المدرسة، استمع لها بنصف تركيز لأنه كان يراجع عملية القتل التي ارتكبها منذ ساعات، فجأة انفتح باب الغرفة قليلًا فنظر هو و(جودي) ناحيته متوقعين ظهور الأم.

- أمك تلاعبنا على ما يبدو.

- أو ربما عفريتها.

- اذهبي للخارج وانظري هل هناك نافذة مفتوحة، أو المصيبة ويكون باب الشقة قد نسيته أمك مفتوحًا.

خرجت (جودي) من الغرفة وهي تنادي على أمها.. شعر (أيمن) بشيء غريب، هناك وجود معه في الغرفة، تحرك شيء ما في مدى رؤيته، نظر حوله يمينًا ويسارًا ثم ثبت عينيه عند مرآة خزانة الملابس، في انعكاسها رأى كتلة سوداء صغيرة الحجم تشبه الكرة لكن تخرج منها ثلاثة خيوط كأنهم الحبال.

- كل شيء تمامًا يا بابا.

نظر لجودي التي وقفت عند الباب بخوف ثم عاد لينظر للمرآة فوجدها طبيعية.

- ما بال وجهك يا بابا؟ كأنك مرعوب.

***

استلقى (مجدي) على جانبه الأيسر يحاول النوم بجانب زوجته في غرفة نومه، حاول النوم كثيراً لكن الفشل هو حليفه الوحيد، الأرق يلازمه من ثلاث ساعات كاملة، حاول الاسترخاء بلا جدوى، أمسك بهاتفه المحمول من على الكومود ونظر للساعة فوجدها الثالثة مساءً، شعرت (مريم) بتحركه ففتحت عينيها بصعوبة:

- (مجدي).. ما بك؟ أشعر أنك تتقلب الليلة أكثر من المعتاد.

- أفكر في بعض الأشياء، نامي أنتِ.

وضعت يدها على كتفه وقالت وقد بدأت تستيقظ من النوم:

- هراء التحضير هذا ما زال يشغلك؟

فرك عينيه بأصابعه وقال بصوت ناعس:

- لا أعرف لمَ اشتركت في هذه المهزلة التي لم تفضِ إلى شيء، كيف يطلب مني اللواء (منير) الابتعاد عن التحقيق الحقيقي ثم يدخلني في بوتقة الدجل والشعوذة.

- نعم نعم.

كانت تردُّ عليه نصف واعية بينما هو يكمل كأنه يناقشها:

- ما رأيك يا (مريم) أن أخرق القوانين لأول مرة في حياتي وأستغل كل ما أعرفه؟

- ماذا؟؟

فتحت عينيها لأول مرة ورفعت رأسها من على الوسادة.

- ما سمعتِه صحيح، سأحقق بنفسي في هذه الجريمة.

- هل في ذلك خطر عليك أو على مهنتك.

- ربما على مهنتي، لن أنتظر حتى أندم، سأتخذ خطوات سريعة.

- إذًا نم الآن لتصنع ما تريده في الغد.

تبعت قولها بأن حركت راحة يدها على شعره فأحس بخدر لذيذ يسري في جسده، أغمض عينيه وترك نفسه يسقط أكثر في تلك القشعريرة المحبَّبة التي غزت جسده، لا يعرف متى تحوَّل النعاس لنوم، ولا يعرف

كيف رأى ذلك الحلم بتلك السرعة، (داوود) يقف في نفس غرفة التحضير ينظر حوله كأنه تائه ثم ينظر له ويردِّد:

- تكلم معي.. تكلم معي.. تكلم معي.

ولأنه كان يدرك داخل الحلم أنه نائم في الحقيقة فقد حاول أن يستيقظ، بصعوبة استطاع أن يفتح (مجدي) عينيه، لكنه لم يكن على الفراش، بل جالسًا على الأرض بجانب باب شقته وجسده يؤلمه ومن خصاص نافذة قريبة يأتي ضوء النهار!!!

***





الفصل الثالث



جلس (أيمن) بداخل سيارته ينظر لساعة يده كل بضع دقائق وهو يمسك بضع أوراق كُتبَ عليها خط سير دكتور (ابتهال) بخط يد (داوود)، كم كانت تلك الأوراق التي أخذها من خزانة (داوود) دقيقة جدًّا، فكَّر أن صديقه هو الذي علَّمه المراقبة بعد أن ترجم عدة كتب بالإنجليزية عنها، وكيف أنه أحضر لداوود كل الكتب التي وقعت في يده عن التشريح وعلم المقذوفات وكتب القانون ليدرسها ويبدأ بوضع طُرق محددة لتحركهم والإغلاق على الضحية، خرجت ضحيته من العمارة التي تقطن بها ودخلت لسيارتها ثم انطلقت بها فتبعها (أيمن) بسيارته، كان يراجع على خط سيرها لا أكثر ويطابقه بالملاحظات التي تركها (داوود)، هي الآن متجهة لعملها في إحدى مستشفيات التأمين الصحي، ترك صديقه في الأوراق ملاحظة عن الأماكن التي تكون هي فيها وحيدة، ومنها شقتها بين الساعة الواحدة ظهرًا إلى الساعة الثالثة كل يوم ماعدا الجمعة، مشكلتها أن لها أطفالًا يأتون من الكليات والمدارس وزوجًا يعمل موظفًا في أحد البنوك، وفكرة مهاجمتها في شقتها ستكون محفوفة بالمخاطر، هل يمكن جذبها لمكان ما؟ وسط كل تلك الأفكار جاءه اتصالٌ من (مجدي)، رفض الاتصال لكنه اتصل ثانية:

- ألو.. أنا مشغول الآن يا...

- يجب أن نتقابل لأحكي لك شيئًا، لا بل أشياء غريبة.

كاد أن يعامله بجفاء لكنه تراجع، فربما سيتحدث عن القضية ويبلغه بأي تطور يخصها.

- إذًا نتقابل اليوم بعدما أنتهي من عملي.

- كنت أريد مقابلتك بعد ساعة أو اثنتين مثلًا.

- الآن صعب، ما رأيك في الساعة التاسعة مساءً؟

- سأكون في جلسة تحضير الأرواح.

- ماذا؟؟؟

- اسمع سأمرُّ عليك بعد الجلسة.

- أهذه دعابة من دعاباتك؟

- لا، سأتصل بك بعد انتهاء الجلسة ونتقابل في أي مكان.

أنهى معه المكالمة وفي عقله تعود ذكرى الشكل الذي رآه في المرآة بالأمس.

***

أنهى (مجدي) المكالمة وأراح ظهره إلى حائط ذلك الممر المؤدي لقسم عِلم النفس بكلية الآداب جامعة القاهرة، اقتربت امرأة في الخمسين من العمر وحولها مجموعة من الطلبة يتحدثون معها عن شيء ما، جاءه عامل البوفيه ليهمس في أذنه بأن هذه هي دكتور (ريم فكري) وقد أنهت محاضرتها الأولى، تابعها بعينه حتى دخلت لإحدى الغرف والطلاب يتبعونها، انتظر هو خارجًا حتى غادر معظم الطلاب ولم يبقَ معها إلا طالبة تتكلم معها بحماس زائد وتدوِّن على كشكول شيئًا ما، دخل الغرفة التي احتوت على ثلاثة مكاتب خالية ومكتب رابع تجلس

عليه (ريم) وابتسم لها وهو يقدم نفسه ويخرج بطاقة هويته الأمنية، غادرت الطالبة خائفة بلا سبب بينما دعته (ريم) للجلوس على مقعد جانبي بابتسامة مجاملة:

- سأكون واضحًا منذ البداية، أريد أن أتحدث معكِ قليلًا عن (داوود الجوهري) الكاتب الذي كان يتعالج تحت يديكِ.

للحظة لمح في عينيها حزنًا اختفى بأسرع مما ظهر، لكن وجهها تبدل من المجاملة إلى الجدية الحقيقية وهي تخبره:

- رحمه الله، زارني ضابط مباحث في عيادتي أول أمس وأخذ إفادتي.

- وأنا لست أحد الضباط المسؤولون عن التحقيق في موته، لكني أعتبره كصديق، ربما لم يعتبرني كذلك لكني مدين له بأن أصل لقاتله، لذلك أرجو أن تتعاوني معي إن أمكن.

- هناك قواعد تنظم سرية العلاقة بين المعالج النفسي ومريضه، وإحدى تلك القواعد هي السرية المطلقة إلا إن حاول أذية نفسه أو أذية شخص بعينه، وفي حالة مثل قتله واحتياج النظام القانوني لبعض المعلومات التي ذكرها في جلساتنا، وكما ترى يا سيادة الرائد أنني أدليت بشهادتي للجهة المنوط بها التحقيق في موته، أنت بنفسك اعترفت أنك غير مسؤول عن التحقيق، لا يمكن أن أصرِّح لك بمعلومات خاصة عنه.

- فريق التحقيق الذي يتولى القضية لا يؤمن بكثير من الأشياء التي قالها (داوود).

- تقصد عن القاتل المتسلسل؟ سألوني عنه.

- بالضبط، ولا يؤمنون أن الرواية التي كتبها قبل مقتله تحمل حلًا للكثير من الألغاز التي دارت حوله.

- أي رواية؟

- رواية كتب فيه تفصيلات عن طبيبته المعالجة لورم المخ، وعن صاحب دار النشر الذي كان يستغله، وعنك أنتِ أيضًا.

- عني؟

- أرى من ردك وتعبيرات وجهك أن الضابط الذي طلب إفادتك لم يخبرك فعلًا بأي شيء حول تلك الرواية، حياة (داوود) كانت...

قاطعته (ريم) قائلة:

- كانت غامضة.. أليس كذلك؟

تغير وجهها وهي تعبئ رئتيها بالهواء ثم تخرج الزفير بقوة، فكرت وسألته:

- هل ذكرني بالشر أم بالخير؟

- أنتِ من القلائل الذي ذكرهم بالخير في تلك الرواية.

- هل يمكن أن تطلعني على ما كتبه؟

- أخشى أنني سأعرّضك لمشكلة قانونية إن فعلت ذلك.

- ما الذي تريد الوصول له من تحقيقك الخاص هذا؟

- (داوود) في روايته كان متأكدًا من وجود قاتل متسلسل يمارس عمله في الخفاء، لم يشك أحدٌ فيه من قبل، ولم يترك ما يدل جهات التحقيق على هويته، كان يراقبه حتى اكتشفه هذا القاتل، ما أريده هو اتباع

نهج قريب لفكر (داوود) للوصول لهذا القاتل، وهذا النهج الذي ابتعد عنه زملائي في تحقيقاتهم.

ركزت (ريم) عينيها على (مجدي) وقالت:

- أجد نفسي مضطرة لإجابتك على ما تريده لسبب واحد، أن علاقتي بداوود كانت تتعدى مرحلة المريض والمعالج، فقد كان يعتبرني كأمّه، وحتى ولو لم أتخذه ولدًا فقد أشعرته بما أراد؛ حنان الأم وحكمتها.

- في روايته قال كلامًا مشابهًا، لكنه لم يعرف أنكِ تعرفين نظرته لكِ.

- كلي آذان صاغية.. اسأل.

- هل (داوود) مصاب بمرض نفسي يجعله يتخيل أشياء؟

- التاريخ النفسي لداوود معقد لأبعد درجة، هو نفسه لا يعلم أنني عرفت عنه الكثير من المعلومات ولم أبح بها أو حتى يظهر عليّ أنني أعلم عن حياته السابقة، وهو في المرحلة الجامعية من حياته أجبره أهله على الدخول لمصحة نفسية خاصة وفي الحقيقة كان خانعًا وموافقًا، خاصة بعد وفاة والده والذي كان يمثل شيئًا هامًا في حياته.

- ما الذي يمثله؟

- والد (داوود) كان صارمًا وحنونًا في نفس الوقت، خافَ على (داوود) أن تربيه أمه بنوع من التدليل فيفسد، فأفرط في تعنيفه، لم يكن يرضى لداوود بأقل من المثالية في كل شيء، الدراسة.. التدريبات البدنية.. الملبس.. المأكل، وبذلك أصبحت طفولة (داوود) سلسلة لا تنتهي من محاولات الوصول للمثالية، كان يحاول أن يبهر أباه دائمًا ليتلقى مكافأة بسيطة هي ابتسامة رضا، لكن والده برغم كل هذا لم يتوقف عن

تعنيفه ليصل للأفضل في كل شيء. في مرحلة الثانوية العامة لم يحقق ما أراده والده فعاش حياةً تمتلئ بالتأنيب والوعيد والضرب.. كان يضربه بشدة برغم مثالية (داوود) كمراهق يقضي حياته في المذاكرة والرياضة والبُعد عن كل شيء، حتى توفي الأب وفقد (داوود) القدرة على التعايش مع الواقع من حوله وزادت نوبات قلقه وخوفه، وزادت اضطرابات نومه.

- كان يمشي وهو نائم أليس كذلك؟

- صحيح.. وقد ورثَ هذا عن والده وأعمامه فجميعهم عانوا من اضطرابات أثناء النوم ما بين الفجع الليلي للطعام والتحدث أثناء النوم أو المشي البسيط، لكن حالته ازدادت سوءًا فقررت أمه إدخاله للمصحة كما قلت لك، وهناك وفي هذا التوقيت لم تكن طرق العلاج والتشخيص متطورة كما اليوم، فتم علاجه بشكل خاطئ، وشُخِّصَت حالته بأنه يعاني من وسواس قهري واكتئاب، شخصيته بها نوع من الوسواس القهري لكنه لم يكن مكتئبًا، أما الأدوية التي تلقاها أشعرته بنوع من الخمول وعدم التركيز فزادت نوبات مشيه وحديثه أثناء النوم.. بعد فترة خرج من المصحة بنفس الحالة التي دخلها، رفضت أمه استقباله لسببٍ هو نفسه لا يريد أن يعرفه وإن كنت أعتقد أنها خشيت على بناتها من حالات مشيه أثناء النوم.

- ما الذي يمكن أن يفعله وهو في هذا الحالة؟

- أغلب هذه الحالات غير مؤذية، لكن الثقافة النفسية غير حاضرة في مجتمعنا بصورة جيدة، ربما شعرت أمه بأنه ممسوس أو مجنون أو أي شيء على هذه الشاكلة، المهم أنه عاش بعيدًا عنها وعن بقية عائلته، كان مطلوب منه تطوير قدراته ليكون وحيدًا وفي نفس الوقت عاش

ليبهر عائلته بنجاحه كما حاول أن يبهر أباه من قبل، أعتقد أنه اتجه للكتابة وصمم على النجاح فيها لتتقبله أمه ثانية، لكنها ظلت على حالها.

أخرج من جيبه علبة سجائره فهزت رأسها إيجابًا، تناول سيجارة وأشعلها وهو يسألها:

- لكنك لا تذكرين الحادثة التي حدثت في تلك الفترة.. كان في روايته يقول إن عائلته ابتعدت عنه بعد الحادثة.

ابتسمت هي وقالت:

- (داوود) يؤرخ لحياته بوفاة والده، هذه هي الحادثة، وكأن حياته انهارت بعدها، للأسف لم أستطع تخليصه من خضوعه لأبيه، كان يرفض أي محاولة للحديث في هذا الأمر.

- وهل دخل فعلًا لمصحات نفسية أخرى؟

- نعم على ما أتذكر مرتين أو ثلاثة لكن بإرادته، كان يحاول السيطرة على اضطرابات النوم، حتى وصل لطبيب نوم مصري ودخل لمعمل النوم لتشخيص حالته، وكانت مشكلة كبيرة في وقتها لأن طبيب النوم حولّه لطبيب نفسي بسبب اضطرابات سلوكية ارتكبها (داوود)، كان عنيفًا عندما سار وهو نائم، حاول أذية نفسه أكثر من مرة، والطبيب النفسي الذي حُوّلَ عليه لم تكن له خبرة بهذه الحالات من قبل فأخضعه لعلاج دوائي لم يفد حالته كثيرًا، وظلّ هكذا يُحّول من طبيب لطبيب حتى وصل لعندي، منعت عنه كل الأدوية واستخدمت معه علاجًا سلوكيًا ليتأقلم مع حالته، والجميل أنه قابل (بسمة)، تلك الفتاة الطيبة، وتزوجها،

واختفت حالات السير نائمًا، كانت هي القطعة الناقصة في حياته، وبها اكتمل هدوءه واتزانه النفسي. لا أنكر أنه عانى من بعض الاضطرابات النفسية كالوسواس القهري والميل للمثالية وبعض الضلالات، لكنه ليس مريضًا عقليًا، أو مجنونًا بالمعنى الدارج.

- كان يقول في روايته إنه كان يعرف القاتل منذ أن كان معه في المصحة، وأن هذا القاتل كان مدمنًا، هل تعتقدين أنه قابله هناك؟

- المتعاطون يتم إبعادهم عن بقية المرضى النفسيين، إلا لو كان هذا المريض قد شفي من تعاطي المواد المخدرة ويتم علاجه بسبب مرض نفسي ناتج عن التعاطي، في هذه الحالة يمكن أن يتقابلا.

- هل تعرفين الكثير عن (بسمة)؟ كيف ماتت؟ هل أثَّر موتها على (داوود)؟

- أفهم مقصد سؤالك، بعد وفاة (بسمة) عاش (داوود) فترة من الإنكار، اتهم بعدها طبيبتها المعالجة بأنها أهملتها طبيًّا.

- طبيبتها؟؟

- نعم كان يذكر اسمها دائمًا في جلساتنا، أعتقد أن اسمها (ابتسام) أو(ابتهال)، لم يتهمها بشكل رسمي ولم يصرح لأحدٍ آخر، لكنه جعلها عدوَّة له في معظم الأوقات حتى اقتنع في النهاية بأنه ليس لها ذنب في موتها.

- أتعرفين أنه تلقى علاج السرطان عند نفس الطبيبة؟

- نعم أعرف، كان هذا كنوع من العلاج لتقبلها، لكنه عاد ينعتها بأنها لا تفهم شيئًا في عملها وأنها غبية.

- وهل تعرفين أنه كان يرى (بسمة) بعد موتها؟

لأول مرة يظهر تعبير الدهشة بوضوح على ملامحها وهي تسأله؟

- منذ متى يراها؟

- لا أعلم، لكنه كان يخبر من حوله بأنها ما زالت حية، وكتب عنها في روايته والتي كانت كالمذكرات الشخصية عن حديثه معها ولقائه بها.

- لم يأتِ إلى ذكر هذا الموضوع في جلسات العلاج معي، ربما كان مدركًا أنه يتخيل ولم يصارحني.

- هل يمكن أن يكون قد تخيل فكرة وجود قاتل متسلسل من الأصل؟

- هذا السؤال سأله زميلك لي، وإجابته نعم، فمنذ بضعة أشهر ذكرَ في إحدى الجلسات أن هناك فكرة قصة تتكون في رأسه عن كاتب روائي يعاني من المشي أثناء النوم، يتعرف في شبابه على مريض نفسي مصاب بهلاوس العظمة لكنه يتدرب على إخفائها، وهذا الكاتب كان يقوم بأذية من حوله أثناء نومه لكنه اكتشف بالمصادفة أنه لو أوقع العنف على أشخاص حقيقيين حوله فستختفي اضطرابات المشي نائمًا، يساعده ذلك المدمن ويقتلان سويًا ثم يتطورا حتى ينفصلا وكلٌّ منهما يقتل لأسبابه الخاصة، الكاتب يقتل ليوقف أعراض اضطراب النوم، والمدمن المعاقَ يقتل المرضى النفسيين والمدمنين والمرضى الميؤوس من شفائهم كنوع من القتل الرحيم، أخبرني أنه في الرواية دمج جزءًا من حياته الحقيقية بالخيال، ثم في آخر جلسة حضرناها أعاد نفس الفكرة وقد قرَّر كتابتها، لذا فرضية أنه كان يتخيل وجود قاتل أمر وارد.

- ولو كان صادقًا؟

- سيكون (داوود) قد خدع الجميع بما فيهم أنا شخصيًا.

***

جلس (عزيز) يشاهد التلفاز على أريكة غرفة المعيشة وهو يأكل الشطائر التي أعدتها (أم سامية) خادمته منذ انتقل لهذه الفيلا من سنوات طويلة، كان يشاهد ذلك المسلسل الذي لم ولن يتابعه لكنه يسلي عينيه به حتى ينتهي من طعامه، دخلت عليه (أم سامية) خائفة وهي تصرخ:

- مصيبة يا دكتور.

كاد أن يختنق باللقمة التي يمضغها. ابتلعها وشرب من زجاجة المياه بجانبه وهو يقول متوترًا:

- تقولين مصيبة ولا تشرحينها، ماذا حدث يا امرأة؟

- أصوات طرقات على الباب.

- افتحي الباب إذًا.

- ليس باب الفيلا، بل باب غرفة بسم الله الرحمن الرحيم.

طبعًا تقصد باب غرفة التحضير لكنها تخشى حتى من ذِكر الكلمة، جرى يسبقها حتى وصل للغرفة، فعلًا كانت طرقات تأتي من الداخل، منتظمة، عد الثواني بين كل طرقة والأخرى فكانت خمس ثوانٍ بالضبط لا تتأخر ولا تزيد.

- عودي أنتِ وأكملي عملك.

جـرت هــي مبتعـدة وكأنهـا تخـشى مــن انفجـار الغرفـة، فتـح البـاب بمفتاحـه الخـاص ودخـل ثـم ضغـط عـلى مصبـاح الإنـارة، توقـف صـوت الطرقـات والغرفـة عاديـة، أغلـق البـاب عـلى نفسـه مـن الداخـل وجلـس عـلى أحـد المقاعـد الثلاثـة حـول المنضـدة وهـمّ بقـول شيء لكنـه سـمع صوتًـا كالفحيـح يتكلـم مـن حولـه:

- لا تحاول ثانية يا (عزيز).

الغريب أنه يتذكر هذا الصوت لكنه لم يصدق نفسه فسأل:

- مَن أنت؟

- (صابر) صديقك.

لم يقابـل في حياتـه حضـور روح فجـأة وبذلـك الوضـوح مـن قبـل، نظـر حولـه وهـو يقـول:

- (صابر) مَن؟

أتاه الصوت بوضوح أكثر يقول:

- الذي لن يسامحك.

ارتفعت نبضات قلبه رعبًا وهو يسأل:

- مَن الذي أحضرك؟ وما الذي لا أحاول فعله ثانية؟

- (داوود) المجنون.

تلقى الإجابة مصدومًا وهو يقول:

- (داوود) أحضرك؟

- لا.

سمع صوت صرخة فجأة هزَّ كيانه رعبًا ثم تحرك المقعد الرابع وصوت آخر يقول غاضبًا:

- أين أنا؟؟!!

- مَن أنت؟؟

لم تأتِه إجابة، لدقائق ظل (عزيز) يسأل ولا شيء يحدث.

***

ما فعله (مجدي) مع (مروة) شقيقة (داوود) كان مختلفًا عما فعله مع المعالجة النفسية، بعد أن وصل لعنوان منزلها من خلال أحد معارفه بالمرور اكتشف أنها ذهبت وحدها لزيارة قبر (داوود)، ذاك ما أخبره به زوجها العصبي الذي استقبله في شقته، قال الرجل إنه منذ سمحت النيابة بدفن الجثة منذ أربعة أيام وهي تزوره كل يوم لمدة أربع ساعات تقريبًا في هذا التوقيت، أخذ عنوان المدفن وذهب لهناك فوجد بجانبها مقرئ قرآن ظل يقرأ لنصف ساعة ثم أعطته مبلغًا نقديًا وانصرف، لمحته منذ البداية ورفع هو بطاقة هويته لترى أنه ضابط مباحث جنائية ثم أشار لها أن تكمل.

بعد أن انصرف مقرئ القرآن، وفي حوش القبر الذي لم تُوضع عليه أي لافتة بعد سوى لافتة خارج الحوش باسم عائلة (داوود)، تقدَّم منها وهو يحمل بين يديه الرواية وفوقها ملف لقضية أخرى.

- أنا الرائد (مجدي فرج) أحد العاملين على قضية مقتل (داوود).

كان وجهها منتفخًا من أثر البكاء المستمر والهزال يبدو عليها حتى

ملابسـها السـوداء كانـت غير مهندمـة، لم يـرَ حزنًـا عـلى ميـت مثلـما رآه عـلى وجهها.

- هل وجدتم قاتله؟

- في طريقنـا إليـه، أعـرف أن إفادتـك أخذهـا أحـدُ زمـلائي مـن قبـل، لكـن أنـا هنـا اليـوم لـشيء آخـر، أتريديـن التحـدث الآن أم أمـرُّ عليـكِ في المنـزل اليـوم في وقـت آخـر؟

جلسـت عـلى مصطبـة بجانـب القـبر وأشـارت لـه ليجلـس بالقـرب منهـا وهـي تنظـر للقـبر وتقـول:

- نتحدث هنا، أمام المرحوم؟

جلس ونظر ناحية القبر وابتسم قائلًا:

- عرفته قبل موته بفترة قصيرة، كان يتحدث عنكِ دائمًا.

نظرت له وعلى وجهها تكونت بعض علامات الراحة وهي تسأله:

- ماذا كان يقول؟

- كان يحـكي عنـكِ كأنـك أمـه، وقالهـا صراحـة أكـثر مـن مـرة، قـال إنـكِ مـن اعتنيـت بـه مـن صغـره، والوحيـدة التـي شـعر معهـا بحنـان أمـه.

بكت فضرب هو الحديد وهو ساخن قائلًا:

- وخاصة بعد الحادث.

- أي حادثة؟

سألت من بين دموعها فردَّ بسرعة:

- والدكما رحمه الله.

مسحت دموعها بمنديل وقالت:

- هو الآن بجانبه وعند الله يجتمعان فلا يفرقهما شيء.

كان (مجدي) يلف ويدور حتى يصل إلى أي شيء حول ما كان يسميه (داوود) بالحادثة، حاول أن يعطيها إيحاء بأنه يعرف أكثر مما يبوح وهي طريقة تدرب عليها لاستجواب المتهمين.

- (داوود) كتب تفاصيل كثيرة في مذكراته.

قالها وهو يفتح رواية (أذكار الموت) على الجزء الذي تحدَّث فيه عن لقائه بمروة وأعطاها الأوراق قائلًا:

- انظري بنفسك.

قرأت جزءًا من الحوار الذي دار بينهما فسحب (مجدي) الرواية من يدها معتذرًا:

- آسف لكن تلك التفصيلات من المفترض ألا أعلنها لأحد، لكن شعرت أنكِ تستحقين أن تعرفي كم الحب الذي كان يشعر به تجاهك.

نظرت هي للقبر ثانية وبكت فعاجلها قائلًا:

- أثرت الحادثة على (داوود) وجعلته يتعرف على شخص مريض في المصحة النفسية التي دخلها، هناك شكوك أن هذا الشخص ربما هو المتهم في قتله أو يعرف من قتله.

بدأت تنتبه إليه بكل حواسها وهي تقول:

- ما اسمه؟

- لم يذكره، أتعرفين كل أصدقائه؟

- لم يكن له أصدقاء حرفيًا، لكنني لا أتذكر أنه حكى لنا عن صديق له في المصحة.

- هل تعتقدين أنه صديق تخيلي؟

- ما الذي تقوله، أخي كان عاقلًا وليس لأنه دخل...

قاطعها قائلًا:

- إذًا أخبريني بكل ما تعرفين لنغلق هذا الطريق داخل تحقيقاتنا.

- ماذا تريد أن تعرف؟

- كل ما يتعلق بالحادثة، ومتى تم تشخيصه باضطرابات النوم؟ وهل ورثتِ أنتِ أيضًا من والدك وأعمامك نفس الاضطرابات؟

العبارات التي قالها أشعرتها فعلًا أنه يعرف الكثير فأجابت:

- قبل الحادثة لم يتم تشخيصه، وأنا وشقيقاتي لم نعانِ من اضطرابات نوم عنيفة، لكنه ومنذ طفولته كان يتحدث وهو نائم، وفي مرة أنقذته أمي قبل أن يقفز من شرفة غرفة الصالون.. كان عمره وقتها تسعة أعوام، عرفنا أنه يشبه أبي والذي كان يتحدث نائمًا وقليلًا ما نهض وعاد لفراشه ثانية، حتى حدثت الحادثة.

فتح (مجدي) الملف الذي يحمله ونظر في إحدى أوراقه ثم عاد بنظره إليها كأنه يتأكد من صدقها وقال:

- احكِ لي بالتفصيل ما حدثَ.

سرحت بعينيها في القبر ثم قالت:

- طالما مات (داوود) سأحكي.

***

48 ساعة بدون نوم، يومان في استيقاظ كامل، إدراكك يتغير بعد اليوم الأول، تشعر بقليل من الكسل ثم يأتي اليوم الثاني ليمر فتشعر بأن الأصوات من حولك أصبحت أكثر حدة وقوة، هذا هو حال (داوود) ذي الثمانية عشر عامًا، بدأ كل شيء معه بالأرق فلم ينم، ذهب للكلية وهناك استعاد نشاطه، عندما عاد جلس للمذاكرة وتلخيص بعض ما حضره في المحاضرات، حان موعد تدريبه فذهب إليه، التدريب جدد نشاطه بشكل لم يصدقه، وبرغم كرهه للحر الذي يشعر به الآن في شهر (يوليو) إلا أنه شعر أن حرارة الجو تعطيه دفعة للأمام، قرر النوم لكن بعض الأفكار هاجمته، تسلل لصالون منزلهم وقرر قراءة بعض روايات الجيب، عندما أذن الفجر قال في نفسه إنه لا وقت للنوم سيذهب للكلية، ومر اليوم الثاني مثل الأول؛ بلا نوم.. لكنه بدأ يشعر بألم ما في أجزاء جسده، عند انتصاف الليل كان يجلس في غرفة الصالون بشقتهم وجميع شقيقاته نائمات، أبوه ينام مبكرًا وأمه تلحقه، كان يفكر في مستقبله بعدما يتخرج من الكلية، لا اختيارات حقيقية أمامه، حتى والده كان له نفس الرأي، فكر هل يعمل ويحضر رسالة الماجيستير وبعدها الدكتوراة، أم يسافر للعمل في إحدى الدول الخليجية؟

شعر بالنعاس لكنه تجاهله، كان يريد أن يراجع بعض المواد الدراسية من الكتب قبل النوم، فتح أحد كتبه وبدأ في القراءة، صورة الكلمات تهتز لكنها تعود طبيعية بعد قليل، لا يعرف متى سقط رأسه ونام وهو جالس على مقعده ممسكًا بالكتاب والعرق يغرق جسده وملابسه.. مرت ساعة تقريبًا وهو في هذه الوضعية.

فجأة فتح عينيه ونهض من مقعدة ناظرًا حوله، لو رأيته لأقسمت

إنـه في أتـم درجـات وعيـه، لكـن مـاذا لـو عرفـت أنـه مـا زال نائمًـا، وأن مـا استيقظ الآن شـخص آخـر داخلـه، خطـا بثبـات خارجًـا مـن غرفـة الصالـون وهـو يمـر عـلى غرفـة نـوم أختيـه الأصغـر، توقـف عنـد البـاب المغلـق وفتـح فمـه محـركًا شـفتيه كأنـه يتكلـم بـلا صـوت، أخـرج مـن حنجرتـه صـوت زمجـرة خافـت كأنـه حيـوان يسـتعد للانقضـاض.

عـاد ليخطـو حتـى وصـل لغرفـة نـوم والـده ووالدتـه، وقـف عنـد بـاب الحجـرة وحـرك شـفتيه بـلا صـوت، ثـم زمجـر لكـن بصـوت أعـلى هـذه المـرة، فتـح البـاب ودخـل ليقـف بجانـب الفـراش، حمـل والـده عـلى يديـه كالرضيـع بقـوة غريبـة وهـو يزمجـر بصـوتٍ عـالٍ جـدًّا، اسـتيقظت الأم مفزوعـة ومـا إن رأتـه حتـى أمرتـه أن يتوقـف، اسـتيقظ الوالـد فزعًـا هـو الآخـر وصرخ بـه لكنـه ظـلَّ يزمجـر، حـاول الأب تحريـر نفسـه بـلا جـدوى فلطمـه عـلى وجهـه لكـن (داوود) لم يشـعر بـشيء، دخلـت الشـقيقات الثـلاث في نفـس اللحظـة وقـد فهمـن مـا يحـدث.. (هالـة) الأخـت الصغـرى هـي مـن تقدمـت تـضرب رأس (داوود) الـذي تركهـا تصفعـه ولم يظهـر عليـه أي معـالم لـلألم، الجميـع يترجـاه و(هالـة) تجـري عـلى التسريحـة في ركـن الغرفـة وتسـحب مقصًـا رفيعًـا مـن عليهـا ثـم تغرسـه في يـد (داوود) اليمنـى ليفلـت أباهـا، لكـن وجهـه لا يبـدو عليـه أي معلـم مـن معـالم الألم وهـو يسـير حامـلًا أبـاه إلى نافـذة غرفـة النـوم المفتوحـة ويلقيـه منهـا وصـوت صراخ الأب يصـم آذان المـوتى.

***

من بين دموعها قالت (مروة):

- لم يكـن مسـتيقظًا، كلُّ مَـن حـضر الحادثـة يعلـم هـذا، وكلنـا كنـا نعـرف أن (داوود) يحـب أبانـا، صحيـح أنـه كان قاسـيًا عليـه بعـض الـشيء لكـن

صدقنـي لـن يرتكـب (داوود) مثـل هـذا الأمـر وهـو في كامـل وعيـه، بعـد ذلـك اسـتيقظ (داوود) وهدأنـاه، اتصلنـا بالشرطـة وأخبرناهـم عـن حرامـي دخـل لمنزلنـا وقـد اشـتبك معـه (داوود) وجرحـه في يـده ثـم اشـتبك مـع أبي بجـوار النافـذة فدفعـه منهـا وهـرب، العجيـب أن الشرطـة تقبلـت قصتنـا، لكـن شـقيقاتي وأمـي لم يتقبلـن (داوود) بعدهـا، لم يريـن فيـه إلا قاتـلًا، أنـا رأيـت الحقيقـة.. مـن ألقـى بوالـدي مـن النافـذة لم يكـن أخـي.

فتح (مجدي) فمه ليتكلم لكن صوت اتصال هاتفه أتى.

***

ارتـدى (أيمـن) ملابـس مغايـرة لهيئتـه وهـو يدخـل العـمارة التـي تقطـن بهـا دكتـور (ابتهـال)، كان يعلـم بعـدم وجـود كامـيرات مراقبـة مـن خـلال الملاحظـات التـي تركهـا (داوود) وهـو يراقبهـا مـن قبـل، كان للعـمارة بـواب لا يتواجـد تقريبًـا في غرفتـه بـل يتابـع مـن وقـت لآخـر كشـك سـجائر يمتلكـه في شـارع جانبـي، كاد أن يصعـد درجـات السـلم لكنـه توقـف عنـد ردهـة مدخـل العـمارة حيـث إحـدى الحوائـط التـي لصقـت عليهـا مـرآة كبـيرة، كان يـرى في هـذه المـرآة نفـس الـشيء الأسـود الـذي تخـرج منـه الخيـوط لكنـه كان أكـبر حجـمًا.

شـعر بانقبـاض قلبـه وغريزتـه تتـولى إدارة عقلـه وتخـبره أن لهـذا علاقـة بموضـوع جلسـة تحضـير الأرواح التـي أخـبره عنهـا (مجـدي)، تراجـع حتـى خـرج مـن العـمارة وابتعـد مقـررًا ألا يقتـل (ابتهـال) اليـوم.

أخرج هاتفه المحمول وهو يتصل بمجدي حتى ردَّ عليه:

- أنـا جاهـز لمقابلتـك الآن، السـاعة الآن الثانيـة، أخـبرني بمكانـك وتجـدني أمامـك بعـد قليـل.

- أنا في شغل هام الآن و...

قاطعه (أيمن) بعصبية يحاول كبتها:

- أنا أيضًا عندي مشكلة وأحتاج إليك لسماعها، هيًّا لنتقابل الآن.

- حسنًا بعد نصف ساعة نلتقي في ذلك المقهى البلدي المجاور لمديرية الأمن والذي جلسنا فيه منذ أسبوعين.

- هل أنت في المديرية الآن؟

- لا أنا بجوار قبر (داوود)، سأخبرك كل شيء حين نلتقي.

أغلق معه الهاتف وهو يعود لسيارته ويسرح شعره ليعود بهيئته السابقة ويخلع النظارة الطبية ثم يقود متجهًا إلى مديرية أمن (القاهرة)، لم يتوقف لحظة عن التفكير في (داوود) وكيف أنه أراد التخلص من تلك الشخصيات، كان يراجع مرة ثانية احتمالات أن تشعر الشرطة به، سيبحثون في (حلوان) عن المنازل القريبة من المشاتل، وربما وجدوا منزله، لكنه واثق 100% أنه لا يمكن إثبات أي شيء عليه، في نهاية الأمر هو محامٍ ويعرف موقفه القانوني جيدًا، مسرح الجريمة غيَّر فيه بشكل كاف، حتى ولو وجدوا عليه دليلًا فهو يعرف كيف يمحوه، مشكلته الوحيدة كانت في (مجدي) صديقه، وأصل المشكلة في أنه لا يسير بشكل طبيعي في بحث الجريمة.. فكر أنه حتى موضوع رقم الهاتف الذي اتصل منه بمكتبه لا يساوي شيئًا ولا يقيم قضية، كل ما سرقه من شقة (داوود) دمره، ومنزله في (حلوان) نظيف تمامًا.. سأل نفسه لماذا غريزته تخبره بأن شيئًا ما ليس على ما يرام.

ركن سيارته بجانب المقهى وجلس على أحد مقاعده يدخن من

ذلك الجهاز الذي يحمله، بعد ساعة كاملة ظهر (مجدي) الذي ظهرت عليه علامات التوتر وقلة النوم بشكل مريب، صافحا بعضهما بالأحضان وجلسا بعد أن طلب (مجدي) كوب قهوة ضخمًا:

- لم أعد أعرف لك مزاجًا معينًا يا (أيمن)، ألم نتفق في الصباح أن نتقابل مساءً، يا رجل كنت أنا من أترجاك أن نتقابل.. ماذا دهاك؟

- المشكلة بيني وبين زوجتي تضخمت، أخبرتني ألا أتدخل في تربية ابنتي، هل تصدق؟

- لهذا ترتدي هذه الملابس الغريبة، أول مرة أراك في هذا النمط.

انتبه (أيمن) لأول مرة أنه يرتدي تي شيرت ملونًا وسروالًا قماشيًّا وكوتشي، كان عليه أن يغير ملابسه قبل مقابلته.

- ارتديت ملابس قديمة عندي وأنا أغادر المنزل على عجل، المهم أخبرني عن موضوع جلسة التحضير هذا.

حكى له (مجدي) بالتفصيل عن كل ما دار قبل الجلسة وأثناءها، لكن (أيمن) لم يهدأ عندما عرف أنه رأى هذا الشيء في مرآة غرفة النوم في نفس الوقت تقريبًا الذي قاموا فيه بمحاولة استحضار روح (داوود).

- وهل ستذهب لهما اليوم فعلًا؟

- بالتأكيد.

- لماذا، ألم تقل أنه نوع من الدجل؟

- لأنني حلمت بداوود في نفس غرفة التحضير.

- عقلك الباطن يتلاعب بك.

- ومشيت أثناء نومي.

- نعم؟؟؟

- كما أخبرتك، استيقظت لأجد نفسي بجانب باب الشقة.

- ألم يحدث مثل هذا الشيء من قبل؟

- نهائيًا، قليلًا ما تكلمت وأنا نائم حتى، بالطبع لم أخبر (مريم) وإلا أجبرتني على الذهاب للكنيسة وإخبار القس بما أمرُّ به.

- وما علاقة الكنيسة بالمشي نائمًا؟

- ستربط هي ما بين تحضير الأرواح والمشي نائمًا الذي ربما كان إجهادًا أو نوعًا من الإيحاء.

حاول (أيمن) أن يكون صوته أكبر مثال على الجدية وهو يقول:

- أنصحك يا صديقي بألا تدخل لعالم الأباطيل هذا.

- أنت لا تفهم، فريق تحقيق القضية يواجه الفشل تلو الآخر، موضوع خط الهاتف الذي كان باسم (داوود) المستعار فشلوا في تتبُّعه وبناء عليه تجنبوا كل ما قاله في رواية (أذكار الموت)، لا تنسَ أنني عملت على قضايا قتل كثيرة وأعرف الروتين المتبع، سيتأخرون في تفسير كل الغرائب حول القضية حتى ينتهوا من البحث عن المشتبهين، والمصيبة أن الأدلة التي تركها (داوود) بدأت تبرد بالفعل والبحث وراءها صار أصعب.. لكنني أمسكت ببعض الخيوط.

بصعوبة سيطر (أيمن) على نفسه وهو يقول:

- عن أي خيوط تتحدث؟

- قابلت معالجته النفسية وأخبرتني عن قصة كان يصرُّ (داوود) عليها، وبرغم أنه أخبرها أن الأحداث من وحي خياله إلا أني أشتبه في كونها

الحقيقة.. قصة دخوله المصحة النفسية ومقابلته للقاتل ومصادقته، وهذا الخيط استطعت التقاطه.

- كيف؟

- أخذت من شقيقته (مروة) عنوان أول مصحة نفسية دخلها، سأبحث في سجلاتها عن المرضى في العام الذي أقام فيه داخل المصحة.

تلوّن وجه (أيمن) لكنه قال لنفسه إن المصحة لن تحتفظ بسجلات من عشرين عامًا، هو يعرف هذه المصحة، لكن الأمر لا يسلم لو أكمل (مجدي) طريقه بهذا النجاح.

- أتعرف يا (أيمن) أن (داوود) قتل والده رميًا من النافذة وهو يسير نائمًا، هذه الحادثة أثرت عليه فعلًا.. وربما لو صحت فرضيتي التي كونتها فسيكون (داوود) نفسه قاتلًا متسلسلًا حسبما روى القصة لطبيبته، وهذا يفسر الدماء على أصابع الجثة.

- لا أفهمك!!!

- تخيل معي، (داوود) كان قاتلًا متسلسلًا طوال هذه السنوات، كان يقتل لاعتقاده أنه يؤذي أقاربه وهو نائم والقتل يخفف من تلك الأعراض، وفي نفس الوقت له صديق سأسميه بالقاتل الرحيم.

- قاتل رحيم؟!

قالها (أيمن) بدهشة مخلوطة بالفزع لأنه ولأول مرة يحس بأن (مجدي) يعريه من شخصيته الزائفة.

- نعم، فهو يقتل ليريح الناس من آلامهم، ينفصل الصديقان ويتزوج (داوود) فتختفي مشكلة المشي نائمًا بسبب زوجته، وربما توقف عن القتل كذلك، ثم...

توقف (مجدي) مفكرًا وكأنه ينتبه لشيء ما في عقله، اتسعت عيناه وهو يقول:

- (داوود) استفز صديقه القاتل ليقتله، وترك له الرواية ليسترشد بها، كي يقتل هو من أراد قتلهم، صاحب دار النشر والذي قُتل منذ أيام، وطبيبة الأورام، وربما عائلته كذلك ماعدا شقيقته (مروة)، لا لا، لم يحدد في روايته عائلته، لا أعرف.

تنفس (مجدي) بصوتٍ عالٍ وهو يعصر رأسه ويكمل:

- القاتل الرحيم كان يحب (داوود) فعلًا، لذلك كسر جزءًا من جمجمته وأخرج قطعة من مخه، وكأنه يستأصل الورم السرطاني منه، ولوّث أصابع (داوود) بالدماء كأنه يخبرنا أنه هو الآخر قاتلٌ مثله وعلى يديه دماء الكثيرين.

خرج صوت (أيمن) كالصياح وهو يقول بنبرة حاول أن يجعلها ساخرة لتداري على رعبه:

- أنت تربط الأشياء بناء على خيال كاتب مُصاب بالأوهام كما قلت لي أنت سابقًا، حذار من أن تقع فريسة لما تختلقه.

لم ينظر له (مجدي) وهو يثبت عينيه على فراغ أمامه ويقول بصوت خافت:

- لماذا اقترب مني (داوود)؟؟.. هذا هو السؤال الحقيقي، لماذا أنا بالذات؟

قال (أيمن) بسرعة:

- لـو سـلمنا بنظريتـك بأنـه قاتـل متسلسـل فربمـا كنـت أنـت الضحيـة الجديـدة لـه.

نظر له (مجدي) بعين خاوية وقال:

- ربما.. كل شيء مطروح.

***





الفصل الرابع



فتح (أيمن) باب منزله بحلوان ودخله، بعدما ترك (مجدي) في القهوة وطوال الطريق لم يفكر في شيء بعينه، كانت أفكاره متداخلة وغير متزنة، مزيج من الحزن والغضب والألم، قبل أن يجلس على أحد المقاعد في ردهة المنزل وقف عند الصورة المعلّقة له هو و(داوود) مع بعض المرضى في المصحة، سأل نفسه لماذا لم يتخلص من هذا الدليل، الدليل الذي يربطه بداوود، رفعَ اللوحة من على الجدار وعينه لا ترى فيها إلا وجه (داوود).

- لماذا لم تترك كل شيء يسير كما يجب يا صديقي، أنت وجدت السعادة وتمتعت بها، لماذا دخلت حياتي البائسة ثانية؟

ألقى بالصورة على الأرض وضغط عليها بغضب قائلًا:

- أنت الذي أقنعتني وعلمتني القتل وتريد أن تتطهر من ذنوبك على حسابي، لا.. سأستخدم ما علمتني إياه لأنجو.

إرهاق غريب غزا جسده كأنه كان يتعارك مع أحدهم، جلس على مقعد قريب وخاطب نفسه بصوت خفيض:

- حياتي تنهار، كل شيء ينهار.. يجب أن أتوقف.. لا لن أتوقف قبل أن أفعل شيئًا واحدًا.

وكأنه يتألم قال بحرقة:

- يجب أن يموت (مجدي).

ثم نظر إلى الصورة الملقاة على الأرض وصرخ فيها:

- هل ارتحت الآن، العبثية التي تؤمن بها تتحقق، حوّلت حياتي لسلسلة من الألم.

هدأ قليلًا وأخرج جهاز التبخير يدخن منه ويحدّث نفسه:

- (مجدي) بريء.. لكنه متألم، يكره عمله، يكره حياته، وسيكتشف أن صديقه الوحيد قاتل مجنون، بالتأكيد سيؤلمه هذا، سأريحه من الألم، نعم.. هو صديقي ويستحق الراحة.. سأقتله.

***

- وهل قررت ماذا ستفعل؟

قالها (منير) موجهًا سؤاله إلى (عزيز) الذي جلس بجانبه واضعًا رأسه على يديه مفكرًا، رن جرس باب الفيلا فقال (عزيز) بسرعة:

- حضر (مجدي)، لا تخبره بما أخبرتك عن روح (صابر)، سنقوم بالجلسة كما هو مخطط.

- لكن هذا فيه بعض الخطر.

- ما نفعله يا صاحبي منذ سنوات هو الخطر بعينه، نحن نحضر الأرواح لا نلعب التنس.

دخل (مجدي) عليهما بعدما أوصلته الخادمة فصافحهما وقبل أن يجلس نهض (عزيز) وهو يشير إلى باب غرفة التحضير قائلًا:

- هيًا لنبدأ.

لم يكن (مجدي) قد التقط أنفاسه أو حتى أفكاره منذ ترك (أيمن)، وظلّ طوال الطريق لهنا يحاول تجميع لوحة بازل عملاقة في عقله،



لكنها كانت ناقصة على الدوام، وقد اقتنع أنه لا يملك الخيال الكافي كما تصوَّر.

دخل الغرفة فلم يجد الوعاء الفخاري كما الجلسة السابقة لكن صور (داوود) كانت على الطاولة التي جلسوا حولها، أغلق (عزيز) الضوء الأبيض وأشعل الأحمر فكانوا يتبينون بعضهم البعض بصعوبة.

- اليوم سنجرب طريقة جديدة في تحضير روح (داوود)، سنشبك أيدينا ببعضها البعض وأنا سأتولى إدارة الجلسة، ولا يفلت أحدكما يديه من يدِ الآخر إلا حين أقول، سأقرأ بعض الأشياء وأنتما أغمضا أعينكما حتى تحضر الروح.

فعلًا مثلما قال وأمسك الثلاثة بأيدي بعضهم و(عزيز) يقول:

- يا قادر على أرواح الموتى بأمرٍ من الله أبسِط قدرتك عليهم، بحمايتك التجأت وبأسرارك تعلقت وبسلطانك قهرت، وبينت لي كل روح احتجبت، كهيكهج يا (داوود) واحضر، كهيكهج يا (داوود) واحضر، بهوتر وأعطنا العلامة، بهوتر وأعطنا العلامة.

رددها أكثر من مرة حتى شعر (مجدي) ببرودة غريبة تسري من يديه وبألم في معدته، سمع صوت أثاث يتزحزح في الغرفة ففتح عينيه بسرعة ليجد المقعد الرابع يتحرك من تلقاء نفسه، وأصاري نباتات الظل في أركان الغرفة تتحرك حركة بسيطة.

- عرف عن نفسك يا من حضرت.

قالها (عزيز) بقوة فأتى صوت متألم ميَّزه (مجدي) بسرعة، صوت (داوود) يقول:

- مَن أنتم؟؟

- عرِّف عن نفسك.

- أين أنا، لا أرى إلا الظلام؟

- قل اسمك يا هذا.

- أنـا (داوود)، لمـاذا أسـمع صوتـك ولا أراك؟ ولمـاذا أشـعر بوجـود (مجـدي) هنـا لكـن لا أراه؟

لم يسـمع (عزيـز) بمثـل هـذه الإجابـات مـن قبـل، أو بمعنـى أدق لم يتعامـل مـع روح تصـف نفسـها بأنهـا في ظـلام دامـس.

- أنا هنا.

قالهـا (مجـدي) وهـو ينظـر حولـه بخـوف كأنـه يتوقـع أن يـرى (داوود)، ألم معدتـه يـزداد بمعـدل منتظـم ووجـع في رأسـه بـدأت تظهـر بـوادره.. قـال الصـوت:

- أخبرني يا (مجدي)، هل أنا ميت؟

نظر (عزيز) ناحية (مجدي) نظرة نارية ليخرس وقال هو:

- نعم أنت ميت يا (داوود).

توقفـت حركـة الأثـاث وسـاد الصمـت للحظـات، عـاد بعدهـا الصـوت يقـول بـبرود:

- لماذا لم أقابل (بسمة) إذًا؟ أنت تكذب.

- أتثق في (مجدي) لو أخبرك؟

لم يرد الصوت فأشار (عزيز) لمجدي برأسه فأجاب:

- نعم يا (داوود) أنت ميت.

- كيف وأنا أشعر بكم، حتى إنني حاولت التواصل معكم لكنك لم ترضَ.

- أنا لم أرضَ!!!

وسط الضوء الأحمر ظهرت كتلة سوداء تعوم في الهواء أمام أعينهم أصبحت الكتلة كرةً تخرج منها حبال سوداء كالخيالات، تحولت الحبال لأذرع وقدمين وتحولت الكتلة لهيئة بشرية سوداء كالظل تقف بجانب المقعد الرابع، جاء صوت (داوود) أوضح من ذي قبل وهو يقول:

- أنا الآن أراكم، أميّز (مجدي) و(منير)، لكن لا أميزك أنت.

- أنا (عزيز) وأريدك أن تجاوب عن بعض الأسئلة.

قال (منير) فجأة:

- قل لي يا بني، هل تتذكر من قتلك؟

- أنا الآن أتذكر، ولو قلت لكم ستضيع حياتكم هباءً.

اختفت الكتلة فجأة كأنها دخان تطاير في الهواء، وسمع (مجدي) صوت (داوود) كأنه يهمس في أذنه ويقول:

- (أيمن) صديقك، وسيقتلك.

بعد أن سمع الصوت شعر بأن معدته تلفظ شيئًا ما، فتح فمه واتجهت رأسه للأعلى تلقائيًا ومادة سوداء تخرج منه، مادة لها ملمس نسيج الحرير، تألم وصرخ وهي تخرج من معدته لحلقه ثم تغادر فمه وأنفه في شكل خيوط.

ارتعـب (عزيـز) و(منير) وتـركا يديـه لكـن تلـك المادة تبخـرت في الهـواء هـي الأخـرى بعدمـا كانـت لهـا هيئـة ماديـة، صرخ (عزيـز).

- انصرف يا (داوود) بلا أذى.. انصرف يا (داوود) بلا أذى.

هتـف (منـير) وهـو يمسـك بـرأس (مجـدي) الـذي تهـاوى عـلى مقعـده مغشـيًا عليـه.

- أهـذا هـو الاكتوبـلازم الـذي تتركـه الـروح عـلى جسـد الوسـيط، كنـت أعتقـد أنـه خدعـة.

- أخرجه أنت يا (منير) من الغرفة بسرعة واتركني قليلًا.

فعـلًا سـحبه (منـير) وغـادر المـكان بينـما ظـلَّ (عزيـز) داخـل الغرفـة وهـو يـردد:

- هل روح (داوود حسن داوود) ما زالت معي؟؟

ظل يرددها حتى سمع صوت كالفحيح يقول:

- أنا (صابر).. حذرتك فلم تصدق.

- ممَّ حذرتني؟

- مِن (داوود).

- أين هو الآن؟

- لا نـراه ولا هـو يرانـا، روحـه في ظـلام مـا بـين عـالم الأحيـاء والمـوتى، وأنـت تسـتدعيه لعالمكـم.

- ما تفسير ما حدث الآن؟

- لا أعرف ولكنكم بالتأكيد ستعرفون.

- وضح مقصدك.

لم يأتِه رد، صرخ (عزيز) فيه أن يرد فلم يتلقَّ إلا الصمت، نهض بتثاقل وغادر الغرفة فوجد (مجدي) يجلس واعيًا وعلى وجهه أعتى أمارات الغباء و(منير) يحكي له عن الشيء الذي خرج من فمه وكيف أنه (اكتوبلازم) وهي مادة تدلل الروح على وجودها به وتخرج من فتحات جسد الوسيط متخذة أي أشكال تريدها، جلس (عزيز) بجانبهما وقال:

- الاكتوبلازم لا وجود له يا (منير)، كانت تلك من ألعاب الحواة قديمًا.

- لكنك رأيت ما حدث بأم عينك، ما تفسيرك إذًا؟

- التفسير عند (مجدي) نفسه، ماذا شعرت قبل أن يغشى عليك؟

- لا أعلم، أتذكر أني سمعت صوتًا يكلمني في أذني، ثم ألم مميت في فم معدتي وحلقي وكأن أحدهم ينزع روحي مني، وظلام دامس خيم على وعيي حتى وجدت نفسي هنا.

كان يتكلم وهو يخرج علبة سجائره ويشعل واحدة، لكنه نظر للسيجارة بقرف بعد أن أخذ منها بضعة أنفاس وأطفأها في مطفأة تبغ نظيفة كانت موضوعة على المنضدة، أكمل كلامه قائلًا:

- لكن لا أتذكر خروج شيء من فمي كما يقول عمو (منير) و...

تصلب فجأة وهو يتذكر شيئًا ويقول:

- الصوت همس في أذني بأن شخصًا ما سيقتلني أو ينوي قتلي.

- حاول أن تتذكر البقية.

نهض (مجدي) وهو يقول:

- أريد العودة لمنزلي والنوم.

- سأوصلك.

قالها (منير) فرفع (مجدي) يده معترضًا:

- لا، أنا أحتاج لأن أكون وحدي قليلًا من الوقت قبل العودة لمنزلي.

نظر (عزيز) لمنير نظرة من نوعية (اتركه يفعل ما يريد)، وفعلًا غادر (مجدي) المكان دون حتى أن يلقي التحية عليهما.

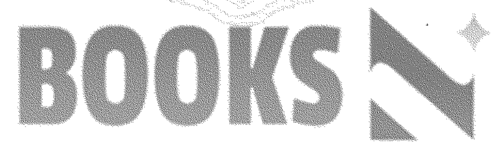
***

وقف (أيمن) أمام طاولة المطبخ يقطع بعض الطماطم ليخلطها بالجبن الأبيض ويتعشى بها هو و(جودي) بعد أن نامت زوجته، كانت ابنته تجلس إلى طاولة الطعام الصغيرة في المطبخ تمسك هاتفها المحمول وتقلب في فيديوهات (تيك توك).

التقطت أذنه صوت يأتي من خارج المطبخ، فطبيعته المتحفزة طوال تلك السنوات جعلت له أذنًا حساسة لمعظم الأصوات.

- سأخرج لأحضر شيئًا وأعود يا حبيبتي.

أومأت (جودي) برأسها بدون أن ترفع عينيها من على هاتفها، بينما خرج هو على أطراف أصابعه، وفي صالة استقبال الشقة وجدَ كتلة من الظلال تتحول لجسد بشري، هذه الكتلة ظهرت وبان لها وجه.. وجه (داوود) وهو يبتسم له، تقدَّمت الكتلة خطوات بينما تراجع هو للوراء حتى اصطدم بحائط وهو يردد آيات قرآنية مختلطة بلا وعي بصوت



خافت متهدج، أتى صوت من هذه الكتلة، صوت (داوود) لكنه أرفع وهو يقول:

- لا تردّد آيات دينية، أنا وأنت أفجَر من هذا، موضعنا محجوز في الدرك الأسفل.. سأنتظرك هناك.

اختفت الكتلة السوداء وصوت (جودي) يأتي من داخل المطبخ تسأل أباها أن يسرع في العودة لأنها جاعت.

***

دخل (مجدي) شقته وعلى وجهه أمارات الإرهاق والحيرة، كأنه طفل تائه يبحث عن أمه، خرجت (مريم) من غرفة النوم وهي تقول:

- تأخرت عند...

لم تكمل حديثها وهي تنظر لوجهه، كأن شيئًا ما تغيّر فيه لكنها لا تدري ما هو بالضبط، سألته:

- هل حدث شيء ما في منزل (عزيز) هذا؟

- لا.. فشل الموضوع كما الأمس.

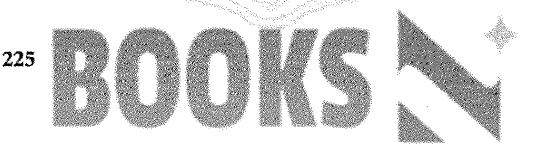
- لكن وجهك يقول إن هناك ما حدث، أخبرني.

- قضية (داوود) تشغل بالي لا أكثر.

- سأغرف الطعام في الأطباق وأحضره لتحكي لي ونحن نأكل.

- لا، تناولي أنتِ الطعام فأنا لا أستطيع، معدتي تؤلمني قليلًا، حضري لي كوب قهوة سادة.

- سادة!! أنت تشربها زيادة في السكر.



- لا أطيق السكر الآن، أرجوكِ افعلي ما أقول.

- لكنها ستتسبب في سهرك.

- افعلي ما أقول يا (مريم).

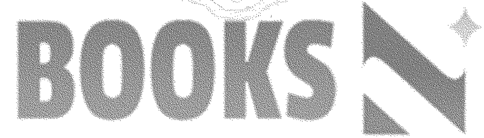
لم يقلها بغضب لكن بنوع من التوسل فصعب عليها حاله، دخلت هي للمطبخ، أما هو فجلس على أقرب مقعد قابله وأخرج من جيبه لفافة صغيرة اشترى محتوياتها منذ قليل من أحد محلات السجائر.. أخرج لفة تبغ من نوع (old Holborn) ودفتر أوراق بفرة وكيس فلاتر، لم يعرف لمَ فعل هذا.. كل ما يعرفه أنه لم يطق سجائره التي تعوّد عليها، وشعر أنه يعرف الطريق لمحل معين في منطقة وسط البلد بالقاهرة، توقف هناك واشترى هذه الأشياء، هو نفسه لا يعرف كيف يلف سيجارة ولم يفعلها من قبل.

فتح لفة التبغ واشتم رائحته، شعر بالحنين إليه، لم تمر ثوانٍ حتى وجد نفسه قد لف سيجارة باحترافية كأنه تعود على فعل هذا منذ سنوات، نظر للسيجارة مندهشًا وأشعلها بقداحته، سحب نفسًا منها وأخرجه من فمه باستمتاع كأنه يتذوق شيئًا اشتاق لطعمه منذ سنوات.

داخل المطبخ كانت (مريم) قد انتهت من إعداد القهوة، سمعت موسيقى لأغنية تدور من الخارج، صبت القهوة في قدح صغير وخرجت به لتسمع بوضوح كلمات الأغنية، لم تتعرف على المغني والذي كان (أديب الدايخ)، لكنها وقفت تستمع لكلمات الأغنية:

«خذوا بدمي ذات الوشاح فإنني رأيتُ بعيني في أناملها دمي

أغار عليها من أبيها وأمها ومن خطوة المسواك إن دار في الفم»



رأت (مجدي) يجلس يدخن سيجارة غريبة الشكل باستمتاع، والأغنية تأتي من هاتفه المحمول وهو مغمض العينين يردد مع كلمات الأغنية بشفتيه، أمامه وضعت أدوات لف السجائر، رأت مثلها عندما زارهم (داوود) منذ أيام، وضعت أمامه القهوة وهي تسأله بشك:

- أصبحت تشرب سجائر اللف الآن؟

- لا أعرف، أحسست أنها أعجبتني.

- من هذا الذي يغني؟

- (أديب الدايخ).

قالت وقد تذكرت:

- أليس هو من كان يحب (داوود) سماعه دائمًا؟؟!! لماذا تسمعه؟

- لا أعرف.

لم يكن يكذب ووجهه أصدق دليل على هذا، توقفت الأغنية فجأة بسبب ورود اتصال هاتفي، كان اسم المتصل يظهر واضحًا.. (أيمن ربيع)، تركته (مريم) وعادت للمطبخ بينما هو ينظر للاسم كأنه يراه لأول مرة، فجأة اتسعت عيناه بعدما تذكر العبارة، (أيمن) هو القاتل، أطفأ السيجارة وظهر في ذاكرته شيئًا ما عن صراع مع (أيمن) صراع مشوش لا يتذكر سوى أنه كان في مكتب (داوود) داخل شقته، حتى تفاصيل العراك لا تأتيه واضحة، كلمحات من حُلم نسيه، شعور داخلي يفور داخله بكرهه لأيمن، وشعور آخر غريب بحنين إلى شخص ما إلى أنثى، ليست (مريم) بل هي (بسمة).

هنا أدرك (مجدي) أنه يحمل مشاعر وذكريات ليست له بالمرة،

إنها تخص (داوود).. ما زال (أيمن) يتصل به، لف لنفسه سيجارة أخرى حتى عادت (مريم) له تسأله عما به ثانية، لم يجب وهو يعتصر ذهنه بحثًا عن ذكرى معينة، ذكرى موت (داوود)، جلست هي على المقعد المقابل له لكنه صرخ فيها بأن تتوقف عما تفعله وأخذ هاتفه وعدة لف السجائر وغادر الشقة.

***

كانت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل حين سمع (عزيز) جرس باب الفيلا، لم يكن قد نام بعد لكنه لم يعتد استقبال أي شخص في هذا الوقت المتأخر من الليل، نزل درجات السلم إلى الباب ونظر في العين السحرية ليجد (مجدي) يقف مضطربًا، فتح له ليدخل ويقول:

- دكتور (عزيز) أحتاج مساعدتك الآن وبأسرع وقت.

- ماذا حدث؟؟

كان (مجدي) يسير ناحية غرفة التحضير ويفتحها وهو يقول:

- أريد استدعاء روح (بسمة).

- ما الذي تقوله ولماذا تدخل الغرفة أصلًا؟

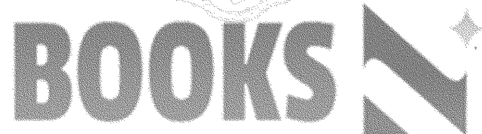
نظر له (مجدي) صائحًا بعنف:

- نفذ ما قلته، أريد (بسمة) الآن.

- (بسمة) مَن؟!

- زوجة (داوود) المتوفاة.





تبادل الاثنان النظرات و(مجدي) يستعيد جزءًا من هدوئه وكأن حاله يتبدل وهو يقول:

- آسف على صياحي، لا أعرف لماذا أفعل هذا.

قالها وهو يجلس على الطاولة المثلثة الشكل فجلس (عزيز) بجانبه قائلًا:

- ما الذي تشعر به الآن؟

- لا أعرف، مشتاق إلى لقاء (بسمة) وغاضب على مقتل (داوود)، مشاعري متناقضة كأن عقلي به خطبًا ما.

- اسمع يا بني، كان من الممكن أن أطاوعك بدافع الفضول لا أكثر لكن ما أراه أمامي يتخطى حدود فهمي، قاوم تلك الأفكار التي تحتل عقلك.

- أنت لا تفهم، الأفكار استقرت في عقلي ولا يمكنني إخراجها، ساعدني.

- لن أطاوعك، أنا لا أؤمن أن الأرواح يمكن أن تتلبس البشر، لا أعرف ما أصابك لكن (داوود) هو السبب، لا تترك لأفكاره العنان، واعلم أنه طالما لم تستطع روح (داوود) التواصل مع روح قرينته (بسمة) فربما عنى هذا أنها في موضع أفضل منه، أليس كذلك؟

ابتسم (مجدي) وقال بلهجة ذات معنى:

- صدقت، بالتأكيد في موضع أفضل.

بنوع من اليأس نهض (مجدي) وغادر الغرفة ثم غادر الفيلا ليخرج في هواء الليل يتنفسه وهو يفكر في (داوود)، هل تمكن منه، هل سمح لروح (داوود) بدخول جسده!! هل كان (داوود) نفسه يحاول الوصول

لـه وهـو الـذي أعطـاه الضـوء الأخـضر ليتملكـه، ثـم احتلـت فكـرة واحـدة عقلـه، المشي أثنـاء النـوم، الـذي فعلـه بالأمـس ممكـن أن يتكـرر الليلـة، وفي هـذا خطـر عـلى (مريـم)، يجـب ألا ينـام، وبرغـم أنـه لم ينـم جيـدًا بالأمـس والنعـاس يخالطـه إلا أنـه قـرر أن يجلـس عـلى أي مقهـى حتـى الصبـاح، ولـن يـترك عقلـه فريسـة لأفـكار غريبـة.

***

خـط سـير (مجـدي) يحفظـه جيـدًا، هكـذا فكـر (أيمـن) وهـو يقـف بسـيارته بالقـرب مـن العـمارة التـي يقطـن بهـا (مجـدي)، لكنـه أراد أن يتأكـد مـن خروجـه مـن منزلـه وذهابـه إلى عملـه في مديريـة الأمـن ليـزوره بنفسـه هنـاك، سـيموت ويعـرف مـا حـدث في جلسـة التحضـير بالأمـس، لم ينـم حتـى الآن، رؤيتـه مشوشـة قليـلًا مـن أثـر النعـاس لكـن عينيـه لم تتحـركا مـن عـلى بـاب العـمارة، لم ينتبـه إلى أن (مجـدي) نفسـه يقـف بالقـرب مـن سـيارته وينظـر إليـه يتفحصـه ثـم يقـترب منـه ويطـرق عـلى زجـاج السـيارة الجانبـي.. فُـزع (أيمـن) لكنـه تمالـك نفسـه وفتـح البـاب الجانبـي ليدخـل (مجـدي) الـذي تظهـر عـلى وجهـه علامـات الإعيـاء ويجلـس في المقعـد المجـاور لـه في السـيارة.

- أول مـرة في حيـاتي أكـون منتبهًـا لمـا يحـدث حـولي، لم أفكـر بعـد كل هـذه السـنوات التـي عملـت بهـا في الشرطـة أننـي مـن الممكـن أن أكـون مراقبًـا، اليـوم كل مـا فعلتـه يـا (أيمـن) أننـي تلفـت حـولي لكشـف المراقبـة، منـذ متـى تراقـب بيتـي؟

كانـت كلـمات (مجـدي) واثقـة وهـو يلقيهـا دون أن ينظـر إلى (أيمـن) الـذي أجـاب بسرعـة:

- ما الذي تقوله؟ أنا أتصل بك منذ الأمس ولم ترد، جئت أنتظر خروجك لعملك لأحدثك، ما بك؟ ولماذا تتكلم بهذه الطريقة؟

- أنا في أحسن حالاتي، وعلى فكرة يا (أيمن)، (داوود) أخبرني بالحقيقة.

- أي حقيقة؟

- أنه أنت.

لم يظهر (أيمن) أي ضعف في صوته وكأنه كان ينتظر شيئًا كهذا وهو يقول:

- أهذه إحدى ترهات جلسة التحضير أمس؟؟

أخرج (مجدي) عدة لف السجائر ولف سيجارة بسرعة تحت عيني (أيمن) المندهشة وهو يقول:

- أتعرف أنني لو طاوعت أفكار (داوود) برأسي لقتلتك، لكني ما زلت أفكر كمجدي وأستطيع التحكم في مشاعري وانفعالاتي.

أشعل السيجارة ونفخ دخانها باستمتاع وأكمل:

- (داوود) أراد أن يقتلك، أو يجعلني أقبض عليك، وأنا اخترت القبض عليك، بعديد من التهم، سأفتح التحقيق في كل جريمة ارتكبتها في حياتك، ستأخذ 100 حكم إعدام على أقل تقدير.

- ما الذي تهذي به!!

صرخ (مجدي) فيه:

- كفاك تمثيلًا، أنا لا أخادعك، أنا أعرف أنه أنت.

بعد فترة صمت تغيرت ملامح (أيمن) وأصبحت هادئة وهو يقول:

- لا توجد أي دلائل على كلامك، أنا محامٍ وأتكلم بجدية، أنت لا تمتلك شيئًا.

- حاليًا لا أمتلك، لكن بعد قليل سأقلب الإدارة الجنائية وإدارة الأمن العام عليك، سأذهب الآن وألتقي بفريق تحقيق قضية (داوود) ولن تصدق كيف سأغير وِجهة نظرهم بعدما أربط لهم الأحداث ببعضها البعض.

- لا يهم، لن تستطيع فعل شيء.

- تسعدني التجربة.

فتح (مجدي) باب السيارة ليخرج لكن (أيمن) نطق بعبارة جمدته.

- ألا تخاف على (مريم) زوجتك؟

عاد (مجدي) ليجلس ويغلق الباب صامتًا يدخن، مرت فترة قبل أن يقول (مجدي) ببرود:

- وأنت ألا تخاف على (جودي) ابنتك الجميلة؟

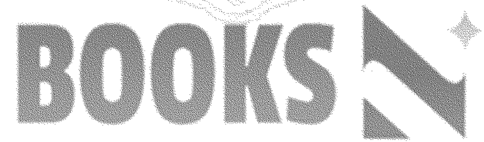
- لاحظ أنك تخاطب شخصًا تتهمه بأنه قاتل متسلسل.

- وأنت لم تفهم بعد من يخاطبك، أنت لا تخاطب (مجدي) فقط، بل تخاطب أفكار (داوود) ومشاعره.

قالها ونظر لأيمن وأكمل:

- ألا تتذكر يوم قتلتني حينما اعتصرت عنقي فقلت لك عبارة.. قلت لك «افعلها بأسرع ما يمكنك».

صعق (أيمن) عندما سمع العبارة وهو ينظر لعين (مجدي)، وشعر كأن (داوود) هو الذي يجلس بجانبه لدرجة أنه صرخ باسمه بينما



(مجدي) يخرج من السيارة ويسير مبتعدًا في اتجاه مغاير لطريق منزله.

لم يبتعد كثيرًا حتى أخرج هاتفه المحمول واتصل برقم (مريم) زوجته، لم ترد عليه من أول مرة لكنه حاول ثانية حتى ردت عليه ناعسة تسأل عن مكانه.

- نفذي ما أقوله بلا نقاش أو أسئلة، يمكنك القول إنني مُستهدَف من اليوم من جهة ما، خذي بعض ملابسك وكل النقود التي في المنزل وانزلي ستجدينني عند مدخل العمارة.

- أين سنذهب؟

- سأحجز لكِ في فندق لبضعة أيام.

- لكن ما تطلبه...

لم يدعها تكمل عبارتها وصرخ فيها أن تنفذ ما يطلبه ثم أغلق الخط في وجهها، اختفى عند أحد الشوارع الجانبية يراقب سيارة (أيمن) الذي رحل بها بعد قليل من الوقت، أخذ سيارته هو وقادها حتى باب العمارة، بعد نصف ساعة نزلت زوجته تحمل حقيبة سفر كبيرة أخذها منها دون كلمة وهو يشير لها لتركب بجواره، وضع الحقيبة في المقعد الخلفي للسيارة ثم ركب وقادها وهو ينظر في المرايا الجانبية من وقت لآخر ليتأكد أنه غير مراقب، اتصل بأحد الأرقام على هاتفه المحمول وهو يخاطب محدثه:

- (أحمد) بيه، كيف الأحوال؟

- كل خير يا (مجدي) بيه، لم أرك منذ مدة، ما سر الصدفة السعيدة لاتصالك؟

- خدمة أحتاجها من داخل الإدارة الجنائية.

- تحت أمرك.

- طبعا تعرف قضية مقتل الكاتب (داوود الجوهري).

- طبعًا.

- أريد أن أعرف اسم أي واحد من زملائي من الذين يعملون عليها داخل الإدارة، لا أريد ضباط مباحث من قسم الشرطة، أريد من يعمل من داخل الإدارة فقط.

- الرائد (نجيب مرعي) صديقك، أعتقد أنه أحد مساعدي فريق البحث.

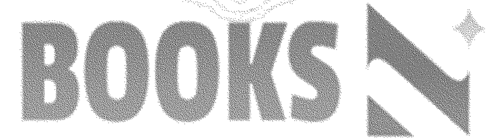
شكره بحرارة واستأذنه في إغلاق الخط لأنه يقود سيارته، حاولت (مريم) الحديث لكن (مجدي) اتصل برقم (نجيب) صديقه وتأكد من أنه في الإدارة الجنائية بمديرية الأمن الآن، طلب منه أن ينتظره حتى يحضر.

***

جلس (نجيب) إلى مكتبه يلعب في بضع أوراق بملل، كان ينتظر وصول (مجدي) الذي تأخر لساعة كاملة وبين الحين والآخر يتصل به فيطمئنه أنه سيأتي في موعده.

حين ظهر (مجدي) كان في أسوأ صورة ممكنة، دخل عليه منطقة المكاتب بوجه ممتقع مرهق وعيون نصف نائمة، حياه وجلس أمام مكتبه.

- ماذا بك يا (مجدي)؟ كأنك خرجت من القبر توًا.



ضحك (مجدي) بعصبية على الدعابة وهو يحاول تمالك نفسه ويقول:

- مشاكل الحياة.

- قبل أن تتحدث، العميد (زكريا) يبحث عنك منذ نصف ساعة، أوصى بأن تدخل له عند وصولك.. أتعرف من معه في المكتب؟؟ لن تصدق، سيادة اللواء (منير العيسوي) بنفسه.

أخرج (مجدي) عدة لف السجائر ولف سيجارة أعطاها لنجيب الذي ضحك وألقى دعابة سمجة عن لف سجائر الحشيش، ثم قال بجدية وهو يشعل السيجارة:

- منذ متى تلف السجائر؟

- منذ أيام، أحاول التقليل من التدخين، أريد منك خدمة.

- والعميد (زكريا) الذي ينتظرك؟!

- سأدخل له بعد قليل.. المهم أريدك أن تخبرني بما توصلتم له في قضية مقتل الكاتب (داوود الجوهري).

خفض (نجيب) من صوته وهو يقول:

- قائد فريق البحث العقيد (أحمد يسري) وأنت تعرفه، يكره أن يخالف القواعد، لو علم أني أخبرتك بشيء سيخرجني من القضية.

- أنا أيضًا كنت أكره مخالفة القواعد، لكني أشعر بأن التحقيق لن يسير كما يجب، حتى الآن لم تأخذوا رأيي أو إفادتي.

- يكفينا ما قلته أثناء معاينة مسرح الجريمة، وبالمناسبة الرواية التي أعطيتنا نسخة منها لم تكن مساعدة لنا.

- ما الذي تقوله، هل انتبهتم لجريمة انتحار صاحب دار النشر؟ ألم تشكوا أنها تتشابه مع ما كتب في الرواية؟

- أبلغنا العميد (زكريا) بنفسه بالبحث وراء تلك الجريمة، نسقنا مع مديرية أمن (الجيزة) واكتشفنا وجود نسخة من رواية (داوود) هذا في مكتب صاحب دار النشر، على ما يبدو أنه شعر بالخوف من انتشار الرواية وفضح أمره فقرر كتابة رسالة انتحار على جهاز الكمبيوتر المحمول وتناول جرعة كبيرة من عقار مخدر، لا شبهات جنائية حتى الآن.

فكر (مجدي) للحظة، حركة جيدة لأيمن الذي بالتأكيد وضع نسخة من الرواية في مكتب القتيل، شعر بإحساسين مختلفين، كأنه غاضب لكنه فخور بأيمن في نفس ذات الوقت.

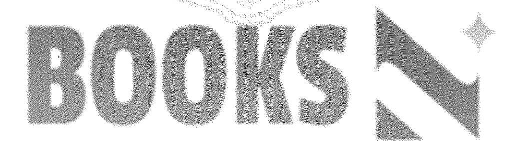
- وكيف وصلت له نسخة الرواية؟

- لا تنسَ أنه كان الناشر الخاص بداوود وطبيعي أن يسلمه نسخة، كما أنهم وجدوا عقد اتفاق بين الاثنين على نشر هذه الرواية، اتجاه البحث وراء الرواية غير مُجدٍ، نحاول تكثيف البحث في نقط أخرى

- هل بحثتم عن منزل القاتل المتسلسل في (حلوان)؟

أخرج (نجيب) دخان السيجارة ليملأ الغرفة وهو يبتسم بسخرية ويقول:

- أي قاتل.. هل تصدق ما كتبه مريض نفسي في قصة خيالية، ثم أنه وصف في الرواية جريمة حدثت في ذلك المنزل، أعتقد أنه قال بأنه قتل أحدهم وترك جثته، أخبرني كيف لم يصلنا عنه أي معلومة، وللعلم فقط فقد بحثنا بالقرب من بعض المشاتل في (حلوان) عن أي شيء مريب ولم تدلنا التحقيقات على أي شبهة.



ظهر صوت نغمة الرسائل على هاتف (مجدي) المحمول، فرفعه ليجد رقم (أيمن) قد أرسل له رسالة نصية من عبارة واحدة «توت بيرامدز»، كانت رسالة واضحة، لأن هذه العبارة هي اسم الفندق الذي تقيم فيه (مريم) الآن، الكلب يهدده بطريقة غير مباشرة، كيف تتبعه للفندق؟؟، ربما لأنه أقدر منه في المراقبة، لكنه تأكد من كل شيء.. هو الآن أمام خيار صعب، جزء من عقله يخبره بأن يكشف لنجيب بعض الأشياء تقلب مسار البحث في القضية، وجزء آخر يخبره بأن يحمي (مريم).

استأذن (مجدي) في الخروج لعمل مكالمة هاتفية، اتصل برقم (أيمن) بعدما أصبح خارج المكاتب، رد عليه محدثه فقال (مجدي) بسرعة:

- لن أتكلم يا (أيمن).

ظل الطرف الآخر صامتًا لمدة قبل أن يقول:

- شكرًا يا صديقي.

- أهم شيء أن تبتعد عني وعن أهلي.

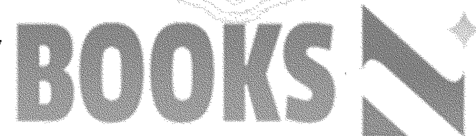
- حاضر، سأبتعد.. مع السلامة.

أغلق الخط واتصل بمريم:

- هل كل شيء جيد عندك؟

- نعم، لكني خائفة عليك، متى ستعود؟

- لا تقلقي لن أتأخر، (مريم) هل حدثتِ أي شخص عن مكان تواجدك؟



- نعـم، أخـبرت أمـي و(لمياء) زوجـة صديقـك (أيمـن)، أنـت تعـرف أنهـا صديقتـي، لكـن اطمـئن لم أخـبر أحـدًا آخـر.

هكـذا إذًا وصـل لـه وعـرف طريقـه، أنهـى المكالمـة مـع زوجتـه وعـاد ليفكـر، الأفـكار في رأسـه منقسـمة لفريقـين، فريـق يعرفـه ويألفـه وفريـق غريـب عليـه يخـبره بـألا يقلـق عـلى زوجتـه، لأنـه هـو المسـتهدف الأول، وكأنهـا أفـكار (داوود) تـرن في عقلـه لتنبهـه لـشيء مـا لا يعلمـه.. شـعر بيـد توضـع عـلى كتفـه مـن الخلـف فنظـر وراءه ليجـد (منـير) واقفًـا بابتسـامة وهـو يقـول:

- انتظرتـك في مكتـب (زكريـا) لكنـك لم تـأتِ، هـل كنـت سـترحل بـدون إلقـاء السـلام عـليَّ.

ابتسم (مجدي) وهو يصافحه:

- لا طبعًا مستحيل، كنت سأمرّ عليك الآن.

- أخبرني (عزيز) بما حدث البارحة، كيف تشعر الآن؟

- أفضل بكثير، أعتذر عن تصرفي الأهوج معه بالأمس.

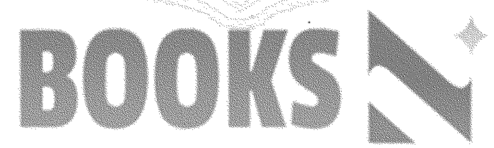
بحنان أبوي ربت (منير) على كتفه وهو يقول:

- أنـا طلبـت مـن العميـد (زكريـا) أن يعطيـك إجـازة راحـة لثلاثـة أيـام، هـو وافـق وينتظـر منـك تقديـم طلـب بذلـك للموافقـة عليـه.

- لكني لا أحتاج لها.

- اسـمع كلامـي وسـترتاح، هيَّـا يـا بنـي، ادخـل لكتابـة الطلـب وقدّمـه لـه وأنـا سـأنتظرك بالأسـفل عنـد الكافيتريـا.

تركـه (مجـدي) ليفعـل مـا طلبـه، وبعـد ربـع سـاعة كان يبحـث عنـه في



الكافيتريـا حتـى وجـده يـشرب كـوب شـاي عـلى إحـدى الطـاولات، جلـس بجانبـه وهـو يقـول:

- أعرف يا سيادة اللواء لمَ تريد مقابلتي.

- أثق في ذكائك، (عزيز) أخبرني بما حدث البارحة.

- سأعتذر لدكتور (عزيز) بنفسي في أقرب فرصة.

- لا مشكلة عندي في الاعتذار، الـ...

قطع كلامه وهو يراه يلف سيجارة فسأله:

- متى تعلمت لف السجائر، ولماذا تشربها؟؟

أشعل (مجدي) السيجارة واستنشق دخانها وهو يقول برتابة:

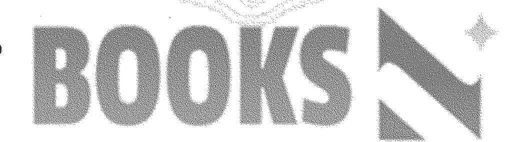
- أتريـد الحقيقـة.. منـذ الأمـس، أجـدني ألـف السـجائر كأننـي ولـدت لأفعلهـا، سـأريحك أكـثر، أشـعر أني أفعـل مـا كان يفعلـه (داوود) في حياتـه، أدخـن كـما دخـن وأسـتمع لنفـس الأغـاني، بـل وأفكـر مثلـما يفكـر، ذكرياتـه في عقـلي مـن الأمـس.

لم يظهر على وجه (منير) أي تعبير غريب وهو يقول:

- شـككت بهـذا.. مـع مـا حـكاه (عزيـز) لي بالأمـس أعتقـد أنـك تأثـرت بتجربـة تحضـير روح (داوود)، لـو كان بيـدي السـفر عـبر الزمـن لعـدت للـماضي لأمنـع مـا حـدث بالأمـس.

- أتفكر بعقد جلسة أخرى، ربما لإخراج روحه مني.

ضحـك (منـير) وقـال وهـو يرشـف مـن كـوب الشـاي رشـفة ثـم يضعـه عـلى الطاولـة:



- لا أؤمن بأن أرواح الموتى تسكن أجساد الأحياء، وإن كنت لا أجد تفسيرًا لما بك سوى هذا، تحضيري للأرواح لعب بالنار، لكنني لن أعرضك له ثانية، أنت تحتاج لراحة، خذ زوجتك وسافرا الأيام القادمة، وكما قال لك (عزيز)، كافح أي أفكار تأتيك، اعلم أنها من وسوسة الشيطان.

- (داوود) كان شيطانًا.

- كافحه إذًا، صلِّ لله لينجيك، وكلما هاجمتك أفكاره ابتعد عنها.

تحرك كوب الشاي فجأة حركة صغيرة، ثم وقع على جانبه وانكب السائل منه، هب (منير) واقفًا ينظر للكوب الملقى بينما ابتسم (مجدي) وهو يقول:

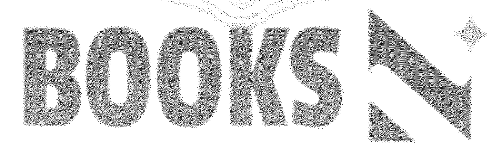
- أتعتقد أن روح (داوود) من فعلت هذا؟

عاد (منير) للجلوس وهو يقول برهبة:

- لم أرَ مثل هذه الأشياء خارج جلسات تحضير الأرواح، لكني مازلت عند رأيي، لا تسمح لداوود بالسيطرة على عقلك.

***

داخل سيارة مستأجرة جلس (أيمن) خلف مقود السيارة وعيناه على المدخل الرئيسي لمديرية أمن (القاهرة) ينتظر خروج سيارة (مجدي)، فكر أنه سيتكلم في النهاية، (مجدي) لم يعد كما كان يعرفه من قبل، فعلًا يشعر أنه كان يخاطب (داوود) صديقه القديم، لم يكن يؤمن بتلك المسائل الروحانية حتى رأى بنفسه (داوود) في منزله، غريزته خاطبته أن (مجدي) متورط في الأمر بشكلٍ ما، كل ما يحدث حوله يجعله الاسم

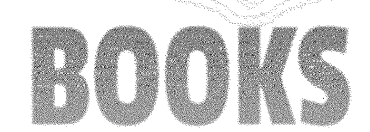
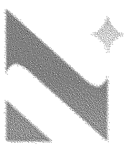


الأول في لائحته للقتل، والآن يمارس نوعًا من الارتجال كي يقتل (مجدي)، كانت تلك إحدى دروس (داوود) له في شبابهما، أخبره بأن الصياد لو هربت منه الفريسة التي أعد لها الشرك، فعليه أن يتبعها بطريقة ارتجالية، لأن الطريدة نفسها تتحرك بعشوائية، وعليه أن ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليها بلا خطة، كان (داوود) يردد دائمًا «كي تصل إلى المدينة المفقودة، عليك بأن تضل طريقك».

خرجت سيارة (مجدي) أخيرًا فتبعها، وضع في رأسه احتمال أن يحاول (مجدي) كشف المراقبة وإن كان يعلم أنه لا يستطيع لقلة خبرته، لذلك فقد تأخر عن سيارته كثيرًا حتى لا يلاحظه، حتى فهم تقريبًا أن (مجدي) يتجه لمنزله بالمريوطية، صدقت نظريته وها هو ينزل من السيارة ويصعد لمنزله.. هل هذه هي اللحظة المناسبة للانقضاض عليه؟ يصعد إليه في شقته ويقتله؟ لكنه يخاطر بكل شيء، ليس هذا الارتجال المقصود؛ فالشارع مزدحم بالمارة والعمارة كبيرة وبعض قاطنيها سيتعرفون عليه لأنه كثيرًا ما زار (مجدي) و(مريم).. أخرجه من تفكيره أن رأى في مرآة السيارة العليا خيالًا على المقعد الخلفي، انتفض في مكانه عندما فهم أنه نفس الشيء الذي زاره بالأمس لكنه الآن بلا وجه، كان كيانًا أسود على هيئة بشرية يجلس على مقعد السيارة الخلفي وصوت يأتي منه قائلًا:

- أنا فخور بك.

تحول هذا الكيان لكرة سوداء ظلت تتقلص إلى أن اختفت، ارتعدت فرائص (أيمن) وهو يخرج من السيارة مرعوبًا يتلفت حوله ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو في هذه الحالة حانت منه نظرة ناحية

العـمارة التـي يراقـب مدخلهـا، فوجـد (مجـدي) يقـف بمدخلها ينظـر لـه بدهشـة سرعـان مـا تحولـت لابتسـامة، لقـد كشـفه، هـذا الكائـن الـذي يشـك في كونـه (داوود) تشـكل ليفزعـه فيخـرج مـن السـيارة في نفـس لحظـة ظهـور (مجـدي) يرتـدي بدلـة رماديـة وقميصًا أبيـض، وهـذه الملابـس لفتـت نظـره لأن (مجـدي) لم يعتـد ارتداءهـا.

لم تطل نظراتهما لأن (مجدي) ركب سيارته وانطلق.

***

وقـف (مجـدي) أمـام كاونـتر الاسـتقبال وهـو يقـدم بطاقـة هويتـه لموظـف الفنـدق ليمـلأ البيانـات، بجانبـه وقفـت (مريـم) تتململ وهـي تسـتند عـلى حقيبـة السـفر.

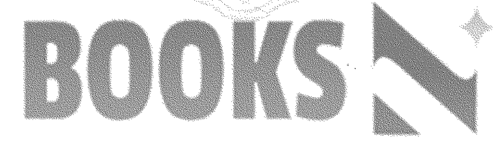
- كم ليلة ستحجز؟

- أربع ليالٍ.

طلـب مـن زوجتـه بطاقـة هويتهـا فأعطتـه إياهـا وهـي تنفـخ الهـواء مـن فمهـا في غيـظ لا تفهـم السـبب الـذي أجبرهـا عـلى أن تطاوعـه وتـترك الفنـدق السـابق بـلا سـبب وتـأتي معـه لفنـدق جديـد.. أكمـل موظـف الاسـتقبال البيانـات وأعطـاه مفتـاح الغرفـة وجـاء أحـد الرجـال التابعـين للفنـدق لأخـذ الحقيبـة، بعـد دقائـق كانـا يجلسـان في غرفـة صغـيرة و(مريـم) تقـول:

- هل ستشرح لي الآن سبب كل هذا؟

جلـس عـلى طـرف الفـراش والنعـاس يـكاد يقتلـه، لم يتعـوّد أن يحـرم نفسـه مـن النـوم هـذه الفـترة الطويلـة مـع كميـة الضغـط العصبـي والإجهـاد



البـدني الواقـع عليـه، قـال محـاولًا أن يجعـل نبراتـه واضحـة لأنـه أصبـح يتكلـم كالسـكارى:

- فيـما بعـد سـأشرح كل شيء، الآن أريـد منـك ألا تخـبري أي شـخص حتى أمـك أنـكِ تقيمـين في هـذا الفنـدق، تسـتطيعين القـول إن هواتفنـا مراقبة.

- (مجدي).

- ماذا؟

- أشعر بأنك تكذب.

ردَّ في حدة:

- هذا عملي ولا نقاش فيه.

اقتربـت منـه وجلسـت بجانبـه وهـي تضـع يديهـا عـلى رأسـه وتمررهـا عـلى خصـلات شـعره بحنـان وتقـول:

- اهـدأ يـا حبيبـي، أنـا لا أريـد لـك سـوى الراحـة، أخـبرني بمـا حـدث بالأمـس وغـيرك لهـذه الدرجـة.

شـعر بالخـدر يـسري في ظهـره ورأسـه والنعـاس يزيـد، لكنـه نظـر لهـا متسـائلًا:

- ألهذه الدرجة تشعرين بتغيُّري؟

اقتربـت أكثر وقبّلته في خده لكنها توقفت وقد شعرت بشيء معدني داخـل جاكيـت البدلـة، فقالـت بنفـس نبرتهـا الهادئـة:

- هل تحمل معك مسدسك؟

هز رأسه بالإيجاب.

- لماذا يا حبيبي؟

- أخاف عليكِ.. أحاول حمايتك.

- من ماذا؟

- من أي شخص.. ومني.

- ماذا حدث بالأمس؟

وكأنه سلم لها عندما أراح رأسه على صدرها وهو يقول بحزن شديد:

- كلمت روح (داوود).. يريد القضاء على قاتله، وأنا أريد القبض عليه.

- هل تعرفه؟

- أعرفه ولن يصدقني شخص، دليلي الحقيقي هو كلام رجل ميت.

من نبرات صوته شعرت (مريم) بأنه لا يدري ما يقول، النوم يغلبه لكنه يقاوم، زادت من قوة احتضانها وهي مازلت تمرر يدها على رأسه وتقول:

- ما رأيك يا حبيبي أن تنام الآن وبعد أن تصحو يـ...

قاطعها بنبرات صوت نائمة:

- لا لا.. لا يجب.. أن... لا يجب أن أناااااااااااام.

لكنه أغمض عينيه مع نهاية عبارته وراح في سبات عميق، سحبت هي جسده بصعوبة لأعلى الفراش كي تضع رأسه على المخدة، ثم أطفأت أضواء الغرفة، وبهدوء أفرغت حقيبة الملابس في خزانة الملابس ثم دخلت للحمام على أطراف أصابعها.

في ظلام الغرفة الذي لا يكسره سوى ضوء بسيط من خصاص النافذة يأتي من غروب الشمس ظهرت في منتصف الغرفة الكتلة السوداء وخرجت منها الحبال التي استطالت لتصبح أجزاء جسد بشري، اقترب ذلك الجسد حتى توقف عند رأس (مجدي) ثم اختفى في نفس اللحظة التي فتح فيها (مجدي) فمه وخرجت منه ومن أنفه خيوط سوداء سميكة اختفت بعد ثوانٍ.

فتح (مجدي) عينيه ونهض من على الفراش، كانت نظرته خاوية لكن حركة جسده طبيعية، نظر حوله في الغرفة وتحركت شفتاه كأنه يحدث شخصًا غير مرئيًا، ثم سار باتجاه باب الغرفة وفتحه وخرج.

غادر الفندق وسار في الشارع بشكل طبيعي يتلفت حوله حتى وصل لسيارته التي ركنها بجانب أحد الأرصفة، أدارها وانطلق بها يقطع الشوارع، سمع رنين هاتفه المحمول ولكنه لم ينتبه له ولم ينظر حتى فيه، اقترب من (حلوان) وهو يقود في شوارع المدينة بنظرة هادئة بعدما هبط الليل حتى توقف بسيارته بالقرب من مشتل صغير، خرج من السيارة وخطا ناحية المنزل الذي يتخذه (أيمن) مخبأه.

عندما وصل للمنزل قفز من على السور للداخل، ثم وقف أمام باب المنزل، وضربه بقدمه بضع ضربات حتى انكسر الرتاج وانفتح الباب، دخل (مجدي) بطريقة طبيعية وهو ينظر حوله.



جاء تنبيه على هاتف (أيمن) المحمول فأخرجه وهو يجلس مع أحد زبائنه في مكتبه، نظر لشاشته ليجد أنه كان تنبيهًا من الكاميرا الداخلية التي يضعها في ردهة منزل (حلوان)، حساسات الحركة التقطت شخصًا ونبهته، لم يصدق عينيه وهو يرى (مجدي) يتحرك داخل المنزل.

- آسف يا سيد (هشام) لكن سيكمل معك أحد محاميّ المكتب، ظرف عائلي يضطرني لتركك.

جرى يغادر مكتبه وينزل إلى سيارته ليقودها ناحية (حلوان) لم يصدق عينيه، كيف ولماذا ذهب (مجدي) لهذا المنزل؟ هل هذا نوع من الكمائن وينتظر وصوله، سيطر على أعصابه وهو يخبر نفسه بأن من المستحيل لو أرادوا القبض عليه أن يتم نصب الكمين بهذه الطريقة الساذجة ناهيك عن أن إجراءات النيابة لن تنتهي في بضع ساعات من الصباح.. هو متأكد أن (مجدي) لم يخبر أحدًا أنه القاتل، إذًا لماذا زاره، علامة الاستفهام الأكبر هي كيف عرف طريق ذلك المنزل؟؟؟ من وقت لآخر كان (أيمن) ينظر لشاشة هاتفه المحمول التي تعرض صورة من الأعلى للردهة وفيها يتحرك (مجدي) حركة بلا معنى داخلها كأنه يبحث عن شيء ما.

فكر في أنه لو كانت هناك فرصة للتخلص منه فليس هناك أفضل من هذه المصادفة المريبة.

***

كان (مجدي) يتحرك بانتظام داخل الردهة لأكثر من ربع ساعة، يقف عند كل ركن دقائق ثم يعود للسير، بعد ذلك توقف عند الممر المؤدي للغرف ودخل لكل غرفة به يقف قليلًا ثم يغادرها، حتى دخل

لغرفـة نـوم قديمـة مظلمـة جلـس عـلى طـرف فراشـها ولـف سـيجارة ثـم أشـعلها، أخـرج هاتفـه بطريقـة آليـة، كانـت محـاولات الاتصـال لا تتوقـف، رقـم (مريـم) اتصـل أكـثر مـن مـرة، ورقـم (منـير) ورقـم آخـر لا يعرفـه، دخـل عـلى الانترنـت وبحـث عـن أغنيـة بعينهـا لأديـب الدايـخ ثـم قـام بتشـغيلها وهـو يدخـن السـيجارة.

«رمتني يد الأقدار عن قوس محنة

فلا العيشُ يصفو لي ولا الموت يقربُ

كعصفورةٍ في كفِ طفل يهينها

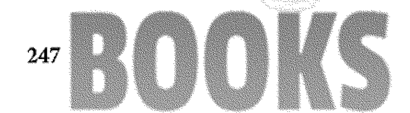
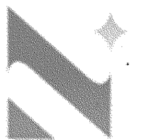
تقاسي عذاب الموت والطفلُ يلعبُ

فلا الطفل ذو عقل يرقُ لحالهـا

ولا الطير مطلوق الجناح فيهربُ»

نزلـت دموعـه دون أن تتحـرك قسـمات وجهـه وهـو يخـرج مسدسـه الشـخصي مـن جرابـه ويقبـض عليـه ثـم يفتـح زر الأمـان، مـرت دقائـق والدمـوع لا تتوقـف حتـى أغمـض عينيـه وفتحهـا مفزوعًـا ينظـر حولـه برعـب، وكأن وعيـه عـاد فجـأة، عـلى ضـوء الهاتـف البسـيط رأى (مجـدي) نفسـه يمسـك بمسدسـه الشـخصي فأعـاده لجرابـه وهـو يخـرج مـن الغرفـة خائفًـا، مهتديًـا بضـوء الردهـة سـار ناحيتهـا وهـو يمسـح الدمـوع التـي أغرقـت وجهـه ولا يعـرف متـى ذرفهـا.

وقـف عنـد الردهـة يجيـل بصـره بهـا ثـم نظـر لبـاب المنـزل المفتـوح، خـرج لينظـر حـول المنـزل فوجـد السـور المحيـط بـه، ومشـتل المزروعـات

القريب، فهم أنه في منزل (أيمن)، عاد للمنزل ثم إلى الغرفة المظلمة، حاول أن يبحث عن زر الإضاءة فلم يجده، فدخلها ثانية على ضوء الردهة الخافت، تحسس بيديه حتى وصل إلى الفراش فمرر يديه عليه حتى وجد هاتفه المحمول، شعر بشيء يتحرك خلفه ثم فجأة أحاطت برقبته يد قوية وهي تسحبه للوراء وتضغط على حنجرته، كان من يخنقه يجره للوراء كي يمنعه من اتخاذ ردة فعل، لكن (مجدي) استطاع أن يتمالك نفسه لثانية ويقف على قدمه ليدفع نفسه وخانقه للوراء بسرعة حتى خرجا من الغرفة واصطدما بجدار الممر فوقعها أرضًا.

نهض (مجدي) وتراجع للخلف بسرعة حتى وصل للردهة وهو يسحب مسدسه من جرابه تلقائيًا ويوجهه ناحية مهاجمه الذي اكتشف أنه (أيمن) والذي تحرك ناحيته حتى أصبح على قرب بضع خطوات.

- لا تقترب أكثر من هذا.

قالها (مجدي) وهو يجذب مشط مسدسه للوراء ليتم تعمير الطلقة الأولى، توقف (أيمن) وقال بسخرية:

- ستقتلني؟ لو أردت ذلك لضغطت زناد المسدس.

- ما الذي أحضرني لهذا المنزل؟

على وجه (أيمن) ارتسمت نظرة دهشة وهو يقول:

- أتدعي الجنون أم أن بك شيئًا آخر؟؟!!

فجأة تغير وجه (مجدي) كأنه يحاول التذكر في حين مد (أيمن) يده اليمنى لجيب سرواله فقال له (مجدي):

- لا تحاول.



- لن أخرج شيئًا سوى قلم.

أخرج من جيبه فعلًا قلمًا مميز الشكل ورفعه لأعلى وهو يقول:

- لو كان من يخاطبني الآن (داوود) فسيعرف هذا القلم، فهو قلمه، التذكار الوحيد الذي أخذته من شقته يوم قتله.

- أنا لا أتذكر هذا القلم.

- لأنك لست (داوود)، أنت تنتحل أفكاره وشخصيته، ألا تشعر بما يحدث لك؟ أنت تجن.

تراجع (مجدي) حتى جلس على مقعد من الخشب وهو يخفض مسدسه ويقول:

- فقدت الإحساس بهويتي لكني ما زلت أثق في كونك قاتلًا بارد الدماء.

- لو قتلتني ستصبح مثلي.

- ولو تركتك أيضًا لن أختلف عنك.

جلس (أيمن) بحذر على مقعد قريب وهو يتلاعب بالقلم بين أصابعه قائلًا:

- أنت رجل قانون، لا تخرقه لمجرد خيالات في ذهنك، وإلا ستتحول مع الوقت لمجرم، تخيل معي يا صديقي مجرم يطارد مجرمين، ستتحول الدولة لخرائب في سنوات.

ابتسم (مجدي) بسخرية وهو يقول:

- وأنت، ألست رجل قانون وتخرقه كل يوم؟

- أنـا أدافـع عـن نفـسي وهـذا حقـي، إن اسـتطعت إثبـات شيء واحـد عـليّ يمكنـك أن تقيـد حريتـي.

- لم يخترعوا قانونًا يناسب قاتلًا مجنونًا مثلك بعد.

- هذه أفكار (داوود).. ليست أفكارك.

ثم أشار للقلم الذي كان يعبث به ورفعه قائلًا:

- وهذا قلم (داوود)، وأنت تستحقه.

تبع قولـه بـأن فـك الجزء المخصـص للكتابـة مـن القلـم ليظهـر مـن تحته المشرط الجراحي الحـاد، قفـز مـن مقعـده وغرسـه في رقبـة (مجـدي) الـذي حـاول رفـع مسدسـه لكـن النصـل قـد اخـترق رقبتـه ويـد (أيمـن) أمسـكت بالمسـدس وسـحبته مـن يـده لتلقيـه بعيـدًا.

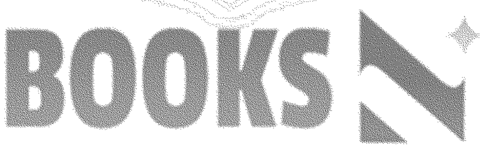
سـحب (أيمـن) النصـل مـن رقبـة (مجـدي) فخرجـت نافـورة مـن الدمـاء مـن ذلـك الموضـع و(مجـدي) يضغـط عليهـا بيـده اليـسرى ويحـاول النهـوض لكنـه يسـقط أرضًـا.

- لا تتحـرك يـا صديقـي، سـيدخل جسـدك في حالـة صدمـة الآن، اتـرك نفسـك للراحـة، اسـتمتع بآخـر لحظـات المـوت، كلـما قاومـت كلـما تألمـت.

نظـر (مجـدي) لمسدسـه الملقـى عـلى بُعـد أمتـار عـلى الأرض، حـاول الزحـف بيـده اليمنـى لكنـه فشـل فنظـر بعـين مرهقـة لائمـة لأيمـن الـذي وقـف عـلى بُعـد خطـوات منـه يتنفـس الصعـداء ويبتسـم، قـال (مجـدي) بصـوت واهـن:

- أسمع في أذني صوت (داوود).. يقول إنه ينتظرك.

انفتـح فـم (مجـدي) عـلى اتسـاعه وخرجـت منـه الخيـوط السـوداء ثـم تشـتت في الغرفـة لتتشـكل في أحـد أركانهـا عـلى هيئـة كتلـة سـوداء بشريـه



المظهر بجانب موضع المسدس، تحولت الهيئة البشرية لهيئة (داوود) بالضبط وكأنه صورة ضبابية، ركل (داوود) المسدس فانزلق على الأرض حتى وصل بالقرب من قبضة (مجدي) الذي أمسكه بصعوبة ووجَّهه ناحية (أيمن) وضغط الزناد أكثر من مرة لتنطلق خمس رصاصات استقرت ثلاث منها في جسد (أيمن) الذي تهاوى وهو ينظر لهيئة (داوود) التي سارت حتى وقفت بجانب جسد (مجدي) وجاء صوت منها يقول:

- أعرف أنك ستقابل (بسمة) في العالم الآخر، اقرئها مني السلام.

اختفت هيئته وجسد (مجدي) يرتخي وابتسامة تتكون على شفتيه وهو يفكر في شخص واحد: (مريم).

***

جلست (مريم) في غرفة الفندق على طرف الفراش تتحدث في الهاتف مع (منير) وتطلب منه أن يحاول مع زملاء (مجدي) في مديرية الأمن بأن يبحثوا عنه، كان هو يحاول تهدئتها حتى وهي ما زالت تعيد عليه أنه كان مرهق الجسد ونام أمام عينيها لكنه خرج فجأة وتركها، طلب منها أن تهدأ وتترك الأمر له ثم أغلق الخط.

بكت بشدة وهي تلقي بهاتفها المحمول غير مبالية. بعد دقائق شعرت بأن هناك أحدًا معها في الغرفة، امتلأ أنفها برائحة (مجدي)، نهضت وتحركت في الغرفة حتى توقفت عند مرآة التسريحة، هناك وجدت انعكاسًا لصورة (مجدي) يقف والدماء تغطي رقبته وهو يبتسم لها.

***

تمت

